

DATE DUE

~~JAFET LIB.~~

~~20 DEC 1982~~

JAFET LIB.

20 DEC 1982

~~3 FEB 1988~~



297.3:K191dA

القاسمي - جمال الدين

دلائل التوحيد *

MAR 23 1964

297.3:K191dA

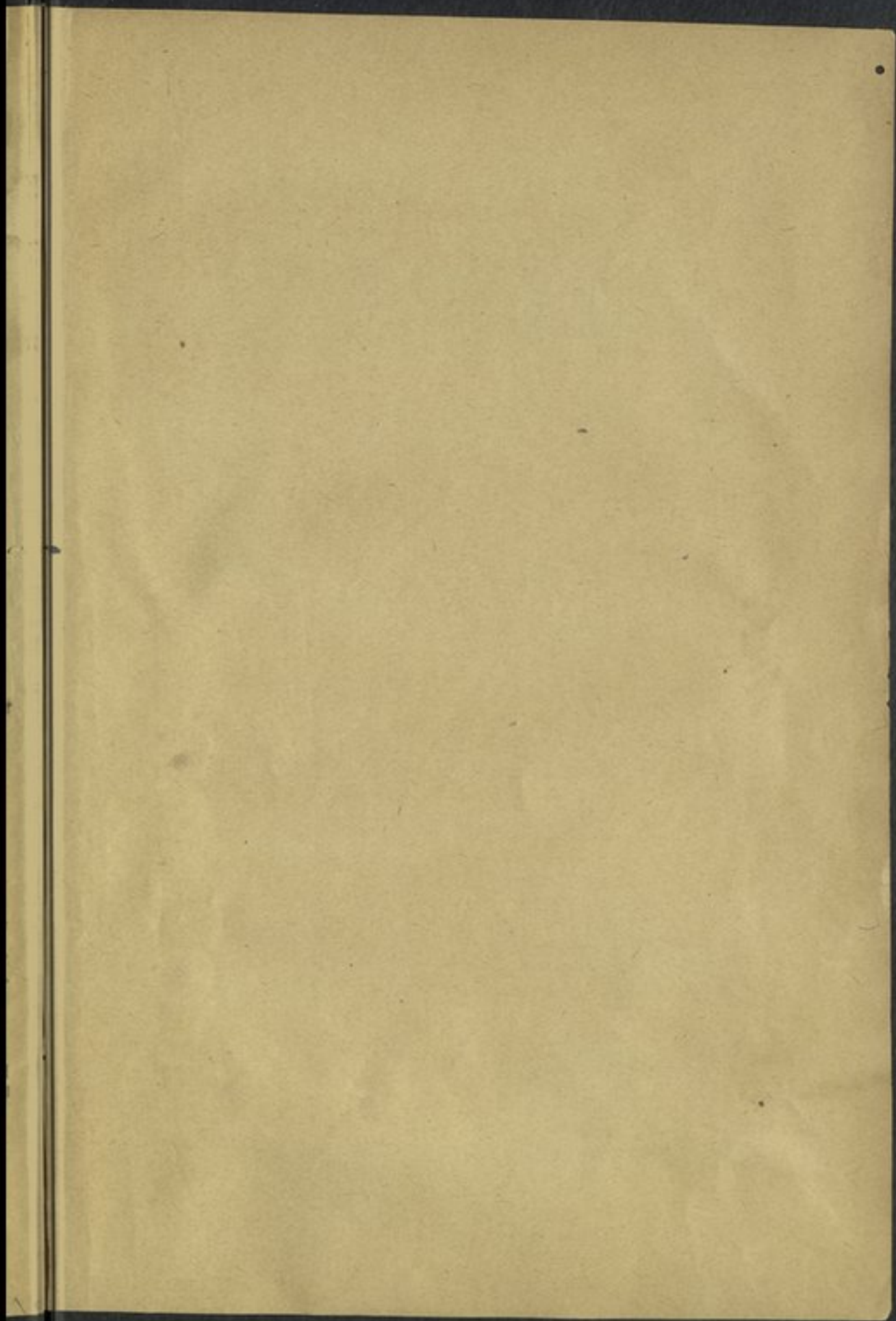
~~APR 18 1964~~

~~MAY 1964~~

22 May 64

JAFET LIB.

~~6 MAY 1968~~



297.3
K191dA
C.1

(ادلة في وجود الحق قاهرة)

﴿ كتاب ﴾

دلائل التوحيد

﴿ تأليف ﴾

الاستاذ العلامة الشيخ محمد جمال الدين

القاسمي دمشقي

﴿ مقاصد الكتاب اجمالا ﴾

الخطبة في فضل علم اقامة البراهين لتأييد اصول الدين . ثم تمهيدات في سمر معرفة التوحيد وما يتقاضاه الايمان من الايقان . وفي تمثيل انحاء الباطل لظهور آية الحق . وفي ان النظر قانون الاستدلال . وفي غير ذلك . ثم مطالب الكتاب وهي اربعة . المطلب الاول في الادلة الواضحة على « وجود الله تعالى » وهي خمسة وعشرون دليلا . وفي طيها فوائده . المطلب الثاني في تحقيق مسائل من العلم الالهي كاستحالة اكتناء ذات الخالق تعالى وبطلان الحلول والاتحاد وغيرها . المطلب الثالث في المادة وشبه الماديين وابطالها جميعا بالحجج القاطعة وفيه مقالات مع الطبيعيين تقرب من الثلاثين . المطلب الرابع في مسائل من علم النبوات كايات النبوة واثبات الخوارق علما وبيان المنسأة على العالمين ببعثة خاتم النبيين وكون القرآن اعظم الخوارق وبيان خصائصه عليه السلام وفضائله وشرف اخلاقه وشماله المؤيدة لنبوته والمبرهنة على عموم رسالته ثم الخاتمة في فائدتين (والتفصيل في الزهرست)

(راحت لها شبه الالحاد منكسره)

Cat. 6 Jan. 153



فهرست ﴿دلائل التوحيد﴾ وتعليقاتي

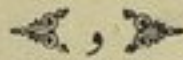
	صفحة
خطبة الكتاب . فيها فضل علم اقامة الحجج والبراهين لتأييد اصول الدين	٢
تمهيلات سبع (الاول) في سر معرفة التوحيد وما يتقاضاه الايمان من الايقان .	٤
الثاني . في تمثيل انحاء الباطل لظهور آية الحق	٥
الثالث . في ان النظر قانون الاستدلال	٦
الرابع . في مرتبة العقل في مدارك الحقائق	٨
الخامس . في ان العقل ام العلم . وان العلم الناشئ عنه ضروري وكسبي وانواع كل منهما	١٠
السادس . في وجوب العناية بالحجج الدامغة لازهاق شبه الفرق الزائفة	١١
السابع في تحقيق البحث في ان معرفة الله ضرورية ام نظرية	١٤
بيننا مطالب الكتاب وهي اربعة	١٥
المطلب الاول في الادلة الواضحة علي وجوده تعالى	
الدليل الاول . برهان الفطرة	١٦
الدليل الثاني . طريق العناية	٢٤
الدليل الثالث . دليل الاختراع	٢٨

	صحيفه
تنبیه فيما يراد بالعلة	٣٤
الدليل الخامس . طريق الحركة	٣٥
تحقيق كروية الارض	
الدليل السادس . دلالة التركيب	٣٨
الدليل السابع . شاهد التصور والتخصيص في المواد	٣٩
الدليل الثامن . اضطرار العالم الى ممسك	٤٠
الدليل التاسع . طريق الامكان	٤١
الدليل العاشر . امارة التغير والتحول	٤٢
الدليل الحادي عشر . اقتضاء ارتباط الافراد ارتباط المجموع	٤٣
الدليل الثاني عشر . الحياة الحيوانية والنباتية على وجه الكرة	٤٤
الدليل الثالث عشر . نظام الاكوان وما فيها من الاحكام والاتقان	٤٥
الدليل الرابع عشر . آية الانسان	٤٦
الدليل الخامس عشر . الاعداد والتهيئة في الموجودات	٤٨
الدليل السادس عشر . اخذ الاعمال في الترقى	٤٩
الدليل السابع عشر . عشق الموجودات للكمال	٥٠
الدليل الثامن عشر . استحالة كون العالم علة لنفسه في طريقة انحصار عقلي	٥١
الدليل التاسع عشر . طريق الالتزام	٥٢
الدليل العشرون . اعمار الحكائيات	٥٣

	صفحة
الدليل الحادي والعشرون . تاريخ البشر	٥٤
الدليل الثاني والعشرون . امر النبوت وآياتها الباهرة	٥٩
تحقيق الكرامات واجابة الدعوات	
لطيفه مؤيدة	٦٠
الدليل الثالث والعشرون . النحاكم الى الانصاف	٦١
الدليل الرابع والعشرون . شهادة الفلاسفة الاقدمين	٦٣
الرد على من زعم ان ارسطو يقول بقدم العالم	٦٤
الدليل الخامس والعشرون . اخذ العقل السليم في الحشية والاشفاق	٦٥
والخروج من الحيرة	
ايات قال المنجم والطبيب انخ لابي العلاء	٦٧
فذلكم البراهين وحاصل المحصول	٦٩
بيان ارباب البراهين عوام عند العارفين	٧١
كلمة للجاحظ فيما يدعوا لاشعار المشتهر واطهار الظاهر	٧٢
تمثيل حال من لم تقنعه دلائل العقل	٧٣
المطلب الثامن في تحقيق مسائل من الالهيات	٧٥
استحالة اكتناء ذات الخالق تعالى	
استحالة تولد الخلق من ذاته تعالى	٧٦
بطلان الحلول والاتحاد	٧٧

	صفحة
شهادة الشيخ محيي الدين ابن عربي ببراءته من القول بالانحاد	٧٩
الاستدلال على ان من الحوادث ما لا يناله الحس وما هو مجرد عن المادة	٨٠
موقف العقل امام تاريخ الخليفة وكيفية التكوين	٨١
بيان السبب في قصور افهام الخلق عن معرفة الله سبحانه	٨٢
الرد على من زعم ان الكلام في الالهيات بدعة وابن الاولي السكوت	٨٥
المطاب الثالث في المادة وشبه الماديين وابطلها وما يتبع ذلك	٨٩
وفيه مقالات عديدة	
معنى المادة	
شبهة الماديين	٩٠
تبرؤ الفلسفة من مذهب الماديين	٩١
استحالة انكشاف الجواهر الفردة بالكنه والوجه	٩٤
استحالة اثبات الجوهر الفرد	٩٥
استحالة تصور تفاعل القوى والمادة	٩٧
استحالة اقتضاء الاثير لما زعم فيه	٩٧
استحالة اقتضاء البسيط التركيب	٩٩
استحالة ازالة المادة	١٠١
استحالة كون المادة مصدر الحياة والكون العقلي	
استحاله ازالة الانسان	١٠٣

	صحيفه
برهان حدوث المادة من العدم	١٠٣
معنى قولهم ما وراء المادة	١٠٤
استحالة القول بالانفاق من جهة الحكمة	١٠٨
برهان البعث والاعاده	١٠٩
رد الاستدلال بالنفي المجرد في باب النظريات	١١٢
نزوع الماديين الى نزعات الجدال العقيم	١١٣
بيان آداب الجدال القويم وسبيل الاشراف على الحق	١١٥
الزام الواقفة وارباب الخيرة	١١٨
وقوع الاشارة الى الماديين في القرآن الكريم وان الفلسفة رائد الحق	١٢٠
اعتراف الفلاسفة اليوم بالقصور عن بلوغ الحقائق وان مقلديهم	١٢٣
آفة العلم والدين	
مطابقة الشرع للمنزل ومواخاة العلم للمدين	١٢٩
تحقيق ان احكام الشرع كلها معقولة المعنى ليس فيها تعبدية محض	
اتفاقهم على انه اذا تعارض العقل والنقل اول النقل	١٣١
تحقيق ان الجواز ابلغ من الحقيقة واكثر	١٣٢
اضطرار الانسان الى الايمان وآفات الماديين على العمران	١٣٣
رسوخ العقيدة بالرسوخ في العلم	١٣٤
طرف للسلف مع التنظيرية	١٣٨



	صحيفه
موازنة بدعية بين دليلين في هذا الباب	١٤١
المطلب الرابع في مسائل معتمات من علم النبوات	١٤٢
آيات النبوه	١٤٤
اثبات الخوارق علما	١٤٦
بيان ان العلوم التي تخبر بها الانبياء ماتت بحسرتها قدما	١٤٧
الفلاسفة والحكماء	
بيان المنة على العالمين ببعثة خاتم النبيين صلوات الله عليه وسلامه	١٤٩
بيان كون القرآن اعظم خوارق الانبياء	١٥٠
برهان ضروري لنبوة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم	١٦٥
برهان آخر ضروري ايضا لنبوته صلوات الله عليه	١٦٩
قصة قتيل بني حارثة وما ظهر من المكارم النبوية لقتلته من اهل خيبر	١٧٤
وحكمة قتل بني قريظة	
استدلال هرقل عظيم الروم على نبوته صلى الله عليه وسلم	١٧٦
ايات عاليات للمعري في مدح النبي عليه الصلاة والسلام	١٧٨
الاعتبار بسيرته عليه السلام في ان عاقبة الاضطهاد علو المقامات	١٧٩
اسباب نهوض الامة الاسلامية تمسكها باصول دينها	١٨٠
بيان خصائصه صلى الله عليه وسلم وفضائله وشرف اخلاقه وشماله	١٨١
المؤيدة لنبوته والمبرهنة على عموم رسالته	

	صحيفه
كمال خلقه . طلاقته	١٨٢
حسن القبول . ميل النفس الى متابعتها . رجاجة عقله . ثباته في السدائد	١٨٣
زهده في الدنيا . تواضعه للناس . حلمه ووقاره	١٨٤
الجواب عن قتل بني قريظة وبسطه في الشرح	١٨٥
حفظه للعهد ووفائه بالوعد	١٨٦
(الوجه الثالث) في فضائل اقواله	١٨٧
مالوتى من الحكمة البالغة والعلوم الجملة الباهرة وهو امى	
بحث لاصلاح للعالم الابدين يتقادون له	١٨٨
حفظه لانباء الانبياء واخبار العالم في الزمن الاقدم	
احكامه لما شرح باظهر دليل . وبيانه باوضح تعليل . ما امر به من	١٨٩
محاسن الاخلاق . وضوح جوابه اذا سئل . حفظ لسانه من تحزيف	
في قول وشهرته بالصدق	
تحرير كلامه من الهدر والحصر . كونه افصح الناس لسانا ووضحهم بيانا	١٩٠
(الوجه الرابع) في فضائل افعاله حسن سيرته وصحة سياسته جمعه بين	١٩١
رغبة من استمال ورهبة من استنطاع	
عدله فيما شرع من الدين عن الغلو والتقصير . تصديه للعالم الدين	١٩٢
ونوازل الاحكام حتى اوضح التكاليف	
انتصابه للجهاد الاعداء	١٩٣

	صحيحة
بيان ان الرسول لم يكره احدا على الدين وانما كان يقاتل من يقاتله	
ما خص به من الشجاعة في حروبه	١٩٤
ما منح من السخاء والجود حتى جاد بكل موجود	١٩٥
اية كمال الدين	١٩٧
خاتمة في فائدتين (الاولى) في ان الحق كلما جحد أو عورض اقام تعالى من الآيات ما يؤيده	١٩٩
(الفائدة الثانية) في تأثير لسان البرهان في تبيان الحق وطرده وساوس الشیطان	٢٠٢



بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب :

الحمد لله الذي بطن عن الأبصار وظهر للبصائر (١) ، وبيّن برهان الاستبصار (٢) أن الخلق إلى فطرته صائر (٣) . أظهر بالدليل لأولي الألباب ، في كل صوب من الأصواب : إنه مسبب الأسباب ، ومرسل الرسل ومزل الكتاب ، لا تحصر الأهوام ؛ ولا تصوره الأفهام ، بل هو الباطن فما لنظرة الحس إلى حضرة القدس سبيل ، وهو الظاهر فعليه للعقل في كل شيء آية ودليل . شهدت بوحدانيته شواهد الاعتبار (٤) عياناً ، فأنتى تطرف الناظر (٥) تعرف برهاناً . فبعداً للذين إذا ذكروا بآيات ربهم خرّوا عليها صمّاً وعمياناً ، وطوبى للذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً .

أحمدته على نعمه التي أسبغها باطنه وظاهره . واستنصر به إليه (٦)

(١) جمع بصيرة . وهي الفطنة وقوة القلب المدركة اه . قاموس وشرحه .

(٢) أي في جوده . يقال : استبصر الطريق استبان ووضح . والتبصر في الشيء التأمل والتعرف اه . قاموس .

(٣) أي راجع إليها . فالفطرة أي فطرة المرء على معرفته مخالفة واعتراف قلبه به هي المرجع في باب الاستدلال على الحق تعالى ، كما سيفصل في الدليل الأول الآتي .

(٤) وهي آيات الأنفس والآفاق . والاعتبار التأمل في الشيء . ليستدل به على غيره .

(٥) يقال طرف بصره إذا لحظ وحرك جفته في النظر وأوثر المزيد ليدل على زيادة المعنى وليجانس تعرف .

(٦) أي إلى رضائه والدعوة إليه ، فإلى : بمعنى اللام مثلها في آية « والأمر إليك » كما في معني اللبيب .

وما خذل من كان الله ناصره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أوضح البرهان سبيلها ، وصحح العيان دليلها ، ومهد العلم اليقيني مقيلها ^(١) شهادة من عرف الحق فاتبعه واستمع القول فاتبع أحسن ما استمعه . وصدع بالحق فزلزل صرح الشيطان وصدعه ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين وإمام المرسلين . أرسله منار الحق على شفا ^(٢) فشفاه . وشرار ^(٣) الشرك قد طفا ^(٤) فأطفاه . وحزب الطاغوت قد عفا ^(٥) فعفاه . ففتح به أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً . وشرح له صدرأ . ورفع له ذكراً . وقربه زلفاً . صلى الله عليه وعلى آله ذوي المناقب المؤتلة ^(٦) . وأصحابه نجوم الهدى في الخطوب المعضلة ^(٧) . ما انبرت الأقلام لحل المهام ^(٨) فنسخت الحقائق ونسخت الأوهام ^(٩) .

أما بعد ؛ فإن علم إقامة الحجج والبراهين ، لتأييد مباني أصول الدين . ورد شبه الملحدين . علم رفيع مناره . عظيم مقداره . تجب العناية به على العلماء ، ودراسته على أذكياء النبهاء ، لتصير دلائل الأصول ملكة راسخة للعقول .

- (١) أي مستقرها ، فهي في مقام مكين لا تزلزله الأهواء ، ولا تزعزعه عواصف الشبه والتمهيد ترشيح للاستعارة .
- (٢) الشفا حرف كل شيء ويضرب به المثل في القرب من الملكة ، وقوله : فشفاه أي أبرأه من هلكته .
- (٣) يفتح الشين كسحاب ، وقد غطى صاحب القاموس في ضبطها بالكسر ، وهو كما في المصباح ما تطاير من النار والواحدة شرارة .
- (٤) أي علا .
- (٥) أي زاد أو غطى : ويقال : عفا عليه في كذا أي زاد وغطت الأرض : غطاها النبات . وعفا شعر البعير : كثر وطال . وقوله : فعفاه بالتشديد والتخفيف أي محاه ودرس أثره .
- (٦) أي المؤصلة فلها مجد قديم .
- (٧) بكسر الفاء أي الشديدة الصعبة . والخطوب جمع خطب وهو الأمر العظيم .
- (٨) كأنه جمع مهمة مصدر ميمي بمعنى المهم في القاموس همه الأمر هاماً ومهمة حزنه وأثقله إلا أن المستعمل هو المهمات وهي كما في شرح القاموس الشدائد المحرقة من الأمور .
- (٩) فيه الجناس التام لا رادة نقل من نسخ الأولى ، وأزال من نسخ الثانية وهو ظاهر .

وقد كان لهذا العلم أيام كانت بضاعة العلوم رائجة . وبحور الفنون بسفن المحصلين مائجة . مقام مكين وركن ركبن . وعضب قاضب . وشهاب ثاقب . لأنه عماد القرض المحتم . والأمر الواجب تقديمه على كل مقدم . وهو معرفة واجب الوجود لذاته . وباعث الرسل لاقامة الحججة على الخلق بمحكم آياته . وجلي أن قوام هذه المعرفة ببراهينها . وتحرير قوانينها . ليشتميز صحيح الاعتقاد من فاسده . ويتبين طريق الحق لقاصده . وقد من الله علينا بجمع نموذج^(١) من ذلك في هذا الكتاب . انتقينا من درر الحكماء المحققين ومما اشتقه الفكر من غرر ذوي الألباب . قسمناه إلى مطالب فريدة . يتفرع عنها مباحث عديدة . يرجع حاصلها إلى دلائل وجود المعبود . والرد على الماديين أهل الجحود . ودحر شبههم بالحجج البازغة . والبراهين الدامغة . ثم بيان آيات خاتم النبيين . وكريم أخلاقه التي فضل بها العالمين . ولم آل جهداً في تجويد أسلوبه . وتجديد ترتيبه . فإن الأسلوب المخترع . والنمط المقترع^(٢) أقرب للافادة وأجذب للاستفادة ، وما برح علماء الكلام لهم في هذه الحلبة^(٣) محمود المقام ، إلا أن لكل دور من الأدوار طوراً يبلغه ، ولكل عصر قوي من حقائقه يقذف بها على الباطل فيدمغه . واعداد ما يستطيع من البرهان . لمن ينازل الحق في هذا الرهان من أهم المهمات وأكد الواجبات . والمجاهد لإبانة الحق ببرايعه ولسانه أعظم درجة من المجاهد بسيفه وسنانه . وإني أبرأ إليه تعالى من القول والحوال ، وأستغفره مما طغى به القول : وأسأله أن يجعلنا من أصحاب صراطه السوي ومن يدعون إلى الخير الدنيوي والأخروي . آمين .

(١) النموذج بفتح النون مثال الشيء . ويقال : أنموذج يضم الهززة .

(٢) أي المبتدأ يقال افتروا الحديث ابتداءً . نقله شارح القاموس عن شعر أحد أئمة اللغة اه .

(٣) الحلبة الدفعة من الخيل في الرهان ، وخيل تجتمع للسباق من كل أوب كناية عن الاجتهاد وبذل غاية الوسع في ذلك اه .

تمهيدات

التمهيد الأول

في سر معرفة التوحيد وما يتقاضاه الايمان من الايقان :

سر علم التوحيد وروحه هو تحقيق الايمان بالله تعالى . أي جزم القلب بوجوده سبحانه ، وما يتبعه من صفاته الجليلة . ونعوته الحميلة ، جزماً بالغاً النهاية ومتجاوزاً من الحدود الغاية ، بحيث لا يصاحبه ريب ولا يشوبه شك . وإنما يتم ذلك بالوقوف على ما يقوي القطرة من قواطع الدلائل ومسالح البراهين ، والبرهان سلاح الايمان يتقى به غرة الشيطان . ومن لا عدة له يوشك أن يصرع إذا قامت الهيجاء ، ويدهش لمباغته الأعداء . والحوار في هذا الفن يكاد أن يكون لازماً من لوازمه ، وخاصة من خواصه .

قال ولي الدين فيه : هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الایمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات . ولذا يبدو لقارئه حوار مع الفرق وتجادل مع النحئل ؛ وقراع للاهواء ونزال للالءاء ، وقد أفضى التوسع ببعض المصنفين فيه إلى سبر معظم الفرق حكاية لمذهبهم ، ورداً على أدلتهم مفرقة في أبواب ، ومجموعة في باب كما فعل العضد في موافقه . وبيعضهم إلى وضع التأليف كله لمقارعة ذوي الأهواء ، كما فعل الامام ابن حزم في الفصل ، فقد نهض بقوى الادلة ، وكرّ بالنقض والابطال على الفرق المضلة . ولم يدع فرقة إلا نازلها ولا نحلة إلا صارعها . ولم تزل هذه سنة الراسخين في كل عصر وهدى وورثة الأنبياء في كل قطر . حفظاً لصحيح العقيدة من أن تعبت بها الأهواء ،

أو تنفث فيها سموم الأعداء . ولا يخلو عصر ما من مجادل عن هوى
وضلالة سيما إذا قلت العناية بالعلم وامتد رواق الجهالة .

التمهيد الثاني

في تمثيل انمحاء الباطل لظهور آية الحق :

قد ينتزع السوفسطائي من مادة خياله أمشاجاً يؤلفها ، وعناصر
يركبها ، ليدهش الغر بمجداله ويذعر الجبان بختاله ، وقد يخلو له جو
المراء فيصفر ويحلق ويبطير حيث شاء الهوى ويحملك . حتى إذا طلع
موكب الحق بسطوته . وفيلق البرهان بعدته . نسف التل المركوم . واجتث
البرج الموهوم وانقذف على الباطل فأزهقه ، وعلى التمويه فأرهبه ،
وأثار بضيائه السبيل ، وبخا ظلمات الأباطيل ، وعمر من القلوب مواتها ،
وأحيا من العقول أمواتها ، وللحق قوة جذب لا يتمكن من يراه إلا
وينجذب طبعاً إليه . قدرة باهرة لا يدركها أحد إلا وبخضع طوعاً أو
كرهاً لديه ﴿ وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً
وَظِلَالَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ (١) والحقيقة متى وجدت طريقاً جرت
فيها بقوة الصاعقة وسرعة البرق ، فلا يقف في وجهها شيء من الأشياء
وطاردت بضيائها الظلماء وقذفت بتيارها الغناء وحققت لها الكلمة العليا :
﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي
الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ (٢) .

التمهيد الثالث

في أن النظر قانون الاستدلال :

قال جمال الدين الخوارزمي : النظر قانون الاستدلال في الأمور ،
وحاكم العدل وقاضي الصدق ، وبرهان الشريعة ، ومحك الحق والباطل ،

(١) سورة الرعد ، الآية : ١٥ .

(٢) سورة الرعد ، الآية : ١٧ .

وبريد المعرفة ، وسلطان الحقيقة ، وترجمان الايمان ، وحجة الأنبياء
 ومحنة الأولياء ، والسيف القاطع على الأعداء ﴿ شَجَرَةٌ طَيِّبَةٌ أَصْلُهَا
 ثَابِتٌ وَقَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (١) فالنظر رأس السعادة عند أهل الدنيا
 والدين . فأساس التدبير وصحة الاعتقاد وخلاصة التوحيد في ناصية
 النظر ، كما أن أساس الكفر والشرك في جانب التقليد والنظر هو الفكر
 في حال المنظور فيه لمعرفة حكمه ، أو فكر القلب في شاهد يدل على غائب.
 فإن قيل ؛ ما الحجة على صحة النظر وأنه مؤد إلى العلم ؟ .

فيقال ؛ إن في العالم حقاً وباطلاً . والناس صنفان : أهل الحق وأهل
 الباطل ، ولا يتصور معرفة الحق من الباطل إلا بالنظر . والانسان خلق
 كامل الرأي ، عظيم الفكر دراكاً للمعاني ، وأوتي الإدراك وهو العقل ؛
 فإذا استعمله على وجهه وقع عنده العلم بالمنظور فيه ، كما يقع العلم
 بالمدرجات عند الإدراك ؛ فعند فتح الاجفان يبصر الأشياء ، وعند
 الاستماع والاصغاء يسمع ، وعند استعمال اللسان يتكلم ، فعند النظر
 يعلم . ولو كان فاسداً لم يتضمن العلم لأن الفاسد لا يحكم له بقضية صحيحة.
 والدليل على أن النظر يوصل إلى العلم - وهو طريق الحقائق -
 فزع العقلاء اليه إذا التبس عليهم حكم شيء من الغائبات كما يفرعون
 إلى البصر والسمع في تعريف ما يخفى من أحوال المرثيات والمسموعات
 فالنظر دليل العلم .

ولما رأينا عقلاء العالم وجهابذة المعاني مهما نزلت بهم نازلة أو حدث
 لهم حادث من المشكلات المهمات فزعوا إلى النظر ، وتفكروا وتدبروا
 ليعرفوا وجه الصواب من الخطأ والحق من الباطل . عرفنا بضرورة العقل
 أن النظر طريق العلم .

فنحن معشر المسلمين نعرف الحق من الباطل بالنظر ، ونعرف الكفر
 من الايمان بالنظر ، ونعرف الله ورسوله بالنظر ، ونعرف أن التقليد
 بلا برهان باطل ، ولا معصوم إلا رسول الله ﷺ كل ذلك بالنظر .

(١) سورة ابراهيم ، الآية : ٢٤ .

وبالحملة ؛ فالناس من عهد آدم عليه السلام إلى منقرض العالم إذا نزلت بهم نازلة يرجعون إلى النظر والفكر ، سواء كان في أمر الدين أو الدنيا ويقول بعضهم لبعض : انظروا وتفكروا ، ولا يقولون اسمعوا وتفكروا ، فلولا أنه طريق واضح ومنهج لائح لما فزعوا إليه .

التمهيد الرابع

في مرتبة العقل في مدارك الحقائق :

اتفق الحكماء على أن الانسان إنما يدرك حقائق الأمور بطريقتين : أحدهما ، ما يدركه بالحواس الخمس ، ويشاركه في ادراكها البهائم والحيوانات كلها .

والآخر ، ما يدركه بالعقل ^(١) ، وهو ما يختص به الانسان ويتميز به عن البهائم ويفضل عليها . فمن ارتاض بما يفتح عيون عقله وأدمن النظر إلى المعقولات حتى ألفها تبين له شرف المعقولات ، وفضلها على المحسوسات ، وظهر له ظهوراً بيئناً أن المحسوس عند العقل بمنزلة الشيء المموه عند الشيء المحقق ، فأفضى به العقل إلى ما أفضى بغيره من أهل الحكمة ، ووقف به حيث وقفوا ، ولذا كان تعويل القرآن الكريم في الدعوة إلى الاعتراف بوجود الله ووحدته ، إنما هو على تبيينه العقل كما يأتي ، وهذه الدعوة التي جاءها آخر كتاب أنزل على خاتم نبي أرسل صلوات الله وسلامه عليه دعوة غير معتادة للناس قبله ، لأنها من أواخر الفلسفة وهي التي مات بحسرتها الحكماء - كما سنفصله - فليس يتحققها العامة ولا من نزل عن رتبة الخواص ، لأنهم إنما يعرفون الحس ، فكل ما لا يحصل لهم من هذا الوجه لم يلتفتوا إليه ، وظنوه باطلاً لأنهم لا يرونها إذ كانت العين التي تبصر بها هذه الأشياء ليست موجودة ،

(١) في حواشي الاشارات . أن العقل قوة للنفس تدرك بها المجردات والذهن قوة للنفس مهياة نحو الاكتساب ، والفكر حركة للنفس إلى المبادئ لترجع منها إلى المطالب ، والنظر هو تحديد العقل نحو المقول . اهـ .

لم يلتفتوا اليه وظنوه باطلا لانهم لا يرونها اذ كانت العين التي تبصر بها هذه
 الاشياء ليست موجودة وبينهم وبين الحقائق حجب كثيفة من الخواص
 والحقائق يعدونها اوهاما وارباب البصائر يرحمونهم كما يرحمون العميان ولذلك
 كانت الانبياء عليهم السلام تحملهم وتصبر على تفنيدهم وتضرب لهم الامثال
 ليسكنوا الي ممثليها، وقد برهن علماء الحكمة على ان مدركات العقل اشرف من
 مدركات الحس وان الادراكات العقلية اقوى من الادراكات الحسية من
 عدة اوجه، منها ان مدركات الحس ليست الا كيفيات مخصوصة كالالوان
 والطعوم والروائح والحرارة والبرودة وامثالها ومدركات العقل هو ذات البارئ
 تعالى وصفاته والجواهر العقلية والمعارف النظرية وغيرها ومن البين ان لانسبة
 لاحدهما في الشرف الى الآخر، ومنها ان الادراك العقلي واصل الى كنهه
 الشيء حتى تميز بين الماهية واجزائها واعراضها ثم تميز بين الجنس والفصل
 وجنس الجنس وجنس الفصل بالغة ما بلغت وتميز بين الخارج اللازم والمفارق
 وبين اللازم بوسط وبغير وسط، واما الادراك الحسي فلا يصل الا الى الظاهر
 المحسوس فيكون الادراك العقلي اقوى، ومنها ان الادراكات العقلية غير
 متناهية بخلاف الادراكات الحسية، ومن هذا - اعني ثبوت ان الادراك
 العقلي اقوى من الادراك الحسي وان مدركات العقل اشرف من مدركات
 الحس - يعلم ثبوت ان اللذة العقلية اكل من اللذة الحسية، وتتمة المسئلة معروفة
 في مطولات الحكمة

❖ الخامس ❖

(في ان العقل ام العلم وان العلم الناشئ عنه ضروري وكسبي وانواع كل منهما)
 قال الامام المارودي : الادلة ماوصلت الى العلم بالمدلول عليه . والدليل معلوم
 بالعقل . والمدلول عليه معلوم بالدليل . فيكون العقل موصلا الى الدليل وليس
 بدليل لان العقل اصل كل معلوم من دليل ومدلول عليه ولذلك سمي
 (أم العلم) فصار العقل مستدلا وان لم يكن دليلا ، والعلم الحادث عنه ما يتميز
 به الحق من الباطل والصحيح من الفاسد والممكن من الممتنع ، وهو على ضربين
 علم اضطرار وعلم اكتساب ، فاما علم الاضطرار فهو ما ادرك ببداهة العقول
 وهو نوعان حس ظاهر وخبر متواتر ، وعلم الحس متأخر عن العقل وعلم الخبر
 متقدم عليه ، ولا يفتقر علم الاضطرار الى نظر واستدلال لادراكه ببديهية العقل
 ويشترك فيه الخاصة والعامه ولا يتوجه اليه جحد ولا تحسن المطالبة فيه بدليل
 لانه غاية لتناهي النظر

واما علم الاكتساب فطريقه النظر والاستدلال لانه غير مدرك ببديهية العقل
 فصح ان يتوجه اليه الاعتراض فيه بطلب الدليل عليه فلذلك لم يتوصل اليه الا
 بالنظر والاستدلال . وهو على ضربين احدهما ما كان من قضايا العقول ،
 والثاني ما كان من احكام السمع ، فاما قضايا العقول فضربان احدهما ما علم
 استدلالا بضرورة العقل ، والثاني ما علم استدلالا بدليل العقل ، فاما المعلوم
 بضرورة العقل فهو ما لا يجوز ان يكون على خلاف ما هو به كالتوحيد فيوجب
 العلم الضروري وان كان عن استدلال للوصول اليه بضرورة العقل . واما

المعلوم بدليل العقل فهو ما يجوز ان يكون على خلاف ما هو به كدسوى النبوة
فيوجب علم الاستدلال ولا يوجب علم الاضطراب لحدوثه عن دليل العقل لاعن
ضرورته ، فاذا ثبت ان كلا الضريين مدرك بقضية العقل فيما علم بضرورته من
التوحيد او بدليله من النبوة صار بعد العلم به واجبا . وهل وجب بما صار معلوما
به من قضية العقل او بالسمع قولان

* الساس *

(في وجوب العناية بالحجج الدامغة ، لازهاق شبه الفرق الزائفة ،)

ان اهم ما يهتم به الآن هو بذل غاية الوسع لدحر شبه المظلة (١) وقد استبان
لكل خبير انها لا تحمل على مسألة نظرية او بحث فرعى ولا تكتفى بهصر اغصان
الشجرة بل تجد في جد دعائمها الراسخة التي يعتمد عليها كل نظام ادبي ومدنى
وقد اصبحت تخدع بزخارفها بعض الاحداث وحلوم بعض الحقى لذلك مست
الحاجة الى التسمير عن ساعد الجدل للفنك بغواياتها المضلة خوف سريان وبائها
وذلك بتوسيع نطاق مباحث الادلة التوحيدية والبراهين الاصولية الاولية
بما تناوله الايدى على طبقاتها وما ابعد ذوى الاستعداد من اهل الذكر عن جدد
الصواب ان انقطعوا الى تفنيد الاهواء القديمة التي مضى اهلها وذهبوا مع امس
الدابر والى مناقشتهم في برازخهم وقد وراهم التراب وانقرضوا في الغابرين
ولم يتأهبوا لما يجد من فنون الحاد المعطلين . نعم لامناص عن منازلة كل
الغوايات وتفويق الاسهم اليها وارسال شبه الحق لرجم شياطينها دحرا باطلها

(١) وهم الماديون ويسمون دهر بين وطبيعين *

وهتك لاستارها الا ان الاجدر بالعناية هو الاعم فالاعم لذا كان الباعث على تأليف هذا الكتاب حمية توفدت في الفوائد . انتصاراً للحق من ان نفسناه ظلمات ذوى الاحاد ، قياما بالمستطاع من واجبات الدفاع « لينفق ذوسعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف نفسا الا ما آتاها » قال الامام الغزالي في منهاج العابدين : (فان قلت) فهل يفترض على ان تعلم من علم التوحيد ما انقض به ملل الكفر والزمهم حجة الاسلام واتقض به جميع البدع والزمهم حجة السنة (فاعلم) ان هذا فرض على الكفاية وانما يتعين عليك ما تصحح به اعتقادك في اصول الدين لا غير وكذلك لا يتعين عليك معرفة فروع علم التوحيد ودقائقه والاثبات على جميع مسائله . نعم ان وردت عليك شبهة في اصول الدين تخاف ان تقدر في اعتقادك فيتعين عليك حل تلك الشبهة بما امكن من الكلام المقنع واياك والمارة والمجادلة فانه داء محض لا دواء له فاحترز منه جهدك فان من ارتداه لا يفلح ابدا الا ان يتعمده الله تعالى برحمته ولطفه . (ثم اعلم) انه اذا كان في كل قطر داع من دعاة اهل السنة يجل الشبه ويرد على اهل البدع ويسنقل بهذا العلم ويصفي قلوب اهل الحق عن وسواس المتدعة فقد سقط الفرض عن سواه انتهى

وقال الامام النووي في الروضة في مسافة بعد المصريين اللذين يجب ان يكون في كل منهما شخص عالم بنفاصيل الدلائل اربعة اقوال الاول مسافة شهر . والثاني اختلاف المطالع كالعراق وخراسان . والثالث اختلاف الاقليم . والرابع مسافة القصر وبهذا قطع الغزالي وصاحب التهذيب وادعى امام الحرمين

الاتفاق عليه والاصح الثاني ، وقال العلامة الدواني : ذكر الفقهاء انه لا بد ان يكون في كل حد من مسافة القصر شخص يعلم تفصيل الدلائل بحيث يتمكن من ازالة الشبهة والزام المعاندين وارشاد المسترشدين ويسمى المنسوب للذب والمنع . ويحرم على الامام إخلا . مسافة القصر عن مثل هذا الشخص كما يحرم عليه إخلاء مسافة العدو (١) عن العالم بظواهر الشرع والاحكام التي يحتاج اليها العامة ، وقال الامام الاصفهاني في الذريعة : حق من هو بصدد تعلم علم من العلوم ان لا يصغى الى الاختلافات المشككة والشبه الملبسة مالم يتهدب في قوانين ما هو بصده لئلا تتولد له شبهة تصرفه عن التوجه فيه . ولأجل ذلك كره للعامة ان يجالسوا اهل الاهواء والبدع لئلا يغرورهم فالعامة اذا خلا باهل البدع فكالشاة اذا خلت بالسبع . فاما الحكيم فلا باس بمجالسته ايامه فانه جار مجرى سلطان ذي اجناد وهدة وعناد لا يخاف عليه العدو حيث ما توجه . ولهذا جوز له الاستماع الى الشبه بل اوجب عليه ان يتبع بقدر جهده كلامهم ويسمع شبههم ليجاهدوهم ويدافعهم . فالعالم افضل المجاهدين الذابين عن الدين والجهاد جهادان جهاد بالبنان . وجهاد بالبيان . ولما تقدم سعى الله تعالى الحججة سلطانا في غير موضع من كتابه العزيز كقوله - حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام - « إني آتيكم بسلطان مبین » انتهى ومن الآيات في هذا المعنى قوله تعالى « وجاهدوهم به جهادا كبيرا » وكم عهد في السلف من امام أثر الاشتغال بعلم الكلام . واحتمل للتفرغ له مرارة الايام (١) هي التي يمكن للمبكر اليها الرجوع الى بيته ليلا

قال الجاحظ : فكان الفقر والقلة مع إحكام الاصول آثر عندهم من الغنى والكثرة مع إحكام الفروع فتركوا مساندة المناصب مع معرفتهم بان آتاهم اتم وادابهم اكمل . والسنتهم احد . ونظرهم اثبت . وحفظهم احضر . فلولم يكن لهم من الفضل الا انهم قد راوا ادبار الدنيا عن علمهم واقبالها الى غيره لكفى فان من اغتفر الخمول ضنا بالدين وآثر الآجلة على العاجلة دل ذلك على رجاحة عقله . وقلة حرصه . وسعة صدره . وشدة زهده . وفرط سماحته وأصالة رايه . ومتى سخطت نفس امرء عن هذا الخطاب الجليل والامر الجزيل نزل من الله تعالى بغاية منازل الدين انتهى

السابع

(في تحقيق البحث في ان معرفة الله ضرورة ام نظرية)

اعلم ان للمتكلمين في ذلك مذهبين معروفين وقد حاول كثير الجمع بينهما فقال بعضهم ان المسألة ضرورية في الحقيقة لا تحتاج الى النظر وانما تحتاج الى اصلاحها والى مذكر يوقف من سنة الغفلة عنها كشد كرم الموت الذي تقع الغفلة عنه وهو ضروري حتى قال تعالى في مخاطبة العقلاء « انك ميت وانهم ميتون » وقال « ثم انكم بعد ذلك لميتون » فاقامة الانبياء وورثتهم الحجج لذلك ولاصلاح فطرة من عرضت لهم الشبه فيها وفي بعض صفاته تعالى . وقال الحكيم ابو حيان التحقيق انها ضرورة من ناحية العقل واستدلال من ناحية الحس وذلك انه لما كان كل مطلوب من العلم اما ان يطلب بالعقل في المعقول او بالحس في المحسوس وهذا هو الشاهد والغائب ساغ ان يظن مرة ان معرفة الله اكتساب واستدلال

لان الحس يتصفح ويستقرى بموازرة العقل ومظاهره وتحصيله - وان يظن
 نارة اخرى انها ضرورة ضرورة ان العقل السليم من الآفة البرى من العاهة يبحث على
 الاعتراف بالله تقديس اسمه ويحظر على صاحبه جحده وانكاره والتشكك فيه
 لكن ضرورة لا ثقة بالعقل لان ضرورة العقل ليست كضرورة الحس فان ضرورة
 الحس فيها جذب واختيار وحمل واكره فاما ضرورة العقل فهي لطيفة جدا لانه
 يعظ ويلطف وينصح ويخوف فعلى هذا فان الله تعالى وتقدس معروف عند
 العقل بالاضطرار لاريب عنده في وجوده ومستدل عليه عند الحس فمن
 استدل ترقى من الجزئيات ومن ادعى الاضطرار انحدر من الكليات (١)
 وكلا الطريقتين قد وضع بهذا الاعتبار وكفى موهنة الحبط والاكتاراه وياتى
 ان شاء الله الزيادة على ذلك فى برهان الفطرة فانقلب

❖ بيان مطالب الكتاب ❖

(المطلب الاول فى الادلة الواضحة على وجوده تعالى)

اعلم ان البراهين فى هذا المقام تفوت الحصر . وتقوى السبر . كما قيل ان الله
 طرائق (اى للاستدلال عليه) بعدد انفاس الخلائق ،
 وفى كل شىء له آية * تدل على انه واحد

والمقدمين والمتأخرين فى تسديدها وتأييدها مسالك ماثوره ، ومناهج مشهوره

(١) هذا نظير قول النارابى فى فصوص الحكم فى النص ١٤١ لك ان تلحظ عالم
 الخلق فترى فيه امارات الصنعة ولك ان تعرض عنه وتلحظ عالم الوجود المحض وتعلم
 انه لا بد من وجود الذات وتعلم كيف ينبغى ان يكون عليه الموجود بالذات فان
 اعتبرت عالم الخلق فانت صاعد وان اعتبرت عالم الوجود المحض فانت نازل

وقد اقتطفت من نقائسها التليده ، واستنبطت من عيونها الجديدة ، ما بلغ
 خمسا وعشرين دليلا ، وذلك من فضل الله علينا اذ هدانا لما هو اوضح سبيلا
 واقوم قيلا ، وكلما ترقى العلم فتح لمعرفة الحق بدليله ابواب ، وتوعدت لرواد الحقيقة
 السبل وتسهلت الاسباب ،

﴿ الدليل الاول ﴾

(برهان الفطرة)

انما جعلنا الفطرة برهانا مع انها ضرورية - كما تقدم والضروري قسم النظرى
 الاستدلالي لانا نعني بالبرهان هنا كل قاطع محتج به ، والضروري وان لم يبرهن
 عليه فانه يبرهن به ويشار اليه .

دليل الفطرة بوجه كثير على غيره من الادلة ويجعله اولها واولاها لان الجبل
 لها السبق طبعاً فتقدم وضعا لان ذلك من لطائف نكت المؤلفين في
 تصنيف التصنيف وهذا المقام مقام حقائق لا خيالات الظرائف والرفائق بل
 لان الشعور بوجود الله تعالى والاذعان بخالق قادر فوق المادة محيط من وراء
 الطبيعة امر غريزي في الانسان مفطور عليه لا تغيره ريب المرتابين ، ولا انزله
 شكوك المشككين ، لانه عقد في المرء طبع عليه جنانه ، وتأثره لسانه وبيانه ،
 ومن اثره ما يرى من انطلاق الالسنه في الكوارث ، وما تندفع اليه في الحوادث
 من اللجأ اليه ، والتضرع في دفع ما يمسه عليه انطلاقا وتضرعا لا يردده راد
 ولا يصدده صاد ، ولو قيد لسان المضطر او ايف لنطق جنانه ، وافصححت
 اشائه واركانه ، ووجد حرارة تدفعه الى بارئه ، وتضطره الى الاستكانة لمنشئه .

حالة لاتزعزع رواسيها عواصف الشبهات ، ولا تميل رواسيها رياح التمويهات
 لاجرم ان هذا الشعور لاصنع فيه للبشر ، ولا كسب فيه بتقليد ولا نظر ، فهو
 لازم من لوازم الانسانية ، وصفة من صفاتها الذاتية ، اشتبك بها اشتباك اللحم
 بالعظم ، وسرى في قواها سريان الدم في الجسم ، « فطرة الله التي فطر الناس عليها
 لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون » قال الامام القزويني
 في سراج العقول : الدليل على ان معرفة الله واجبة كونها من الامور التي تصل
 العقول اليها فان الانسان اذا دهاه امر وضاعت به المسالك فلا بد ان يستند
 الى آله يتأله له ، ويتضرع نحوه ، ويلجأ اليه في كشف بلواه ، ويسمو قلبه صعوداً الى
 السماء ، ويشخص ناظره اليها من حيث كونها قبلة لدعاء الخلائق اجمعين ،
 فيستغيث بمخالقه وبارئته طبعاً وجبلة ، لا تكلفاً وحيلة ، ومثل ذلك قد يوجد في
 الاطفال والوحوش والبهائم ايضاً فانها ظاهرة الخوف والرجاء ، رافعة رؤسها
 الى السماء ، عند فقدان الكلاً والماء (١) واحساسها بالهلاك والفناء ، هذا
 كله مر كوز في جبلة الحيوانات فضلاً عن الانسان العاقل وهي الفطرة المذكورة
 في القرآن والحديث ولكن اكثر الناس قد ذهلوا عن ذلك في حالة السراء ،
 وانما يردون اليه في الضراء قال تعالى « واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون
 الا اياه » وايضاً فان عامة الناس في جميع اقطار الارض دعت انفسهم الى

(١) هذا يعلمه من يستقري احوال الحيوانات ويتتبع عجائبيها . وفي علم طبائع الحيوان
 عجائب وغرائب يبحث عنها النقابة في هذا الفن من المتقدمين والمتأخرين . وانظر الى
 ما كتب في النمل من مدارك مدهشة مما يؤيد ما هنا والمسئلة معروفة في ذلك العلم

الاعتراف بان لهم خالقاً من غير معلم ولا اثبات حجة عندهم ولا اصطلاح وقع بين كافةهم من اهل البوادي واقاصي الهند والصين واهل الجزائر الذين لم يباغهم ذاع الى الاسلام ولا الى الشرك فانهم استغنوا بشهادة انفسهم على الاعم الاغلب بالخالق جل جلاله وذلك قوله تعالى « قالت لهم رسليهم اني الله شك فاطر السموات والارض » وهذا كله قريب من الضروريات ولذلك قال بعضهم المعرفة ضرورية، فالتاس كلهم يشيرون الى الصانع جل وعلا (١) وان اختلفت طرائقهم وملهم ولا يجهلون سوى كنه الذات، ولذلك لم يات الانبياء والرسول ليعلّموا بوجود الصانع وانما اتوا ليدعوا الى التوحيد قال تعالى « فاعلم انه لا اله الا الله » وقال سبحانه « وليعلموا انما هو اله واحد » والخلق انما اشركوا بعد الاعتراف بالموجود تعالى لما اعتقدوه من الشركاء لله تعالى اولئني واجب من صفاته اولاثبات مستحيل منها اولانكارهم النبوات (ثم قال القزويني) فان قيل فلاي شئ سلك اهل الاصول طريق الاستدلال على هذا، فالجواب انما سلكوا ذلك قطعاً للاطماع التي تشرب الى ذلك والافهم يعلمون ان ماشهدت به انفطرة اقرب الى الخلق واسرع تعقلاً، لان الممكن الخارج والحادث الدال على محدث موقوفان على النظر الصحيح، وتلك داعية ضرورية من الناظر قال تعالى « ام من يجيب المضطر اذا دعاه ام من يبدأ الخلق ثم يعيده . ام من جعل

(١) اطلاق الصانع عليه تعالى اما على مذهب من جوز اطلاق كل وصف اشعر بمدح . او من جوز اشتقاق الاسامي من الافعال المنسوبة اليه تعالى في القرآن كقوله « صنع الله الذي اتقن كل شئ » او من جوز ارادة الوصف دون التسمية وفي اواخر المقصد الاسني للامام الغزالي تجويد هذه المسئلة فانظره

الارض قرارا» الى غيرها من الآيات التي كلها استفهامات تقريرية كأنه تعالى يقرر عباده على شيء فطرحهم عليه . ومثله قوله تعالى « الست بربكم » وقوله « افى الله شك » ولهذا ورد في الحديث مرفوعاً : ان الله تعالى خلق العباد على معرفته فاجتالم (حوالهم) الشيطان عنها : فمابعث الرسل الا للتذكير بتوحيد العطرة وتطهيره عن تسويلات الشيطان بالاستدلالات النظرية والدلائل العقلية وبها توجهت التكاليف على العقلاء اه

وقال الامام الراغب الاصفهاني في الذريعة : من اشرف ثمره العقل معرفة الله تعالى ونوحسن طاعته والكف عن معصيته - فمعرفة الله العامية من كوزة في النفس وهي معرفة كل احد انه مفعول وان له فاعلا فعلمه ونقله من الاحوال المختلفة وهي المشار اليها بقوله تعالى « فطرة الله التي فطر الناس عليها » بقوله « صبغة الله ومن احسن من الله صبغة » وبقوله « واذا اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم » (١) الآية فهذا القدر من المعرفة في نفس كل واحد . ويتبينه الناقل اذا نبه عليه فيعرفه كما يعرف ان من هو مساو لغيره فذلك الغير مساو له ، ومن هذا الوجه قال تعالى « ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله » وقال في مخاطبة المؤمنين والكافرين « ثم اذا مسكم الضر فاليه

(١) الآية من باب التمثيل قال الزمخشري ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكانه اشهدهم على انفسهم وقرروا وقال لهم الست بربكم وكانهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا وقررنا بوحدانيتك . وباب التمثيل واسع في كلام الله تعالى وكلام رسوله عليه السلام وفي كلام العرب اه

تجارون» وقال بعده «ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم برهم
 يشركون» واما معرفة الله المكتسبة فمعرفة توحيده وصفاته وما يجب ان يثبت
 له من الصفات وما يجب ان ينفي عنه، وهذه المعرفة هي التي دعا الانبياء
 عليهم الصلاة والسلام اليها وحثوا عليها ولهذا قال كلهم: قولوا لا اله الا الله
 ولم يدع احد الى معرفة الله تعالى بل دعا الى توحيده وهذه المعرفة - اعني
 المكتسبة - على ثلاثة اضرب، ضرب لا يكاد يدركه الا نبي وصديق وشهيد
 ومن داناهم وذلك معرفته بالنور الالهي من حيث لا يعتريه شك بوجه كما قال
 تعالى «انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا» وضرب يدرك بغلبة
 الظن - اعني الظن الذي يفسره اهل اللغة باليقين - كما قال تعالى «الذين
 يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون»، وضرب يدرك بخيالات ومثل
 وتقليدات واياه عني بقوله «وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون» فالاول
 يجري مجرى ادراك الشيء من قريب ولهذا قال الله تعالى في وصفهم «ان في
 ذلك لذكرى لمن كان له قلب او اتقى السمع وهو شهيد» والثاني يجري مجرى
 ادراك الشيء من بعيد وقد تعتربه شبهة ولكن تزول بادنى تأمل كما قال تعالى
 «ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون»
 والثالث يجري مجرى من يرى الشيء من وراء ستر فلا ينفك من شبهات كما
 اخبر تعالى عن هذه حالته بقوله «ان نظن الاظنا وما نحن بمستيقنين» ولاجل
 صعوبة معرفة الله تعالى على الحقيقة حتى ينخلص الانسان من آفات الشرك
 قال تعالى «وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون» وقال تعالى «قل اني

أمرت أن أعبد الله مخلصاً له ديني فأعبدوا ما شئتم من دونه « وقال عليه الصلاة والسلام : من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة (١) وغاية معرفة الإنسان ربه أن يعرف اجناس الموجودات جواهرها وأعراضها المحسوسة والمعقولة ويعرف أثر الصنعة فيها وإنها محدثة وإن محدثها ليس إياها ولا مثلاً لها بل هو الذي يصح ارتفاع كلها مع بقائه تعالى ولا يصح بقاؤها وارتفاعه ، وبهذا النظر قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ((سبحان من لم يجعل خلقه سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته)) بل لهذا قال عليه الصلاة والسلام ((تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذات الله)) ولما كانت معرفة العالم كله تصعب على الإنسان الواحد لتصور أفهام بعضهم عنها واشتغال بعضهم بالضرورات التي يعرفها منهم جعل تعالى لكل إنسان من نفسه وبدنه عالماً صغيراً أوجد فيه مثل ما هو موجود في العالم الكبير ليحري ذلك من العالم مجرى مختصر من كتاب بسيط يكون مع كل أحد نسخة يتأملها في الحضر والسفر والليل والنهار فإن نشط وتفرغ للنوسط في العلم نظر في الكتاب الكبير الذي هو العالم فيطلع منه على الملكوت ليفزر علمه ، ويتسع فهمه ، وإلا فله مقنع بالمختصر الذي معه ولهذا قال « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » ولشرف متأملي ذلك قال تعالى « إن في

(١) قال ابن حزم في الفصل ص « ٣٥٠ » ج ٣ : وأما الأخبار التي فيها من قال لا إله إلا الله دخل الجنة فقد جاءت أحاديث أخر يزيد على هذا الخبر لا يجوز ترك تلك الزيادة وهي قوله عليه السلام : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وإني رسول الله ويؤمنوا بما أرسلت به ، فهذا هو الذي لا إيمان لأحد بدونه . وذكر في ص ١٩١ أن الإيمان عقد وقول وعمل عند الجمهور من أهل السنة وأصحاب الآثار فانظره

خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار آيات لاولي الاباب « الآية
 فنبه بمدحهم حيث قالوا « ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك » انهم عرفوا
 المقصود بخلقه وذلك آخر الابحاث لان الابحاث اربعة ، بحث عن وجود الشيء
 بطل هو ، وبحث عن جنسه بما هو ، وبحث عما يباين به غيره باى شىء هو ،
 وبحث عن الغرض بلم هو ، وهذه الابحاث يتنى بعضها على بعض فلا يصح
 معرفة الثانى الا بمعرفة الاول ولا معرفة الثالث الا بمعرفة الثانى ولا معرفة
 الرابع الا بمعرفة الثالث ، وقولهم « ربنا ما خلقت هذا باطلا » يقتضى انهم عرفوا
 الابحاث الاربعة ، فدللت هذه الآية على ان البحث الذى يوصل الى معرفة
 حقائق الموجودات التى تتضمن معرفة البارئ تعالى هو من العلوم الشريفة
 بخلاف قول الصم البكم العمى الذين لم يجعل الله لهم نورا حيث بدعوا من اشتغل
 بمعرفة ذلك اه كلامه فى الباب الثامن ، وقرر ايضا شأن الفطرة على التوحيد فى
 الباب السابع عشر فى بحث كون العلوم مر كوزة فى نفوس الناس وعبارته ،
 نفس الانسان معدن الحكمة والعلوم وهى مر كوزة فيها بالفطرة مجعولة لها بالقوة
 كالنار فى الحجر والنخل فى النواة والذهب فى الحجارة وكالماء تحت الارض
 لكن كما ان من الماء ما يجرى من غير فعل بشرى ومنه ما يعاين تحت الارض
 لكن لا يتوصل اليه الا بدلو ورشاء ومنه ما هو كامن يحتاج فى استنباطه الى
 حفر وتعب شديد فان عني به ادركه والا بقى غير منفع به كذا العلم فى نفوس
 البشر منه ما يوجد من غير تعلم بشرى وذلك كحال الانبياء عليهم السلام فانهم
 تفيض عليهم المعارف من جهة الملائكة الاعلى ومنه ما يوجد باذنى تعلم ، ومنه

ما يصعب وجوده كحال اكثر عوام الناس ولكون العلوم مركوزة في النفوس
 قال الله تعالى « واذا اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على
 انفسهم الست بربكم قالوا بلى » فاقروا ان الله هو الذي بر بهم ويفذيهم
 ويرزقهم ويكملهم من الطفولية فهذا اقرار نفوسهم كلهم بما ركز في عقولهم فاما
 الاقرار باللسان فلم يحصل من كلهم وكذا المعنى بقوله « ولئن سألتهم من خلقهم
 ليقولن الله » اى لئن اعتبرت احوالهم لرايت نفوسهم وجوارحهم تنطق بذلك
 وعلى ذلك قوله « فاقم وجهك للدين حنيفا » الآية فيبين ان الدين الحنيف وهو
 المستقيم قد فطر الناس عليه اى خلقهم عالمين به فان المعاندين وان قصدوا
 بتبديله وازالة الناس عنه لم يقدروا عليه وعلى ذلك قوله تعالى « صبغة الله ومن
 احسن من الله صبغة » وقال تعالى فيمن قويت في قلوبهم الصبغة والقطرة
 « اولئك الذين كتب في قلوبهم الايمان » فسمى ذلك كتابا، وقال النبي
 صلى الله عليه وسلم : كل مولود يولد على الفطرة : واما هذه الشهادة الماخوذة
 عليهم فالناس فيها ضربان ضرب اجالوا خواطرهم حتى ادر كواحقا ثقتها فصاروا
 كمن حملوا شهادة فنسوها ثم تذكروها ولذلك قال في غير موضع « لعلهم يذكرون »
 « وليتذكروا اولو الالباب » وضرب اهملوا انفسهم ولم يشتغلوا بتذكروا ما حملوا
 من الشهادة كما قال تعالى « واذا ذكروا لا يذكرون » فهم في الجهالة يتسكعون
 وعلى هذا حثنا الله تعالى على التذكرة بقوله « واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه
 الذي اوثقكم » وقال « ولقد يسرنا القرآن للذكرة فهل من مدكر » اى يسرنا
 القرآن ليكون سببا تتوصفون به الى تذكر ما سبق من عهدكم ، والتذكرة على

اضررب . الاول ان يكون باللسان عن صورة ما حصل في القلب . الثاني ان يكون بالقلب لصورة حصلت عن شئ معهود اما من البصر او البصيرة او غيره من المشاعر . الثالث ان يكون عن صورة مضمنة بالفطرة في الانسان . وهو المشار اليه بهذه الآيات ومن هذا قال الحكماء ، التعليم ليس يجلب الى الانسان من خارج في الحقيقة وانما يكشف الغطاء عما حصل في النفس فيبرزه بجلائه فمثل كمثل الحافر المستنبط الماء من تحت الارض وكالصيقل الذي يبرز الجلاء في المرآة وهذا ظاهر لمن نظر بعين عقله اه وحكي الزمخشري في ربيع الابرار عن علي رضي الله عنه انه قيل له هل رأيت ربك قال ، افاعبد ما لا ارى ، فقيل كيف تراه قال . لا تدركه العيون بشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان

❖ الدليل الثاني ❖

(طريق العناية)

قال الحكميم ابن رشد في مناهج الادلة (١) الذي قصده الشرع من معرفة العالم هو انه مصنوع لله تبارك وتعالى ومخترع له وانه لم يوجد عن الاتفاق ومن نفسه فالطريق التي سلك الشرع بالناس في تقرير هذا الاصل هي من الطرق

(١) كتاب شهير نقل عنه الامام ابن القيم في كتابه الجيوش الاسلامية واثني على مؤلفه بعد ان اثرت عنه مقالته في العلوقوله . هذا كلام فيلسوف الاسلام الذي هو اخبر بمقالات الفلاسفة والحكماء واكثر اطلاعا عليها من ابن سينا ونقلنا للمذاهب الحكماء وكان لا يرضى بنقل ابن سينا ويخالفه نقلا ويحنا اه وقد حكى الشيخ الاكبر في الفتوحات المكية في الباب (١٥) اجتماعه بابن رشد ونوه بشأته وقص ما تجد مراجعته

البسيطة المعترف بها عند الجميع (١) وذلك انه اذا تؤملت الآيات التي تضمنت هذا المعنى وجدت تلك الطرق هي طريق العناية ، وهي احدى الطرق الدالة على وجود الخالق تعالى ، وذلك انه ﴿ ان الانسان اذا نظر الى شئ محسوس فرآه قد وضع بشكل ما وقدر ما ووضع ما موافق في جميع ذلك للمنفعة الموجودة في ذلك الشئ المحسوس والغاية المطلوبة حتى يعترف انه لو وجد بغير ذلك الشكل وبغير ذلك الوضع او بغير ذلك القدر لم توجد فيه تلك المنفعة علم على القطع ان لذلك الشئ صانعا صنعه ولذلك وافق شكله ووضعه وقدره تلك المنفعة وانه ليس يمكن ان تكون موافقة اجتماع تلك الاشياء لوجود المنفعة بالاتفاق ﴿ مثال ذلك انه اذا راي انسان حجرا موجودا على الارض فوجد شكله بصفة يتاى منها الجلوس ووجد ايضا وضعه كذلك وقدره علم ان ذلك الحجر انما صنعه صانع وهو الذي وضعه كذلك وقدره في ذلك المكان واما متى لم يشاهد شيئا من هذه الموافقة للجلوس فانه يقطع ان وقوعه في ذلك المكان ووجوده بصفة ما هو بالاتفاق ومن غير ان يجعله هنالك فاعل كذلك الامر في العالم كله فانه اذا نظر الانسان الى ما فيه من الشمس والقمر وسائر الكواكب التي هي سبب الازمنة الاربعة والليل والنهار وسبب الامطار والمياه والرياح وسبب عمارة اجزاء الارض ووجود الناس وسائر الكائنات من الحيوانات

(١) يؤخذ المراد بكونها بسيطة مما ذكره في موضع آخر من الكتاب نفسه وعبارته : من نامل اجناس الادلة المنبهة في الكتاب العزيز على معرفة وجود الصانع وجدها جمعت وصنفت احدها كونها يقينية والثاني كونها بسيطة غير مركبة اعني قليلة المقدمات فتكون نتائجها قريبة من المقدمات الأول اه

والنبات وكون الارض موافقة لسكنى الناس فيها وسائر الحيوانات البرية وكذلك
 الماء موافقا للحيوانات المائية والهواء للحيوانات الطائرة وانه لو اختلف شئ من هذه الخلقه
 والبنية لاختلف وجود المخلوقات التى هاهنا علم على القطع انه ليس يمكن ان تكون
 هذه الموافقة التى فى جميع اجزاء العالم للانسان والحيوان والنبات بالاتفاق بل ذلك
 من قاصد قصده ومريد اراده وهو الله عز وجل ، وعلم على القطع ان العالم مصنوع
 وذلك انه يعلم ضرورة انه لم يمكن ان توجد فيه هذه الموافقة لو كان وجوده من
 غير صانع فاما ان هذا النوع من الدليل قطعى وانه بسيط فظاهر من هذا الذى
 كتبناه وذلك ان مبناه على اصلين معترف بهما عند الجميع . احدهما ان العالم
بجميع اجزائه يوجد موافقا لوجود الانسان ولوجود جميع الموجودات التى
هاهنا - والاصل الثانى ان كل ما يوجد موافقا فى جميع اجزائه له عمل واحد
ومسداً نحو غاية واحدة فهو مصنوع ضرورة فينتج من هذين الاصلين
بالطبع ان العالم مصنوع وان له صانعا . وذلك ان دلالة العناية تدل على
الامرين معاً ، ولذلك كانت اشرف الدلائل الدالة على وجود الصانع . واما
ان هذا النوع من الاستدلال هو النوع الموجود فى الكتاب العزيز فذلك
يظهر من غير ما آية من الآيات التى يذكر فيها بدء الخلق وتدل على الصانع
والمصنوع هذا ما قرره الحكيم ابن رشد وبعد ان جود الكلام فيه قال : لاشيئ
ادل على الصانع من وجود موجود بهذه الصفة فى الاحكام (١) ثم قال : فقد

(١) قال الفزالي فى المضمون الكبير: يقال لهذا الدليل العقلي (وهو شهادة كل مخلوق على
 خالقه وموجوده كشهادة البناء على الباني والكتابة على الكاتب) لسان الحال والمنكلمون
 يقولون هذه دلالة الدليل على المدلول والحق من الناس لا يعرفون هذه المرتبة ولا يقرون بها اه

تبين من هذا ان الطرق الشرعية التي نصبها لعباده ليعرفوا منها ان العالم مخلوق
ومصنوع هي ما يظهر فيه من الحكمة والعناية بجميع الموجودات التي فيه وبخاصة
الانسان وهي طريقة نسبتها في الظهور الى العقل نسبة الشمس في الظهور الى
الحس اهو لقد صدق عليه الرحمة فان العقل السليم لا يخامرہ ادنى ريب في ظهور
ذلك كما لا يخالجه ارتياب في ظهور الشمس ليس دونها حجاب وبالجملة فكما
انا اذا راينا مسكنا مهيبا للسكنى فيه على القوانين الموافقة لتوالي الفصول والامطار
علمنا ان حكما هياه واعده للسكنى وكما اذا راينا من كبا سائرا بالبخار نحو نقطة
مقصودة علمنا ان قائدا يقوده فهكذا كل من نظر الى هذه الدنيا وشاهد ما هي
عليه من النظام والترتيب المحكم وارتباط العلل بعمولاتها وخدمة بعضها بعضا
علم ان العالم مجموع مبدعات فائقة المذارك والمشاعر ابداعها قادر حكيم
وحى قيوم والا فلوجاز ان يكون مثل هذا بغير صانع ولا موجد لجاز ان يصح
دور معمورة واسفار مكتوبة وثياب منسوجة وحلى مصوغة بغير بان ولا كاتب
ولا ناسج ولا صانع وهو محال ببديهة العقل فما الذى خص احسن الخالقين
بان يكفر ولا يدل عليه اثر صنعته العجيبة وخلقته البديعة « تعالى الله عما يقول
الظالمون علوا كبيرا » و « قتل الانسان ما اكفره » وما الطف قول امير المؤمنين
على كرم الله وجهه في بعض محامده : الحمد لله الذى بطن (اى علم) خفيات
الامور . ودلت عليه اعلام الظهور . وامتنع على عين البصير فلا عين من لم
يره تنكره . ولا قلب من اثبتة يبصره . لم يطلع العقول على تحديد صنعته ،
ولم يحجبها عن واجب معرفته ، فهو الذى تشهد له اعلام الوجود . على اقرار

قلب ذى الجحود»

﴿ الدليل الثالث ﴾

(دليل الاختراع) « ١ »

قال الحكيم ابن رشد : الطريق التي نبه الكتاب العزيز عليها ودعا الكل من بابها اذا استقرى الكتاب العزيز وجدت تفرقت في جنسين ، احدهما طريق الوقوف على العناية بالانسان وخلق جميع الموجودات من اجلها ولنسم هذه دليل العناية ، والطريقة الثانية ما يظهر من اختراع جواهر الاشياء الموجودات مثل اختراع الحياة في الجماد والادراكات الحسية والعقل ولنسم هذه (دليل الاختراع) ، فاما الطريقة الاولى فتنبني على اصلين . احدهما ان جميع الموجودات التي هاهنا موافقة لوجود الانسان ، والاصل الثاني ان هذه الموافقة هي ضرورة من قبل فاعل قاصد لذلك مريد اذ ليس يمكن ان تكون هذه الموافقة بالاتفاق ، فاما كونها موافقة لوجود الانسان فيحصل اليقين بذلك باعتبار موافقه الليل والنهار والشمس والقمر لوجود الانسان وكذلك موافقة الاربعة الاربعة له والمكان الذي هو فيه ايضا وهو الارض وكذلك تظهر ايضا موافقة كثير من الحيوان له والنبات والجماد وجزئيات كثيرة مثل الامطار والانهار والبحار وبالجملة الارض والماء والنار والهواء وكذلك ايضا تظهر العناية في اعضاء البدن واعضاء الحيوان اعني كونها موافقة لحياته ووجوده وبالجملة فمعرفة ذلك اعني منافع الموجودات داخله في هذا الجنس ولذلك وجب على من اراد ان يعرف الله

« ١ » هذه التسمية لابن رشد في المناهج

تعالى المعرفة التامة ان يفحص عن منافع الموجودات) واما دلالة الاختراع فيدخل
 فيها وجود الحيوان كله ووجود النبات ووجود السموات وهذه الطريقة تفنى
 على اصابين موجودين بالقوة في جميع فطر الناس احدهما ان هذه الموجودات
 مخترعة وهذا معروف بنفسه في الحيوان والنبات كما قال تعالى « ان الذين
 تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له » الآية فانا نرى اجساما
 جمادية ثم تحدث فيها الحياة فنعلم قطعا ان ههنا موجدا للحياة ومنعها بها وهو الله
 تبارك وتعالى . واما السموات فنعلم من قبل حركاتها التي لا تقترأها مأمورة
 بالعناية بما هاهنا ومسخرة لنا والمسخر المأمور مخترع من قبل غيره ضرورة . واما
 الاصل الثاني فهو ان كل مخترع فله مخترع ، فيصح من هذين الاصلين ان
 للموجود فاعلا مخترعا له . وفي هذا الجنس دلائل كثيرة على عدد المخترعات
 ولذلك كان واجبا على من اراد معرفة الله حق معرفته ان يعرف جواهر الاشياء
 ليقف على الاختراع الحقيقي في جميع الموجودات لان من لم يعرف حقيقة
 الشيء لم يعرف حقيقة الاختراع والى هذا الاشارة بقوله تعالى « اولم ينظروا في
 ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء » وكذلك ايضا من تتبع
 معنى الحكمة في موجود موجود اعنى معرفة السبب الذي من اجله خلق والغاية
 المقصودة به كان وقوفه على دليل العناية اتم . فهذان الدليلان هما دليلان الشرع
 واما ان الآيات المنبئية على الادلة المفضية الى وجود الصانع سبحانه في الكتاب
 العزيز هي منحصرة في هذين الجنسيتين من الادلة فذلك بين لمن تأمل الآيات
 الواردة في الكتاب العزيز في هذا المعنى وذلك ان الآيات التي في الكتاب

العزيز في هذا المعنى اذا تصفحت وجدت على ثلاثة انواع ، اما آيات تتضمن
 التنبيه على دلالة العناية . واما آيات تتضمن التنبيه على دلالة الاختراع . واما
 آيات تجمع الامرين من الدلالة جميعا . فاما الآيات التي تتضمن دلالة العناية فقط
 فمثل قوله تعالى « الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا » الى قوله « وجنات
 الفافا » ومثل قوله « تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا
 وقمرًا منيرا » ومثل قوله تعالى « فلينظر الانسان الى طعامه » الآية ومثل هذا
 كثير في القرآن . واما الآيات التي تتضمن دلالة الاختراع فقط فمثل قوله
 تعالى « فلينظر الانسان من خلق خلق من ماء دافق » ومثل قوله تعالى « افلا
 ينظرون الى الابل كيف خلقت » الآية . ومثل قوله تعالى « يا ايها الناس ضرب
 مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله ان يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له »
 ومن هذا قوله تعالى حكاية عن قول ابراهيم « انى وجهت وجهى للذى فطر
 السموات والارض » الى غير ذلك من الآيات التي لا تحصى . واما الآيات
 التي تجمع الدلالين فهي كثيرة ايضا بل هي الاكثر مثل قوله تعالى « يا ايها
 الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم » الى قوله « فلا تجعلوا لله
 اندادا وانتم تعلمون » فان قوله « الذى خلقكم والذين من قبلكم » تنبيه على دلالة
 الاختراع وقوله « الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء » تنبيه على دلالة
 العناية . مثل هذا قوله تعالى « واية لهم الارض المينة احييناها واخرجنا منها
 حيا فمنه ياكلون » وقوله تعالى « الذين يتفكرون في خلق السموات والارض
 ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار » واكثر الآيات الواردة

في هذا المعنى يوجد فيها النوعان من الدلالة . فهذه الطريق هي الصراط المستقيم
 التي دعا الله الناس منها الى معرفة وجوده ونبيهم على ذلك بما جعل في فطرهم
 من ادراك هذا المعنى والى هذه الفطرة الاولى المغروزة في طباع البشر الاشارة
 بقوله تعالى « واذا اخذ ربك من بنى ادم من ظهورهم ذريتهم » الى قوله « قالوا
 بلى شهدنا » ولهذا قد يجب على من كان وكده طاعة الله في الايمان به وامثال
 ما جاءت به رسله ان يسلك هذه الطريقة حتي يكون من العلماء الذين يشهدون
 لله بالربوبية مع شهادته لنفسه وشهادة ملائكته له كما قال تبارك وتعالى
 « شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز
 الحكيم » ومن الدلالات الموجودات من هاتين الجهتين عليه هو التسبيح المشار
 اليه في قوله تبارك وتعالى « وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون
 تسبيحهم » (١) فقد بان من هذه الادلة ان الدلالة على وجود الصانع منحصرة
 في هذين الجنسين دلالة العناية ودلالة الاختراع وتبين ان هاتين الطريقتين
 هما باعيانها طريقة الخواص - واعني بالخواص العلماء - وطريقة الجمهور ، وانما
 الاختلاف بين المعرفتين في التفصيل اعني ان الجمهور يقتصرون من معرفة
 العناية والاختراع على ما هو مدرك بالمعرفة الاولى المبينة على علم الحس واما
 العلماء فيزيدون على ما يدرك من هذه الاشياء بالحس ما يدرك بالبرهان « اعني
 من العناية والاختراع » حتى لقد قال بعض العلماء ان الذي ادركه العلماء

(١) قال الفارابي في فصوص الحكم ٢٥ : صلت السماء بدورانها والارض برجمانها
 والماء بسيلانه والمطر بهطلانه وقد تصلى له ولا تشعر واذا ذكر الله اكبر

من معرفة اعضاء الانسان والحيوان هو قريب من كذا وكذا آلاف منفعة واذا كان هذا هكذا فهذه الطريقة هي الطريقة الشرعية والطبيعية وهي التي جاءت بها الرسل ونزلت بها الكتب . والعلماء ليس يفضلون الجمهور في هذين الاستدلاليين من قبل الكثرة فقط بل ومن قبل التعمق في معرفة الشيء الواحد نفسه فان مثال الجمهور في النظر الى الموجودات مثالهم في النظر الى المصنوعات التي ليس عندهم علم بصنعتها فانهم انما يعرفون من امرها انها مصنوعات فقط وان لها صناعا موجودا . ومثال العلماء في ذلك مثال من نظر الى المصنوعات التي عنده علم ببعض صنعتها وبوجه الحكمة فيها ولا شك ان من حاله من العلم بالمصنوعات هذه الحال هو اعلم بالصانع من جهة ما هو صانع من الذي لا يعرف من تلك المصنوعات الا انها مصنوعة فقط ، واما مثال الدهرية في هذا الذين جحدوا الصانع سبحانه فمثال من احس مصنوعات فلم يعترف انها مصنوعات بل ينسب ما راي فيها من الصنعة الى الاتفاق والامر الذي يحدث من ذاته اه كلام ابن رشد

الدليل الرابع

(الافتقار الى سبب الاسباب) « ١ »

الحوادث في علم الكائنات سواء كانت من الذوات او من الافعال البشرية او الحيوانية فلا بد لها من علل واسباب منقده عليها بها تقع في مستقر العادة وعنهما يتم كونها واليهما تقتقر افتقار الهواء الى الشمس في اضاءته والماء الى « ١ » من راي ابن خلدون ان هذا الدليل اقرب الطرق والمآخذ العقلية لمعرفة الخالق تعالى

مسخن في حرارته . وكل واحد من هذه العال والاسباب حادث ايضا فلا بد له من علل واسباب اخر . ولا تزال تلك الاسباب مرتقية حتى تنتهي الى مسبب الاسباب وموجدها وخالقها . قال ابن رشد : الموجودات الممكنة لا بد لها من علل تتقدم عليها فان كانت العلل ممكنة لزم ان يكون لها علل ومر الامر الى غير نهاية . وان لم يكن هنالك علة لزم وجود الممكن بلا علة وذلك مستحيل فلا بد ان ينتهي الامر الى علة ضرورية . فاذا انتهى الامر الى علة ضرورية لم تخل هذه العلة الضرورية ان تكون ضرورية بسبب او بغير سبب فان كانت بسبب سئل ايضا في ذلك السبب فاما ان تمر الاسباب الى غير نهاية فيلزم ان يوجد بغير سبب ما وضع انه موجود بسبب وذلك محال فلا بد ان ينتهي الامر الى سبب ضروري بلا سبب اي بنفسه وهذا هو واجب الوجود ضرورة اه

وقرر بعضهم هذا الدليل باسلوب آخر فقال : من المشاهد ان ترى في المحسوسات ترتيبا بين العلل المؤثرة وليس يصح بل لا يمكن ان يكون سبب مؤثر لنفسه للزوم وجوده قبل نفسه وهذا محال . والتسلسل ممنوع في العلل المؤثرة لان الاول من افراد العلل المترتبة هو علة الوسط والوسط هو علة الاخير سواء كان ثمة وسط واحد او اوساط كثيرة لكنه اذا ارتفعت العلة ارتفع المعلول فانه لو لم يكن في العلل المؤثرة اول لم يكن فيها ولا اخير وسط ولو تسلسلت العلل لم تكن علة اولى مؤثرة فلم يكن معلول اخير ولا علل مؤثرة متوسطة وهذا بين البطلان فلا بد اذن من اثبات علة مؤثرة وهي الخالق تبارك وتعالى :

وقال ابن رشد ايضا : اما الفلاسفة فانهم اعتبروا الاسباب المحسوسة حتى انتهت الى الجرم السماوي ثم اعتبروا الاسباب المعقولة فافضى بهم الامر انى موجود ليس بمحسوس هو علة ومبدء للوجود المحسوس وهو معنى قوله تعالى « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكونن من الموقنين » وقال الفارابي في فصوص الحكم : كل مالم يكن فكان فله سبب ، ولن يكون المعدوم سببا لحصوله في الوجود ، والسبب اذا لم يكن سببا ثم صار سببا فلسبب صار سببا وينتهي الى مبدء تترتب عنه اسباب الاشياء على ترتيب علمه بها فلن تجد في عالم الكون طبعاً حادثاً او اختياراً حادثاً الا عن سبب ويرتقى الى سبب الاسباب ، ولا يجوز ان يكون الانسان مبتدئاً فعلاً من الافعال من غير استناد الى الاسباب الخارجية التي ليست باختياره ، وتستند تلك الاسباب الى الترتيب ، والترتيب يستند الى التقدير ، والتقدير يستند الى القضاء ، والقضاء ينبعث عن الامر وكل شئ مقدره

﴿ تنبيه ﴾

كثيرا ما يقع في كتب الكلام وعلى السنة المحنجين كلمة العلة مراداً بها معطي الوجود وهو الخالق تعالى مشاكلة او مجازاة للخصوم ، واصلمها من استعمال الحكماء لها وغلبتها في كلامهم فسرت للمتكلمين الباحثين في العلم الالهي ومع صحة معناها المذكور فانا لانستجيز اطلاقها عليه تعالى إلا مشاكلة او مجازاة كما قلنا لان له الاسماء الحسنى

* الدليل الخامس *

(طريق الحركة) « ١ »

ن علماء الهيئة المحققين مجمعون على كروية الارض (٢) وانعزالها في الفراغ وعدم ارتكازها على شيء غير قدرة الله تعالى سماؤه ، وانها هي التي تدور حول الشمس ، وان لها نوعين من الحركة تعملهما في آن واحد حركة حول نفسها وهي المسماة بالحركة اليومية وهي عبارة عن دوران الارض حول نفسها من المغرب الى المشرق في مدة اربع وعشرين ساعة مرة واحدة - وحركة حول الشمس وهي المسماة بالحركة السنوية وهي عبارة عن دوران الارض حول الشمس من المغرب الى المشرق ايضا في مدة سنة كاملة

« ١ » من رأى الحكيم ابن مسكويه ان الاستدلال بالحركة على الصانع اظهر الاشياء واولاها (٣) ترى الفخر الرازي يشير الى كروية الارض في مواضع من تفسيره منها في تفسير آية « وهو الذى مد الارض » وآية « ان فى خلق السموات والارض » وكذلك الامام ابن حزم فى الفصل فقد عقد مطلباً لبيان كروية الارض قال فى مقدمته : لم ينكر احد من ائمة المسلمين رضى الله عنهم تكوير الارض ولا يحتفظ لاحد منهم فى دفعه كلمة بل البراهين من القرآن والسنة قد جاءت بتكويرها الخ وكذلك العضد فى موافقه اوسع البحث فيه . ومثل هذا مما لا يصد من اصول الدين كما بينه حجة الاسلام فى تهافت الفلاسفة . ولنا بصدد البحث فى ذلك حتى نوسع المقال فيه وانما جاء عنواً والا فقد تكفل كثير من المحققين فى بيان مقارنة الهيئة بالوارد فى النصوص الشرعية والنوافيه مؤلفات وكذا فى تطبيق الوحي على علومهم وان كان كثير من قواعدهما لم يثبت بعد ثبوتنا لا يقبل الجدال . وقد قال القاضى الوزير جمال الدين ابن القفطى : علوم الهيئة طريق الى الايمان ومعرفة قدرة الله عز وجل فيها احكامه ودبره

وكذلك السيارات كلها تدور حول الشمس والشمس ثابتة بالنسبة الى هذه
السيارات ولكنها تحملها وتدور معها في هذا الفضاء الواسع حول مركز آخر
بعيد جدا كما بسط في محله قالوا والسكون المطلق لا يعلم وجوده في
العالم فان جميع الاماكن وجميع الكرات السماوية مشاهد تحركها ولا يعرف
السكون المطلق الا للفراغ اللانهائي - وبالجملة فمن المحقق الثابت بالحس ان
في عالمنا هذا اشياء متحركة وكل متحرك فهو يتحرك من آخر لانه ليس شيء
يتحرك الا باعتبار كونه بالقوة الى ما يتحرك اليه . وانما يحرك شيء ما باعتبار كونه
بالفعل اذ ليس التحريك سوى اخراج شيء من القوة الى الفعل واخراج شيء
الى الفعل لا يمكن ان يتم الا بوجود بالفعل كما ان الحار بالفعل كالنار يجعل
الخشب الذي هو حار بالقوة حارا بالفعل وبذلك يحركه وبغيره لكن ليس
يمكن لشيء واحد بعينه ان يكون بالقوة والفعل معا باعتبار واحد بل باعتبارات
مختلفة لان ما هو حار بالفعل ليس يمكن ان يكون من هذه الجهة حارا بالقوة
ايضا بل هو من هذه الجهة بارد بالقوة فاذن ليس يمكن ان شيئا يكون محركا
ومتحركا اي محركا لنفسه باعتبار واحد ومن جهة واحدة فاذا اكل ما يتحرك فلا
بد ان يتحرك من آخر واذا كان هذا الآخر متحركا فلا بد ان يتحرك من آخر
ايضا وهذا من آخر وهنا لا يجوز التسلسل الى غير النهاية والالم يكن محرك
اول فلم يكن محرك آخر لان المحركات الثانية لا تحرك الا بما هي متحركة من
المحرك الاول كما ان العصا لا تحرك الا بما هي متحركة من اليد فاذا الابد من
الانتها الى محرك اول غير متحرك من آخر وهذا الذي يعقله الجميع انه الله

جل جلاله :

قال بعضهم : ان الحركة وهي انتقال من حيز الى حيز من لوازم الحدوث ضرورة لان الحركة لا تكون من نفس المادة لان المادة ليس لها حركة من ذاتها والا لكان لها قدرة وارادة فلا بد لها من سبب يحركها خارج عنها هو مبدء لوجود جميع الاشياء . وبه قوام كل جوهر ووجود كل موجود وذلك واجب الوجود سبحانه وتعالى : وقال ابن رشد في التهافت في بيان مادعا الفلاسفة الى الاعتراف بقديم ليس بجسم ولا ذى هيولى : انهم وجدوا جميع اجناس الحركات ترتقى الى الحركة فى المكان ووجود فى المكان ولا ترتقى الى متحرك من ذاته عن محرك أو غير متحرك اصلا لبالذات ولا بالعرض والا وجدت محركات متحركات معا غير متناهية وذلك مستحيل فيلزم ان يكون هذا المحرك الاول ازليا والالم يكن أولا ، واذا كان ذلك كذلك فكل حركة فى الوجود فهى ترتقى الى هذا المحرك بالذات لا بالعرض وهو الذى يوجد مع كل متحرك فى حين ما يتحرك ووجوده شرط فى وجود جميع الموجودات وشرط فى حفظ السموات والارض وما بينهما اهوالى ذلك الاشارة بقوله تعالى « ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا » وقوله « ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم »

وقال ايضا فى مناهج الادلة فى الاستدلال على حدوث الجسم السماوى : ينبغي ان نجعل الفحص عنه من امر حركته وهى الطريق التى تقضى بالسالكين الى معرفة الله بيقين وهى طريق الخواص وهى التى خص الله بها ابراهيم عليه السلام فى قوله « وكذلك رى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون

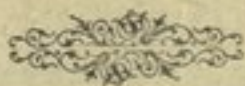
من الموقنين « اه

ورأيت بعضهم يسمى هذا الدليل (برهان القهر بالدوران) قال ان جميع ما نراه بالعين مقهور بالدوران وكذا عموم الكواكب مقهورة ودائرة حول محاورها « وكل في فلك يسبحون » وكذلك المياه والنباتات والحيوانات دائرة ومقهورة بالانتقال من مكان لاخر واما اثبتت فهو نسبي مثل الاجسام الصغيرة ننظرها ثابتة بالنسبة لبعضها لكنها مقهورة بالدوران مع الاجسام الكبيرة كالارض دائرة بما فيها وما عليها . وبالضرورة كل مقهور مفتقر الى قاهر فوفاه والى ذلك الاشارة بقوله تعالى « وهو القاهر فوق عباده »

❖ الدليل السادس ❖

(دلالة التركيب)

ضرورة العقل قاضية بان كل مركب فهو مسبوق بالغير وحاصل بعد العدم ، اما مسبوقيه بالغير فللقدم اجزائه التي تركيب منها كما هو مشاهد في مثل السرير والجدار . واما مسبوقيه بالعدم فلانه مسبوق بعدم التركيب وكل مسبوق بالغير وموجود بعد العدم فهو حادث البتة والعالم باسره من العلويات والسفليات ما بين مركب عقلي كالماهية المتعلقة وما بين مركب خارجي كالاجسام فيكون برمته حادثاً والضرورة قاضية ايضا بان كل حادث فهو مفتقر في وجوده الى موجود وهو ضامه لا امتناع ان يوجد نفسه (افاده البحراني)



* الدليل السابع *

(شاهد التصوير والتخصيص في المواد)

ان كل ما يشاهد من المواد و يُحسُّ فهو مصور بصورة ومكيف بكيفية محدودة
اجلاها الامتداد وهو عبارة عن وجود الابعاد الثلاثة فيها اى الطول والعرض
والعمق وهو لازم من لوازمها وخاصة من خصائصها فلا يمكن ان تنصور مادة
خالية منها ابدا وقد ذهب اساطين الفلكيين الى ان الارض والقمر والسيارات
شكلها كروى وانه يستدل منه على انها كانت مصهورة في سالف عهدها
فاستدارت بواسطة القوة الجاذبة التى وضعها البارئ تعالى فيها كما نستدير نقط
الماء الصغيرة ولا يخفى ان الامتداد والاستدارة شكل من الاشكال المحدودة ذو
صورة وكيفية وكل ما هو كذلك فهو حادث ضرورة ان تحديده وتصويره يرجع
الى مصورٍ قدره اذ الشئ لا يكون فاعلا منفعلا واذا انتهى الى مصور فما هو
الا البارئ المصور تعالى

قال ابن رشد : الفلاسفة يعنون بالمخصص الذى اقتضته الحكمة السبب الغائى
فانه ليس عند الفلاسفة كمية فى موجود من الموجودات ولا كيفية الا وهى
الغاية فى الحكمة وكل مصنوع فانما يفعل من اجل شئ ما هو غاية الحكمة منه
والعبرة فيه . ولو كان اى موضوع اتفق يقتضي اى فعل اتفق لما كانت هاهنا
حكمة اصلا فى مصنوع من المصنوعات ولما كانت هاهنا صناعة اصلا ولكانت
كميات المصنوعات وكيفياتها راجعة الى هوى الصانع وكان كل انسان صانعا
ولكانت الحكمة انما هي فى صنع المخلوق لافى صنع القديم واللوازم باطلة بل كل

ما في العالم فهو الحكمة وان قصرت عن كثير منها عقولنا وان الحكمة الصناعية انما فهمها العقل من الحكمة الطبيعية - اى المخلوقة في طبائع الكائنات - فان كان العالم مصنوعا واحدا في غاية الحكمة فهنا ضرورة حكيم واحد هو الذى افتقرت الى وجوده السموات والارضون ومن فيها فانه ما من احد يقدر ان يجعل المصنوع من الحكمة العجيبة علة نفسه اه

الدليل الثامن

(اضطرار العالم الى تمسك)

قال الامام ابو عبد الله محمد بن المرتضى اليماني في كتابه ايشار الحق : اتفق المسلمون وغيرهم على ان العالم في الهواء ارضه وسماؤه وما فيه من البحار والجبال وجميع الاثقال وقد ثبت بضرورة العقل ان الثقل لا يستمسك في الهواء الا بتمسك وان هذا الامساك الدائم المتقن لا يكون بما لا يعقل من الرياح كما زعمت الفلاسفة على ان الرياح تحتاج الى خالق يخلقها ثم الى مدبر يقدرها مستوية الانفاس موزونة القوة لا يزيد منها شيئا على شيئا حتى تعتدل الاعتدالات من اعتدال الفاعل الماهر من الناس فان الماهر منهم لو قصد الاعتدال التام حتى يستوى على راسه جفنة مملوءة ماء لم يستطع تمام الاعتدال الا برياضة شديدة فكيف تعتدل عواصف الرياح وتقع موزونة وزن القراريط في الصنجات المعتدلة حتى يسوى عليها ثقل الارض والجبال من غير رب عظيم قدير عليم مدبراه وما الطف ما قاله بعض المتأخرين . لما اطلعت المحمودة على ناموس الجاذبية جعلته بدلا من عناية الخالق فالغبي التمسك به يظن انه يقدر بواسطته

على وجود الخالق ولكن العقل الكبير الذي اهتدى الى ناموس الجاذبية العام كان
 عقلا متدينا علم انه ضعيف في ذاته لا قدرة له على ادراك كل شيء ولم ينكر وجود
 الله وكان ادري الناس بغموض اسرار حكته ونواميسه علم - وعلم الناس ايضا -
 ان ذلك الناموس مازال عاملا منذ الازل وهذا كل ما ادعاه وكل ما يقدر ان
 يدعيه سواه . وقد قيل لاحد اتباعه ما هو سر الجاذبية فاجاب « لا يحق للعالم
 الخالي ان يحاول كشف اسرارها فاننا نجعلها تماما ولا نعرف عنها شيئا » اه
 وبالجمله فنظم كل سماء على حدة بدون ربط احدها بالاخري بآلة حسية بل
 بروابط معنوية لمن اعظم مظاهر قدرة القادر واثر الخالق تعالى والى هذا الدليل
 الاشارة بقوله تعالى « ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره » وقوله سبحانه
 « ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا »

* الدليل التاسع *

(طريق الامكان)

هذه الطريقة سبيلها للاستدلال منها على الواجب وجوده تعالى - على ما افاده
 بعض المحققين - ان تبحث في حد الممكن ثم في لوازمه فيتهيأ لك العلم
 بانه مالا وجود له من ذاته ثم تنظر في الموجود وانواعه وموضوعاته فتجد منها
 النبات مثلا وتجد من احوال النبات الموجود انه يوجد بعد ان لم يكن وينعدم
 بعد ان يكون ثم انك تجد ان ما يكون حاله كذلك فلا يمكن ان يكون وجوده
 من ذاته والا لكان وجوده لذاته فلا يسبقه العدم ولا يلحقه والالزم سلب
 ما بالذات عنها وهذا هو معنى الممكن اه ثم ان كل ممكن محتاج الى سبب يعطيه

الوجود وهو موجد الواجب الوجود ، قال ابن رشد : ان الحكماء من اهل
 لاسلام لما نظروا في طبيعة الموجود بما هو موجود آل بهم الامر الى موجود
 غير مركب (ثم قال) والطريقة التي يمكن عندي ان تسلك حتى تقرب من
 الطريقة البرهانية هو ان الموجودات الممكنة الوجود في جوهرها خروجها من
 القوة الى الفعل يكون ضرورة من مخرج اعنى فاعلا يجر كها ويخرجها من القوة
 الى الفعل فان كان المخرج هو ايضا من طبيعة الممكن وجب ان يكون له مخرج
 وينتهي الامر الى واجب الوجود باطلاق اى ليس فيه امكان اصلا لانه
 الجوهر ولا في المكان ولا في غير ذلك من الحركات وان يكون ماهذه صفته
 غير مركب لانه ان كان مركبا كان ممكنا لا واجبا واحتاج الامر الى
 واجب الوجود اه ملخصا

الدليل العاشر

(اشارة التغير والتحول)

قال بعض المتكلمين : ان كل ما في الكون من مادة متغير فكل ذرة من ذرات
 الهباء وكل جرم من اجرام الارض والسماء محل للتغيرات في الهيئات والحركات
 وسائر الاعراض . والتغير التحول من حال الى حال لا التلاشي ولا استحالة
 الذوات بان يصير الحديد اكسجيننا (١) والعوسج (٢) عنباً والبوم هزأراً .
 ثم بالضرورة لا بد لكل تغير من سبب يحدثه . وهذا مما اثبتته العلم عندهم
 (١) الاكسجين يسمونه بالروح المنتشرة لانتشاره في جميع الاجسام وبه حياة
 الانفس وحياة النار لانها تشعل به وهو جسم غازي خلوي اللون والطعم والرائحة
 ومنه تتولد جميع الحوامض والاملاح اه روضة الامرار (٢) شجر كثير الشوك

وقطع به عقلاؤهم حتى الماديون وذلك ان الاجرام السماوية عند جمهور علماء
 الهيئة اليوم على اختلاف مذاهبهم كانت في اول امرها غبارا في الفضاء
 تتوقد في باطن السماء ثم بردت على مرور السنين والدهور ومنها ارضنا وهي لما
 برد سطحها ظهر برها ثم ارتفعت جبالها وتغير وجهها تغيرات غريبة لوفرة العائل
 التي لا تنفك تؤثر فيها على مر الثواني ، فدولاب الكون والفساد - اعنى زوال
 الصورة عن المادة بعد ان كانت حاصلة - لم يسكن منذ كانت الهيولى الى
 هذه الساعة والى اشاء الذي لا حركة ولا سكون الا بامر ارادته سبحانه
 وتعالى . وعلل التغير حلقات سلاسل كل منها علة لما بعده ومعلول لما قبله
 وبالضرورة لا بد من انتهاءها الى مصرف ومدبر يتصرف فيها بقدرته وسنته
 وهو موجودها وربها تبارك وتعالى اه كلامه وهو استدلال بما تقرّر لديهم
 لابأس به لاقتناعهم والافسلة اصل تكون السماء من الغيوب وقد قال تعالى
 « ما شهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ
 المضلين عضدا » وسياتي ثمة لهذا

* الدليل الحادى عشر *

(اقتضاء ارتباط الافراد ارتباط المجموع)

من المقرر ان لسائر الكائنات على اختلاف انواعها نسا الى نوايسها المبدعة
 وان ارتباطها بها ارتباط العلل بمعلولاتها والاسباب بسببياتها يحفظ بها وجودها
 وتظهر منها آثارها فكل انسان يعلم وجوده من غيره وكل زهرة ينوقف حياتها
 على تأثير الشمس والمطر لتنمو فضلا عن انها مستمدة من زهرة غيرها باللقح

والا لما ثبتت ، فكل هذه الكائنات علل ومعلولات مرتبطة ببعضها وليس من شيء يرى انه احرز وجوده من نفسه ولا يتأق القول بانها احرزت وجودها بعلة داخلية لان كلاً منها هو علة لغيره ولا يمكن ان يقال باستغنائها عن علة لان ذلك - عدا عن كونه يرفضه العقل السليم - لو صح لكان لنا مجموع كائنات لا علة لوجودها ويفضى ذلك الى النتيجة الآتية وهي : ان الكائنات كل فرد منها له علة لكن مجموعها لا علة له ولا سبب ولم يبدئه احد : وهو من غرائب الخبط فلا بد اذن من ان تكون علة هذه الكائنات خارجة عنها وذلك مبدعها وخالقها تبارك وتعالى

الدليل الثاني عشر

(الحياة الحيوانية والنباتية على وجه الكرة)

من اظهر البراهين على وجوده تعالى الحياة على الارض ان نباتية او حيوانية فان الحى لا يتولد الا من حى وبه يستدل على نفي التولد الذاتى وهو زعم تولد الحى من المادة وذلك لان المادة خالية من الحياة ساكنة خاضعة للنظام الذى وضعه لها خالقها ويستحيل ان تولد حياة فى ذاتها او غيرها لاسيما العقل الانسانى بجميع قواه وغرائزه فانه لا بد له من خالق عالم حكيم اذ المواد لا تولد عقلا ولا تستطيع ان تخرج كائنا جهازيا متصفا باوصاف مبنية لنظام المادة . ومما استدل به على نفي التولد الذاتى ثلاثة ادلة ، الاول ان الحياة اما قديمة واما حادثة والاول باطل لخلو المادة منها دهورا كما تبين من المباحث الجيولوجيه (١) فثبت انها

(١) وهي التى تبحث عن طبقات الارض وعن المتحجرات من النباتات والحيوانات

حادثه لعدم الوساطة بين القدم والحدوث فلو ثبت التولد الذاتي وان لاخالق للحياة لزم انها حدثت من لا شئ ، وهو باطل بالبديهية وبقول الماديين انفسهم لان من اول مبادئهم ان لا شئ ، من لا شئ ، فالتولد الذاتي باطل ولا بد للحياة من خالق ،

الثاني انه قد ثبت ان الحياة محدثة فلا بد لها من محدث وهو اما المادة او غيرها والاول باطل والالزم ان المادة لم تنفك عن الحياة قط ضرورة لزوم العلة لمعلولها وعدم انفكاكها عنه وقد تبين بطلانه فانفي التولد الذاتي وثبت ان للحياة خالقا غير المادة وانه خالق مختار تقدرت ذاته وجلت صفاته ،

الثالث ان علماء الماديين وغيرهم في هذا العصر بذلوا جهدهم في اقتراء التولد الذاتي وشغلوا بالامتحانات سنين كثيرة فلم يات بنتيجة وقال جمهور ارباب الارتقاء «لاحي الا من حي» وهزوا بالقول بالتولد الذاتي وعدوه هذيانا وسياتي بسط لهذا ان شاء تعالى في المطلب الثالث

الدليل الثالث عشر *

(نظام الاكوان وما فيها من الاحكام والاتقان)

يرى كل من له قلب ان انوار وجود الله تعالى تسطع على صفحات ذرات الكون كالشمس ليس دونها حجاب فانه لما كان في غاية النظام والاحكام استلزم بدهة وجود مدبر عالم بديع الصنع . بيانه انا نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على حال من الترتيب والاحكام وربط الاسباب بالمسببات واستحالة بعض الموجودات الى بعض لا تقتضي عجائبه ولا تنتهي غاياته بالضرورة

هذا الترتيب المحكم لا يكون له وجود لولا وجود خالق مدير لنظامه مریدلسيره
 في سنه ، تري من يسهه ان يفرض ان آله التلسكوب (١) اوجدت نفسها
 للاستطلاع على حركات الاجرام . وهل يمكن ان يكون المنزل صنعة بلاصانع ،
 فمن الضرورة وجود صانع رسم صورته وفصله لكي يكون جديرا بالسكنى فما
 بالك بنظام الكون وتركيبه لاجرم انه اعلى واعظم من صنع البشر بما لا ينقاس
 وعلامات الارادة ظاهرة فيه

هذا الدليل اورده بعضهم كما ذكرنا وسبق نحوه اولاً مفصلاً

* الدليل الرابع عشر *

(آية الانسان)

كل من فهم الحكمة في انواع الموجودات ازداد علماً بمعرفة بارئها و يقينا بعظمة
 فاطرها ومن اشرف تلك الانواع وافضلها واكرمها الانسان ودلالته على خالقه
 تعالى من وجوه عديدة .

منها انه لا توجد لغة من لغاته خالية من اسم الله تعالى واللغة تعبر عن افكار
 الانسان ووجدانه فيكون ذلك دليلاً على ان العلم بوجوده تعالى امر عام
 مطبوع على صفحات القلوب ومنقوش على الواح الافئدة كما تقدم في برهان
 الفطرة ، ومنها باعث الادب في الانسان وهو الوازع الرحماني اعنى صوت
 الضمير الحاض على عمل الخير والمادح على فعله والزاجر عن المنكر واللائم على
 ارتكابه فانه يستلزم ضرورة موجد الوجده وخالق قدره ، ومنها التخالف في انواعه

(١) التلسكوب المنظار الذى يكشف الاجسام البعيدة السماوية

قال بعض المحققين في تفسير قوله تعالى « وما خلق الذكر والانثى » وانما اقسام بذاته بهذا العنوان لما فيه من الإشعار بصفة العلم المحيط بدقائق المادة وما فيها والإشارة الى الابداع في الصنع اذ لا يعقل هذا التخالف بين الذكر والانثى في الحيوان يحصل بمحض الاتفاق من طبيعة لا شعور لها بما تفعل كما يزعم بعض الجاحدين فان الأجزاء الاصلية في المادة متساوية النسبة الى كون الذكر او كون الانثى فتكوين الولد من عناصر واحدة تارة ذكراً وتارة انثى دليل على ان واضع هذا النظام عالم بما يفعل ، محكم فيما يضع ويصنع اهـ ، ومنها ان نفس الانسان وخلقته وتكوين اعضائه من اعظم الادلة على خالقه وفطره قال الغزالي: في آدمى آلف من العضلات والعروق والاعصاب مختلفة بالصغر والكبر والرقة والغلظ وكثرة الانقسام وقلته ولا شيء منها الا وفيه حكمة او اثنتان او ثلاث او اربع الى عشر وزياده اهـ

وبالجملة ففي هيكله من العجائب الدالة على حكمة مبدعه ما تنقضى الاظهار دون بعضه . ومن بطالع علم التشريح - وهو الذي يهم كل نبيه مراجعته - يجد فيه من عجائب صنع الله وبدائع حكمته ما يضطر معه الى الاعتراف بقادر حكيم ومدبر عليم ولذلك قيل : فكرك فيك بكفيك : وهذا معنى القول المشهور : من عرف نفسه عرف ربه : قال الامام ابن رشد : من اشتغل بعلم التشريح ازداد ايمانا بالله تعالى : ومن بدائع ابي العلاء المعري قوله عفا الله عنه عجبى للطبيب يلحد في الحيا لى من بعد درسه التشريحا ولقد علم المنجم ما هو حب للدين ان يكون صريحا

من نجوم نارية ونجوم ناسبت تربة وماء وريحا
فطن الحاضرين من يفهم التعرّيب حتى يظنه تصريحا
وهكذا بقية عجائب المواليد، وقد اظهر المكرسكوب (١) في الخلق عالما
جديدا من الاجسام الحية تحار لصغرها العقول فان هذا المنظار يُري في قطعة
صغيرة مما يحملها الوفا يشاهد جهاز اعضائها ودوران سوائلها في اوعيتها مما
يبرهن على قدرة قادر كبير، يرجع دون ادق مكوناته البصر وهو حسير.

❖ الدليل الخامس عشر ❖

(الاعداد والتهيئة في الموجودات)

قال بعضهم : حسب الباحث ان ينظر في قضيتي الاعداد والتهيئة اللتين يراها
في كل ما في الدنيا لغاية مستقبلية . فان هذا الاعداد لا يمكن ان ياتي من
الاشياء نفسها وهو نتيجة حكمة فائقة المدارك والمشاعر فالطفل في احشاء امه
مزود بالارثه وهو مازال بالاحشاء لا يستخدمها وانما زود بها لكي يستخدمها
اذا خرج الى الدنيا وهكذا يقال عن عينيه واذنيه وقدميه ويديه فيرى المعبر
ان عملها في مستقبل بعيد وهذا من اقوى الادلة على تدبير خالق حكيم
اذ ليس هذا من الاشياء نفسها لاستحالة كون الشيء فاعلا وقابلا ، ولا من
موادها لخلوها عن المدارك ، ولا من امه لانها لا علم لها بما يجري في ظلمات
احشائها ثم ان غرائز الحيوانات ايضا من هذا الباب اذ لا يكتسبها
الحيوان بتعليم او تلقين لكونه غير قادر ان يتصور او يتبصر . وناهيك ان
(١) هو المنظار الذي يكشف الاشياء الدقيقة ويعظمها

الحيوان الذي يعيش على انفراده معتزلا عن غيره هو مزود بهذه الغرائز ، ومنه ما يصنع وكره بمهارة تكل دونها احق العقول البشرية مع أنه لا يدري ماذا يفعل من هذه الافعال الغريزية التي طبعت فيه ليدوم بها حفظ نوعه فلا اختبار اذن لم يعلم شيئا اذ هو معتزل عن غيره فمن اين له هذه المعرفة السامية ، لا جرم ان ما يعرى عن المعرفة لا يتجه الى غاية مالم يسدّ اليها من موجود عالم مدبر كما يسد السهم من الرامي اه « وما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم »

* الدليل السادس عشر *

(اخذ الاعمال في الترقى)

ما يستدل به بعض المتكلمين على وجود الخالق تعالى امر اخذ الصناعات في الترقى وبقاء نظام الكائنات على رقيها لان تعدد الصانع الحادث وترقى صنعه في التحسن بترقيه في العلم وتنازعه في الكثرة كالنجار والنجارة والحديد والحداة وهكذا من اوضح الادلة على وجود صانع قديم ووحدته وكمال علمه وقدرته وظهور صنعه كاملة على ابداع اتقان كالارض ومعادنها والسموات وكواكبها والماء والهواء والنبات والحيوان ولو كان حادثا لتعدد وكان ناقصا في العلم والقدرة ولظهرت صنعه غير كاملة ولترقت بالتحسين بترقيه في العلم وتنازعه في الكثرة ، وانتفاء هذه اللوازم يدل على انتفاء المزوم اعنى الحدوث فيثبت المطلوب وهو وجود الخالق الحكيم ووحدته تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

✽ الدليل السابع عشر ✽

(عشق الموجودات للكمال)

تبين في الحكمة المتعالية ان لكل موجود من الموجودات العقلية والنفسية والحسية والطبيعية كمالاً مقسراً وعشفاً ركز في ذاته شوقاً الى ذلك الكمال وحركة الى تكميمه ، فكل احد عاشق للوجود طالب كمال الوجود نافر عن العدم والنقص ، وكل ما هو مطلوب فانما يمكن حفظه وادامته بما هو تمامه وكمالها فالمعمل لا يدوم الا بعلمته لكونها كماله وتمامه ، والحرارة لا تحفظ ولا تدوم الا بجمرة اقوى منها ، والنور لا يكمل الا بنور اقوى منه ، والعلم الناقص الظني لا يتم حتى يصير يقينياً لا يزول ، وكل وجود ناقص لا يصير كاملاً الا بما هو اقوى منه وهو علمته وبما يديم ذاته ويحقق هويته ، فالهوى لا يتم الا بصورتها والصورة لا يتم الا بصورها ، والحس لا يتم الا بالنفس ، والنفس لا يتم الا بالعقل ، والعقل لا يبقى الا بمن يفيض عليه كماله ، (وهو موجوده) فاذا نكل ناقص ينفر عن نقصه ويسعى الى كماله ويتمسك به عند نيله فيكون كل شيء لا محالة عاشقاً لكمالها لانه مرجع الكل وغاية الكل وحيث ان جميع الموجودات متوجهة الى الحق الاول توجهها غريزياً ونازعة اليه نزوع افتقار واحتياج ، يقول بعضهم في هذا المعنى : ان ما بنا من النقص الذائق والضعف الجبلي يقودنا بحكم ناموس التضاد الى القول بوجود مدير كامل فانه كما ان لكل شيء ضداً كالتور والظلام والعدل والظلم والموت والحياة والقدم والحدث كذلك العلم المحدود يقابله العلم الغير المحدود والقدرة الناقصة يقابلها القدرة الكاملة : وبالجملة فنقص

الآدمي وعجزه وشوقه لبلوغ امانيه وسعيه وراء كمالات لا يدري غايتها. ونقضه اليوم ما لبرمه بالامس مما يبرهن على ان في الغيب قدرة قاهرة وكالا باهرا تنتهي اليه الاماني وتطمئن به القلوب ومن هذا قول بعض السلف (١) لما سئل بم عرفت ربك قال : عرفته بنقض العزائم وفسخ المهمم

* الدليل الثامن عشر *

(استحالة كون العالم علة لنفسه في طريقة انحصار عقلي)

تقرير هذا الطريق ان يقال : العالم اما انه احدث ذاته او حدث بغيره ان يحدثه غيره وبغيره ان يحدث هو نفسه ، او يكون احدثه غيره . فان كان هو احدث ذاته كان علة لنفسه متقدما عليها فلزم كونه قبل ان يكون وهو محال ، وايضا فانه يوجب ان يكون الشيء غير ذاته وهذا محال باطل بالمشاهدة والحس ، وان كان خرج عن العدم الى الوجود بغيره ان يخرج هو ذاته او يخرج غيره فهذا ايضا محال لانه لا حال اولى بخروجه الى الوجود من حال اخرى ولا حال هناك اصلا فاذا ايسيل الى خروجه وخروجه مشاهد متيقن ، واذا بطل ان يخرج العالم بنفسه وبطل ان يخرج دون ان يخرج غيره فقد ثبت الوجه الثالث ضرورة اذ لم يبق غيره البتة فلا بد من صحته وهو ان العالم اخرجته غيره من العدم الى الوجود وهو بالضرورة الخالق تعالى (اشار له ابن حزم في الفصل) وثم في باب الانحصار الملزم طريقة اخرى اشار لها بعض المحققين قال : ان وجود الاشياء اما بالاتفاق والصدفة . واما بالضرورة واما بالقصد والارادة .

(١) نسبة الدواني الى جعفر الصادق . والخوارزمي الى الحسن بن علي رضي الله عنهما

وكل من الاول والثاني باطل . اما الاول فلانه يقتضى وجود معلول بلا علة
 واما الثانى فيقتضى ان الاشياء على ما هي عليه الآن كانت كذلك منذ الازل
 والواقع خلاف ذلك على ما ثبت في مباحث التكوين . وحينئذ كيف توزعت
 عناصر العالم على نسبتها المعلومة . ولما اذا كان الذهب اقل من الحديد والحديد
 اقل من الصلصال . وكيف استنسبت الكرة الارضية في خواص موادها
 وصفاتها ومقدارها وتوزعها على مقتضى حاجة الاحياء وانتشارها ونموها .
 وكيف نشأت الحياة في الجماد . ما ذلك الا لان كل حي قائم بعناية خالق
 ضابط الكل فالعالم مخلوق فثبت الخالق الازلى :

وهذه الطريقة من الادلة العلمية . والعلم الحق دليل على الاله الحق اه

الدليل التاسع عشر

(طريق الازلام)

يقال لمن قال لم نر شيئاً حدث الا من شئ . اوفى شئ . هل تدرك حقيقة شئ
 عندكم من غير طريق الرؤية والمشاهدة او لا يدرك شئ . من الحقائق الا من
 طريق الرؤية فقط ، فان قالوا انه قد تدرك الحقائق من غير طريق الرؤية
 والمشاهدة تركوا استدلالهم وافسدوه اذ قد اوجبوا وجود اشياء من غير طريق
 الرؤية والمشاهدة وقد نفوا ذلك قبل هذا فاذا صاروا الى الاستدلال نواظروا
 في ذلك الا ان شبهتهم هذه قد بطلت ، فان قالوا لا بل لا يدرك شئ . الا من
 طريق المشاهدة قيل لهم فهل شاهدتم شيئاً قط لم يزل فان قالوا لا صدقوا
 وابطلوا استدلالهم وان قالوا نعم كابروا وادعوا الى مشاهدته اذ مشاهدته

قائل هذا القول للاشياء هي ذات اول بلا شك وذو الاول هو غير الذي
لم يزل لان الذي لم يزل هو الذي لا اول له ولا سبيل الى ان يشاهد ماله اول
ملا اول له مشاهدة متصلة ، فبطلت شبهتهم هذه على كل وجه (اشارة
الامام ابن حزم ايضا)

﴿ الدليل العشرون ﴾
(اعمار الكائنات)

مما يبرهن على ان الكائنات حادثة حتى عند الماديين انهم يقدرون للارض
والشمس والكواكب وغيرها اعماراً لقطعهم بحدوثها (١) وهم قاطعون ايضا بان
الموجود لا يصدر عن نفسه ولا عن معدوم كما قال تعالى « ام خلقوا من غير
شيء ام هم الخالقون » فتعين ان يكون لهذه الموجودات كلها مصدر وجودي ثم
انهم جازمون ايضا بان مصدر الكائنات والاصل الذي وجدت منه غير
معروف في ذاته وانما يجب ان يكون موجودا ذاقوة للمادى منهم يقول المادة
مع القوة اصل الموجودات كلها فاذا سألته ما هي المادة التي تعنيها يقول ان
حقيقتها غير معروفة فكأنه اختلف مع غيره في التسمية والتفق الجميع على ان

(١) التاريخ العبراني يذكر ان اصل الانسان لا يتجاوز سبعة آلاف سنة وينقل عن
كتابات الكلدانيين ان شعبهم يعود الى سبعمائة الف سنة ، وصحح آخر ان شعبهم
لا يتجاوز الجيل الثالث والعشرين قبل عصرنا الحالي ، ويرجع بعض علماء الجيولوجيا
ان بداية التاريخ الجيولوجي منذ نحو مائة الف الف سنة لان سطح الارض قبل
ذلك لم يكن صالحا للحياة الحيوانية ولا للحياة النباتية ، ولا يخفى ان الحقيقة في علم
التاريخ لا تقوم بمثل هذه الاقوال بل لا بد من اقامة الحجة والبرهان على تحقيق
ذلك او تقريبه من الحقيقة على الاقل الا ان نفع ذلك في بحاجة من يعتقد.

هذه الكائنات كلها قد صدرت عن موجود ذي قوة حقيقية غيره معروفة الكنه وهو ما عليه المسلمون (٢)

(اقول) يشبه هذا ما يذكره علماء الجدل من باب الاسترسال مع الخصم والاستنزال ارادة نزوله عن فاسد عقيدته . قال تقي الدين السبكي في قوله تعالى « وكذلك نزي ابراهيم » الى قوله « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه » هذا تعليم من الله سبحانه لابراهيم عليه الصلاة والسلام للحجة على قومه فاراه ملكوت السموات والارض وعلمه كيف يحتاج قومه وقال له حاججهم في مقام بعد مقام على سبيل التنزل الى ان تقطعهم بالحجة . ولا يحتاج مع هذا الى ان نقول الف الاستفهام محذوفة ، ويؤخذ منه ان المقول على سبيل التنزل ليس اعترافا وتسليما مطلقا وقول الفقهاء تسليم على سبيل التنزل . معناه هذا اي انه يقول نقدر ان الخصم نطق به فننظر ما يترتب عليه اه (١)

❖ الدليل الحادي والعشرون ❖

❖ تاريخ البشر ❖

بسمي قوم هذا الدليل بالدليل الاجماعي وذلك انه ارانا تاريخ البشر ان جميع الناس من مبدء فطرتهم وجميع القبائل والامم هم ذوو اميال دينية حتى انه لا يوجد شعب في عصر او مكان دون ديانة اصلا وان كان منهم من انخرق في دينه بما زاد او نقص فضل واصل الا ان معرفة الله مغروسة في قلب افراد الانسان

(٢) هذا الدليل قرره بعض المحققين ثم قال هو اقرب الدلائل تنبيها واقناعا لعقول المشتغلين بالعلوم العصرية اه

(١) نقله عنه ابنه التاج في ترجمته من طبقاته

وهي من البديهيات في النفس اذ الناس جميعهم يشعرون بانهم متعلقون بآله
 عظيم، ومربوبون لرب ازلي قديم، وهذا الشعور لا يمكن ان يكون اختراع عقل
 بشري، لانه سبق كل تقدم على، ولا يمكن للمرء ان ينتزعه من فواده لا متزاجه به
 امتزاجا يقلب كل وسواس وقد قال بعض من ذرع الارض برحلاته، ودرس
 احوال الامم بتقبياته، انه يمكن ان نجد بلادا خالية من الاسوار والعلوم السلطنة
 او البيوت والسكان او الدراهم والنقود وقوما غير خبيرين بالمدارس والمحافل والملاهي
 وما من رجل راي مدينة خالية من معابد الله وغير قائمة بصلوات وایمان وعبادات
 تقام للفوز بآرب، اولدفع بلاء وتفرج كرب، فهذا دليل على ان الله خلق البشر
 وزودهم بمواهب روحية تمكنهم من معرفة وجوده معرفة تنبعث من النفس وتصدر
 من صميم القلب ولذا فكل انسان متى بلغ من القدرة ان ينظر في امور دينه
 يعتقد ذلك طبعا كما يعتقد الانسان بوجود الشمس عند فتح عينيه لنورها. وقد
 تاكد نعميم العاطفة الدينية في الجبلية الانسانية عند افتتاح اميركا واستراليا
 والاراضي المجهولة فقد راي الرحالة النغابة بعد الفحص المدقق مصداق ما تقدم
 انه لا يمكن ان يوجد مكان خال من مساجد الله وذكر اسمه الجليل، ولا يسعنا
 ان نورد كل ما شاهده الرحالة الذين قدموا الى تلك البلدان ولا ان نذكر عقائدهم
 التي تداولوها الا انا نقول بالاجمال : ان الاعتقاد بواجب الوجود ووجود النفس
 من اركان ديانتهم وكذا الاعتقاد بمكافاة الصالحين وبمجازاة المفسدين، بل
 شوهد عند اعظم الشعوب توحشا وهمجية الاعتقاد بوجود مولى عظيم في السماء :
 وقولنا انما ان الدين والاعتقاد بوجود الله سببا لكل تقدم نريد به انها ظهرا مع

ظهور الانسان ووجوده على الارض ولذلك فلا يعلم شي من امر القديما الا انهم
ذوو اديان

قلنا سمى بعضهم هذا الاستدلال بالدليل الاجماعي لآخذه عن اجماع الامم على
الاقرار بوجود آله قد ابدع الكائنات من عدم المادة وهو لا يزال يكفوها ويدبر
شؤونها ولا اخالك تجهل ان اجماع الامم على حقيقة لا يكون الامعصوما عن الضلال،
وما يزعمه زاعم من ان بعض امم لم يعرفوا الخالق تعالى فما هو الادعاء باطل كما
تبين للمؤرخين والمستقرئين الآن الذين جالوا بين اولئك الشعوب وتعلموا لغاتهم
واستقروا اخبارهم فوجدوهم على اتم اتفاق على الاقرار بوجود الله سبحانه وقد اتوا
بتفاصيل لا يشوبها ريبة: وعلى فرض صحة ان بعض الشعوب الضار بين في معامى
الارض لا تعرف الخالق فانهم نفر قليل يعدون من الشواذ (ولكل قاعدة شذوذ
ويحال شذوذهم على مرض عرض على هذا الشعور الفطري كما يعرض للاحساس
بالخلاوة مرض يمنع من ادراكها وكما يعرض لبعض مراكز المخ شيخي يحول
دون ادراك بعض المعلومات مع سلامة سائر المدارك: وهكذا يجاب عما يقال
بان من المعطلة من لا يشك بسلامة عقولهم فان من الناس من يضعف ادراكه
لشي واحد وان كان قويا في غيره ولم يعرف احد قويت مداركه في كل فرع
من انواع الادراك: هذا ان سلم وجود من لا فطرة له ننزلا والا فما من فرد الا ويولد
على الفطرة ولا من شعب الا هو ذو ديانته يعول عليها في امر عقائده

وسكان الكرة اليوم معددهم (١٤٤٠) مليوناً (١) يعترفون باله خالق قديم فهل

(١) على ما استقره علماء الجغرافيا كما نراه في اسفارها المطولة

يكن ان تكون شهادة (١٤٤٠) مليوناً بوجود خالق قديم حكيم الاحقاوصدقا
 بلى ، وهل في وسع وهم ان ينتشرين (١٤٤٠) مليوناً من الخلائق العاقلة
 كلا فان خجل الكذب قصير والتوبة لا يصير طعماً . وكأني بمن يقول : الحق
 لا يصير حقا بكثرة معتقديه ، ولا يستحيل باطلا بقلّة منجليه ، وكذلك الباطل ،
 فيقال هذا في مقام فيه قلّة وكثرة اما فيما احاط به الاجماع والاتفاق من سائر
 متاحيه ، فلا يقال ذلك فيه ، وقد اوضحنا الاجماع والاتفاق على فطرة التوحيد ،
 على ان العاقل كما قالت الحكماء يظن بالرأى الذي سبق اليه الاتفاق من جملة
 الناس وافاضلهم انه اولى بالتقديم والايتار ، واحق بالتعظيم والاختيار ، لانه
 يكون مقوماً بالبحث مخبوراً بالفكر مصقولاً على الزمان تلمسه كل يد وتجلّيه كل
 عين ويصير ثباته على صورته الواحدة دليلاً قوياً وشاهداً زكياً على حقيقته لانه
 يبرأ حينئذ من هوى ويمرّ من تعصب ناصره ويبقى بصورته الخاصة ويمجى
 مجرى السكينة التي لا تحتاج الى علاج المعالج وتمويه الموه واتقاد المنتقد وتمفيق
 المنفق وحيلة المحتال

قال الحكيم المعلم الثاني الفارابي : انا نعلم يقيناً انه ليس شئ من الحجج اقوى
 وانفع واحكم من شهادات المعارف المختلفة بالشئ الواحد واجتماع الاراء الكثيرة
 اذ العقل عند الجميع حجة . ولاجل ان ذا العقل ربما يخيل اليه الشئ بعد الشئ
 على خلاف ما هو عليه من جهة تشابه العلامات المستدل بها على حال الشئ ،
 احتيج الى اجتماع عقول كثيرة مختلفة فمهما اجتمعت فلا حجة اقوى ولا
 يقين احكم من ذلك ، ثم لا يفترنك وجود اناس كثيرة على آراء مدخولة فان

الجماعة المقلدين لراى واحد المدعين لامام هو مهم فيما اجتمعوا عليه بمنزلة عقل واحد والعقل الواحد ربما يخطى . فى الشئ الواحد حسب ما ذكرنا لاسيما اذا لم يتدبر الراى الذى يعتقد مراراً ولم ينظر فيه بعين التفتيش والمعاندة . وان حسن الظن بالشئ . او الالهمال فى البحث قد يعمى ويخيّل . واما العقول المختلفة اذا اتفقت بعد تأمل منها وتدريب وبحث وتنقيح ومعاندة وتبكيك واثارة الاماكر المتقابلة فلا شئ . اصح مما اعتقدته وشهدت به واتفقت عليه اه ونحن نجد لالسنة المختلفة متفقة فى هذا الباب ، تقول هذا تنزلا مع من يشاغب وتثويماً للاستدلال عليه والا فالحق اوضح من ان يشارى بين يديه ، واظهر من ان يرهن عليه .

اذا نظر الانسان الى امر العقيدة والدين يجد ان عقله يحمله عليه وقلبه يشعر به ويقضى بضرورته لما باقى من حل مسائل ليس لعقل اكبر حكيم ان يتفصى عنها او يحل عقدها فالعقيدة مركز جميع الفضائل ، وفلسفة جميع الاعصار والاعمار ووركن الاخلاق ، وقوة الشرائع ومفرعها ، وعماد الملوك ونصرة الشعب وسلوة الحزين .

❖ الدليل الثمانى والعشرون ❖

(أمر النبوت وآياتها الباهرة)

ان النبوت وآياتها البينة . ومعجزاتها الباهرة . امر كبير وبرهان منير . فقد جاءت الرسل عليهم السلام تترى مبشرين ومنذرين عاصدين لفطرة الله التى فطر الناس عليها فادعوا وبرهنوا وقاوموا وانتصروا فلم يكن أشقى ولا انفع من

النظر في كتبهم وهداياهم وآياتهم ومجزاتهم ، وقد اعتضد ذلك بأمرين ،
 أحدهما استمرار نصر الانبياء في عاقبة أمرهم واهلاك اعدائهم بالآيات الرائعة
 وثانيهما سلامتهم واتباعهم ونجاتهم على الدوام من نزول العذاب بهم كما نزل
 على اعدائهم وذلك بين في القرآن وجميع كتب الله تعالى وجميع تواريخ العالم
 ومن غريبها الذي لا يكاد احد ينظر فيه حفظهم مع ضعفهم من الاعداء
 الاقوياء ثم يعتضد هذا ايضا بما يناسبه من كرامات الصالحين (١) وعقوبات
 الظالمين المتواترة والمشاهدة ، ثم ما وقع من تكرار نصر الله تعالى للحق والمحقين
 وانهم وان ابتلوا فالعاقبة لهم كما يشهد له استقرار التاريخ ، ثم ما قد وقع للانسان
 من اجابة الدعوات (٢) وكشف الكربات ، وستر العورات وتيسير الضرورات

(١) الكرامات جمع كرامة وهي امر خارق للعادة يكرم الله به من شاء من اوليائه
 واصفيائه . والكرامة جائزة عقلاً لامتثالها من جملة الممكنات التي لا تستحيل على القدرة
 الآلية — وواقعة نقلاً في آيات مشيرة لذلك واحاديث صحيحة واخبار متواترة قال
 محشى البصائر : وقد يحصل الاشتباه من اشتراك لفظ العادة والاشتباه في معنى لفظ
 الخارق فيعتقد ان كل ماخالف ما لوف العادة فهو كرامة ولو اخذ لفظ العادة على ما وضع
 في التعريف وهي سنة الله المطردة في الخليفة باسمها وفهم معنى الخارق لها وهو ما يصدر
 من القادر المختار على خلاف ما قرره في نظام الخليفة لانكشف غمة الوهم في هذا
 الباب : جعلنا الله بمن يوالي اوليائه . ويعادى اعداءه بينه وفضلته

(٢) امر اجابة الدعوات لكثير من الداعين امر لا ريب فيه لوروده في المكتتب
 المنزلة والاحاديث الصحيحة ووقوعه الى الآن في قضايا لا يحصيها الحسبان . قال
 الاثمة : اذا اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه وصدق لجأه الى الله تعالى وحضور قلبه
 وجمعيته بكينته على المطلوب وصادف منه خشوعاً وانكساراً وتضرعاً ورفقاً والمحاكاة في
 المسئلة وتوسلاً اليه سبحانه باسمائه وتوحيده فيكاد ان لا يختلف الاستجابة وذلك ان —

وقضاء الحاجات وكشف المشكلات ، في المعارف الخفيات . وهذه الاشياء
اذا ختمت الى البراهين حصل من مجموعها قوة يقين كثيرة (اشار لذلك
السيد ابن المرتضى اليماني في ايثار الحق)

❖ لطيفة مؤيدة ❖

من راي العلامة المرجاني ، محشى شرح الدواني ، ان تصديق النبي هو اول
الواجبات (قال) لان العلم الثابت بخبر الرسول المؤيد بالمعجزات ، يضاهي
العلم الثابت بالضرورة في التيقن والثبات ، (قال) ولان الاحكام الشرعية كلها
حتى وجوب تصديق مدعى النبوة وصدق دعواه في البعثة تثبت بخبر الرسول
لان ما يسطي وجوب الاعتقاد هو الشرع لان الحاكم عندنا هو الله تعالى ليس الا
ولا يلزم الدور من ثبوت الشرع بنفسه لانه لا يتوقف الا على العلم بصدقه
وهو حاصل لتمكن العاقل منه فرط التمكن كانه مر كوز في فطرته يكفيه

— الادعية بمنزلة السلاح والسلاح يضار به لا يجده فقط . قال الامام ابن القيم في
الجواب الكافي : وهما سؤال مشهور وهو ان المدعو به ان كان قد قدر لم يكن بد
من وقوعه دعا به العبد او لم يدع وان لم يكن قد قدر لم يقع سواء سأل العبد او لم يساله
فظلت طائفة صحة هذا السؤال فتركت الدعاء وقالت لافائدة فيه . وهو لا مع
فرط جهلهم يتناقضون فان طرد مذهبهم هذا يوجب تعطيل جميع الاسباب فيقال
لا حدم ان كان الشيع والري قد قدر لك فلا بد من وقوعهما اكلت او لم تاكل وان
لم يقدر لم يقع اكلت او لم تاكل (الى آخر ما اطال به واطاب مما حاصله ان الدعاء
نوع من الاسباب المقدره وهكذا حقق ذلك العلامة الشيرازي في اواسط السفر الثالث
من اسفاره الاربعه : وما الطف ما الجاب به بعض الصوفية لما سئل مالنا ندعوه تعالى
فلا يستجيب لنا فقال لانه دعاءكم فله تستجيبوا له :

الذكير من الشارع بحمله على الالتفات الى دعوته فاذا التفت اليه المخاطب ادنى التفات يحصل له المعرفة بصدقه كما قال الله تعالى « كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولو الالباب » اي ليستحضروا ما هو كالمركز في عقولهم لفرط تمكنهم منه فثبوت الاحكام كلها في نفس الامر بالوضع الالهي والامر التكويني وثبوت الحججة على المخاطب به بنفس اخبار النبي لفرط تمكنه من معرفته فلوانكره عناداً او تساهلاً فقد حقت عليه الضلالة وسبقت اليه الشقاوة نعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا ولوننزلنا عن دعوى الضرورة والظهور فنقول ثبوت المعجزة وصدق النبوة يستند الى قضية عقلية يعطيها النظر في احوال النبي وافعاله واخباره واقواله التي تضمنها القرآن واشتملت عليه دواوين السنة وكتب السير والآثار فيحصل ذلك بمشافهته في حياته وبمطالعة آثاره بعد مماته انتهى كلام المرجاني ومن سهر كلامه وآرائه في حواشي الدواني راي له نفائس نكت وتحقيقات ، وقوة صدق في الحق وغرائب اختيارات ،

* الدليل الثالث والعشرون *

(التحاكم الى الانصاف)

يبين في مباحث الحكمة المتعالية في طريق التوفيق بين الشريعة والحكمة : ان الحكمة غير مخالفة للشريعة الحق الا لاهية بل المقصود منهما شي واحد هي معرفة الحق الاول وصفاته وافعاله ، وهذه - المعرفة - تحصل تارة بطريق الوحي والرسالة فتسمى بالنبوة وتارة بطريق السلوك والكسب فتسمى بالحكمة

او الولاية (١) - وانما يقول بمخالفتها في المقصود من لا معرفة له بنطبيق
 الخطابات الشرعية على البراهين الحكمة ، ولا يقدر على ذلك الا مؤيد من
 عند الله كامل في العلوم الحكمة مطلع على الامرار النبوية فانه قد يكون الانسان
 بارساي الحكمة وحدها ولا حظ له من علم الكتاب والشريعة او بالعكس ،
 فالعقل السليم اذا تأمل تأملا شافيا وتثبت بذيل الانصاف . متبرئا عن
 الميل والانحراف . والعتاد والاعتساف . وتدبر ان طائفة من العقول الزكية
 والنفوس المطهرة الذين لم تتدنس بواطنهم بارجاس الجاهلية . ولا ادناس النفسانية
 ولم ينحرفوا عن سبيل التقديس ، ولم ياتوا بباطل ولا تدليس . وكانوا مؤيدين
 من عند الله بامور غريبة في العلم والعمل ومعجزات وخوارق للعادات . من غير
 سحر وحيل . ولا غش ولا دغل . ثم اصرروا على القول بحدوث هذا العالم وبواره
 بعد وبالغوا في ذلك وتشددوا في الانكار على منكريه مع ظهور انه لا يضرم
 القول بقدم العالم ولا ينجل بالشرعية في ظاهر الامر فيجزم لاحالة انهم منطلقوا
 عن الهوى وما اخبروا الا عن يقين حق واعتقاد صدق ثم اذا رجعنا الى البراهين
 العقلية التي لا شك ولا ريب في مقدماتها اليقينية وجدناها ناهضة على ان
 صانع العالم واحد صمد لا يعتريه نقص ولا تغير ولا لغوب ولا قصد الى تحصيل
 مصلحة يتكامل بها ، ويتبين انه تام الفعل تام الارادة ولم ينزل باسطا يده بالرحمة
 والعطاء في الآباد والآزال بلا قصور ، انما التصور فينا ابنا . عالم الدنيا والاجسام
 وسكان قرية الهبولي الظالم اهلها وهي دار الزوال والانتقال اه ملخصا من

(١) في القاموس : ولي الشيء وعليه ولاية وولاية بالكسر والفتح

الاسفار الاربعة للعلامة الشيرازي

﴿ الدليل الرابع والعشرون ﴾

(شهادة الفلاسفة الاقدمين)

قال الحكيم ابن مسكويه في الفوز الاصغر : لم يختلف احد من الاوائل ممن استحق هذه التسمية في اثبات الصانع عز وجل ولا حتى عن احد منهم انه حده او انكر شيئاً من صفاته . وبالواجب وقع هذا الاتفاق بينهم لان الانسان متى تهذب بالتدرب والارتياض ودوام لزوم الحق واسترسل الى العقل وصار مفارقاً للعس والاهام الثابتة له افضى به الى ما افضى بغيره من اهل الحكمة ووقف به حيث وقفوا وراى مراه الحكماء ودعا اليه الانبياء عليهم السلام فان جميعهم انما امروا بالتوحيد ولزوم احكام العدل واقامة السياسات الالهية بالازمنة والاحوال وحملوا الخواص من الناس على طريقة الادب والفهم فان الانبياء عليهم السلام منزلتهم من نفوس الناس منزلة الاطباء من الابدان فهم يعالجون الناس معالجة المرضى : ثم اورد من الحجج البالغة ما يعلم به ان ضرورة البرهان تفوق كل من نظر حق النظر الى التوحيد والاقرار بالصانع الاول الاحد الذي ابدع الاشياء كلها وتعالى عنها علواً كبيراً وقد اوضح الشيرازي في الاسفار الاربعة ذلك ونقل من اقوال الحكماء الاولين ما دل على انهم قد اصابوا الحق في هذه المسئلة وانهم وافقوا اهل السفارة الالهية في حدوث العالم ورجوعه الى الخالق الاول تعالى كيف لا وقد قال الفارابي : ان الغاية التي يقصد فيها من تعلم الفلسفة هي معرفة الخالق

تعالى وانه واحد وانه العلة الفاعلة لجميع الاشياء وانه المرتب لهذا العالم بمجرد
وحكمته وعدله

وقد اشتهر عن ارسطو القول بقدم العالم مخالفا لافلاطون فقام الفارابي بفند
هذا الزعم في كتابه الجمع بين رأبي الحكيمين المنسوه بهما وابان ما دل عليه
فحوى كلامهما من الاتفاق بين ما كانا يعتقدانه ، وازال الشك والارتباب
عن قلوب الناظرين في كتبهما . ولا بأس ان تقتطف جملة من كلامه لتأييد
ذلك قال رحمه الله : وما يظن بارسطوطاليس الحكيم انه يرى ان العالم قديم
مع ان من نظر اقوابله في الربوية في الكتاب المعروف باثولوجيا (١) لم يشبهه
عليه امره في اثباته الصانع المبدع لهذا العالم فان الامر في تلك الاقوابل اظهر
من ان يخفى وهناك يبين ان الهوى ابدعها البارئ جل ثناؤه لاعن شيء
وانها تجسمت عن البارئ تعالى وعن ارادته ثم ترتبت . وقد بين في السماع
الطبيعي ان الكل لا يمكن حدوثه بالبحث والاتفاق وكذلك يقول في العالم
جمته ويستدل على ذلك بالنظام البديع الذي يوجد لاجزاء العالم بعضها مع
بعض . وكذا بين في كتاب اثولوجيا يانا شافيا انها كلها حدثت عن ابداع
الباري لها وانه عز وجل هو العلة الفاعلة الواحد الحق مبدع كل شيء على
حسب ما بينه افلاطون في كتبه في الربويه (ثم قال الفارابي) لولا الاطالة
لينا انه ليس لاحد من اهل المذاهب والتحل من العلم بحدوث العالم واثبات
الصانع له وتلخيص امر الابداع ما لارسطوطاليس وقبله لافلاطون ومن

(١) كذا في الاصل وصوابه بثولوجيا ومعنى ثولوجي علم الآليات

سلك سبيلهما اه

وللعامة الشيرازى فى الاسفار الاربعة نقول مسهبة عن مشاهير الفلاسفة
كلها تدل على انهم اصابوا الحق فى هذه المسئلة وانهم وافقوا اهل السفارة الالهية
فى حدوث العالم ورجوعه الى خالق ازل سبجانه وتعالى ومن كلام الشيرازى
« من لم يكن دينه دين الانبياء عليهم السلام فليس من الحكمة فى شىء ولا
يعد من الحكماء من ليس له قدم راسخة فى معرفة الحقائق . والحكمة من
اعظم المواهب والمنح الالهية واشرف الذخائر والسعادات للنفس الانسانية » قال
الفارابى : ان الغاية التى تقصد من تعلم الفلسفة هي معرفة الخالق تعالى وانه
واحد وانه العلة الفاعلة لجميع الاشياء وانه المرتب لهذا العالم بجموده وحكمته وعدله

❖ الدليل الخامس والعشرون ❖

(اخذ العقل السليم فى الخشية والاشفاق والخروج من الحيرة)

ما جاء على السنة الرسل عليهم الصلاة والسلام من التخويف بالعذاب على
الجحود والتوعد الاكيد به وقص ما حل بسببه على من مضى من المكذبين لما
يحمل النفس على اخذ الاهبة والعمل للمحيطه اذا العقل يدعو الى الاعتبار ،
والحكمة تحت على الاستبصار ، وفى وجدان الانفس الخوف عند التخويف نزول
عن القطع بالتكذيب الذى هو اول ما يرومه الشيطان فاذا نزلت من ذلك
وجب عليها فى شرع العقل تصديق الثقة والعمل بما غلب من الظن احنياطا
وتحرزا فكيف اذا جاء الثقة مع ظن صدقة بالمعجز القاهر وعضدته البراهين
المتقدمة والى هذه الطريقة الاشارة بقوله تعالى « قل ارايتم ان كان من عند

الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين » ومن انفع ما تدفع الحيرة به انه لا بد من لزوم المحارة في العقول على كل تقدير وبالاسلام تندفع المحارات كلها وتخرج العقول من الظلمات الى النور لانه لا اهدى منه للعقول ولا اشفى منه لامراض المجتمع كما قال تعالى « ايتوني بكتاب هو اهدى من ما اتبعه » اي ولا اهدى فوجب اتباعه ولو فرض ان المحارة لازمة للاسلام فهي لما عداه الزم ، ومن لم يقبل الايمان بالبرهان والقرآن ، قبل الكذب بلا قرآن ولا برهان ، ثم ان مادة هذه الوسواس عجب الانسان بعقله وعلمه وظنه انه اذا لم يعرف شيئاً فهو باطل مع انه كما قال فيه اصدق القائلين « انه كان ظلوما جهولا » ولا تتوهم كفر النفس وجفائها برهاننا معارضا لبراهين الحق بل ولا هو شبهة ابدا ولذلك يزول ريبها وشكها بمعاينة الاهوال كمعاينة هول المطلع (١) ومن طبائع النفوس الاياض عند شدة الخوف ولذلك آمن قوم بونس لما رأوا العذاب وآمن فرعون حين شاهد الفرق وقد نيه الله تعالى على ذلك بقوله « بل هم في شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب » ولذلك يرجع كثير من العقلاء عند الموت عن عقائد وقبائح وشبهات كانوا مصرين عليها (٢) وليس ذلك لتجلى برهان حينئذ بل لان الطبع القاسي كان كالمعارض للبرهان فلما لان نقي البرهان بلا معارض

(١) المطلع بضم الميم فتشديد الطاء ثم لام مفتوحة موضع الاطلاع من اشرف الى المنحدر ، شبه ما اشرف عليه من الآخرة بذلك (٢) حكى الاصمعي ان آخر ما تكلم به ذالرمة الشاعر المشهور

﴿ يا مخرج الروح من نفسي اذا احتضرت * وفارج الكرب زحزحني عن النار ﴾

وكذلك لو شاهد فرعون وغيره اعظم برهان بغير خوف ما آمنوا كما قال تعالى
 « فما كان دعواهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين » فلما راوا باسنا قالوا
 آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين « وقد اكثر التنزيل الكريم من الجمع
 بين الاذلة والوعيد سيما قصص الممذيين فانه كان معلوما لهم بالضرورة فتاثيره
 في النفوس اقوى . وبالجملة فقد ظهر ان الايمان بالخالق تعالى هو الحق وان
 الخوف العظيم في عدمه كما قال القائل (١)

قال المنجم والطبيب كلاهما * لا تبعث الاموات قلت اليكما
 ان صح قولكما فليس بضائري * اوضح قولي فالوبال عليكما
 ومثل ذلك قول الآخر

ورغبني في الدين ان دليله * قوى ويخشى كل شر بجحده
 وكرهني للكفر ان فساده * جلي ويخشى كل شر بقصده
 بل كما قال تعالى « قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن
 هو في شقاق بعيد » اى من اضل منكم اثر الموصول ليظهر اتصافهم بالصله

(١) هو ابو العلاء المعرى ونصهما مع ثمتها كما في اللزوميات

قال المنجم والطبيب كلاهما * لا تحشر الاجساد قلت اليكما
 ان صح قولكما فليست بخامر * اوضح قولي فالخسار عليكما
 طهرت ثوبى للصلاة وقبله * طهرت فاهن الطهر من جسديكما
 وذكرت ربى في الضائر مؤنسا * خلدى بذاك فاوحشا خلديكما
 وبكرت في البردين ابغى رحمة * منه ولا ترعان في برديكما
 ان لم تعد ييدى منافع بالذم * آقى فهل من عائد يديكما
 برد التقي وان تهلل نسجه * خير بعلم الله من برديكما :

وهذا المسلك مما تداوى به النفوس الجامحة والوساوس الغالبة (اشارة الامام
السيد اليماني في ايثار الحق رحمه الله تعالى)

وقد اشار لهذا الدليل حجة الاسلام الغزالي في احبائه في اواخر كتاب
التوبة قبيل كتاب الصبر والشكر بقوله في علاج الشك الذي هو احد اسباب
وقوع المرء في الذنب مامثاله : واما الشك فهو كفر وعلاجه الاسباب التي تعرفه
صدق الرسل وذلك يطول ولكن يمكن ان يعالج بعلم قريب يليق بمجد عقله
فيقال له ما قاله الانبياء الموء يدون بالمعجزات على صدقه هل هو ممكن او يقول
اعلم انه محال كما اعلم استحالة كون شخص واحد في مكانين في حالة واحدة
فان قال اعلم استحالاته كذلك فهو اخرق معتوه وكنه لا وجود لمثل هذا في
العقلاء . وان قال انا شك فيه فيقال لو اخبرك شخص واحد مجهول تنس
تركك طعامك في البيت لحظة انه ولقت فيه حية والتقت سمها فيه وجوزت
صدقه فهل تاكله او تتركه وان كان الذ الاطعمة . فيقول اتركه لاحالة لاني
اقول ان كذب فلا يفوتني الا هذا الطعام والصبر عنه وان كان شديدا فهو
قريب وان صدق فتفوتني الحياة والموت بالاضافة الى الم الصبر عن الطعام
واضعته شديد . فيقال له ياسبحان الله كيف توخر صدق الانبياء كلهم مع
ما ظهر لهم من المعجزات وصدق كافة الاولياء والعلماء والحكماء بل جميع اصناف
العقلاء ولست اعنى بهم جهال العوام بل ذوى الالباب عن صدق رجل واحد
مجهول لعل له غرضا فيما يقول فليس في العقلاء الا من صدق باليوم الآخر
واثبت ثوابا وعقابا وان اختلفوا في كيفيته فان صدقوا فقد اشرفت على عذاب

يبقى ابد الآباد وان كذبوا فلا يفوتك الا بعض شهوات هذه الدنيا الفانية
 المكدره . فلا يبقى له توقف ان كان عاقلا مع هذا الفكر اذ لا نسبة لمدة العمر
 الى ابد الآباد بل لو قدرنا الدنيا مملوءة بالذرة وقد رنا طائرا يلتفظ في كل الف
 الف سنة حبة واحدة منها لفنيت الذرة ولم ينقص ابد الآباد شيئا فكيف
 يفتر راي العاقل في الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلا لاجل سعادة تبقى ابد
 الآباد ولذلك قال ابو العلاء (وذكر الغزالي بينه المتقدمين ثم قال) ولذلك
 قال علي رضي الله عنه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الامور وكان شاكا
 ان صح ما قلت فقد تخلصنا جميعا والا فقد تخلصت وهلكت اسى العاقل
 يسلك طريق الامن في جميع الاحوال (ثم قال الغزالي) وقد روى في حديث
 طويل انه قام عمار بن ياسر فقال لعلي ابن ابي طالب : يا امير المؤمنين اخبرنا
 عن الكفر على ماذا بنى فقال علي رضي الله عنه بنى على اربع دعائم على الجفاء
 والعمى والغفلة والشك فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء ومن
 عمى نسى الذكرو ومن غفل حاد عن الرشده ومن شك غرته الاماني فاخذته
 الحسرة والتدامة وبداله من الله ما لم يكن يحاسب اه كلام الغزالي زجه الله تعالى
 ❖ فذلك البراهين وحاصل المحصول ❖

كل من تقدم الى الادلة المتقدمة وحكم العقل السليم فيها اذ عن لعز الحق
 وسطوته ، واخذت حجته بناصية شبيهته ، كيف لا وان امام المرتاب الفطرة
 وصدقها ، واللغات واصولها ، والتواريخ وفروعها ، والشرائع واركانها ، والصنائع
 وفنونها ، والفلسفة ومبادئها ، والكائنات وآياتها ،

فياعجبا كيف يعصى الاله * ام كيف يجحده الجاحد
 وفي كل شي له آية * تدل على انه واحد
 فذاته العلية سبحانه وان لم تدركها الابصار فقد ادركتها البصائر بما تشاهده
 من الآيات الناطقة من قدرته بما يجلو الاذهان ويشق غياهب كل شك ، وكل
 من قويت بصيرته واحتد نظره لاحت له الآيات الالهية اوضح من الامور
 الاوليات لما انها في نظر العقل اظهر وانور وابهى ، على انا في جميع ما وردناه
 ونورده انما نكتب لمن يرى للنظر حقا ، وللعقل قدرا ، وله في الانصاف مذهب
 ويدلى الى المعرفة بنسب ، والافياضية قوانين الحكمة ودلائل المعقول اذ لم
 تصادف قوة بصيرة وزيادة استعداد وجودة قربة كما قال ابن سهل
 اقلد وجدى فليبرهن مفندى * فما اضيع البرهان عند المقلد
 نعوذ بالله من اضاعته ونبرا الى الله ممن يضيعه وهكذا قال العلامة الشيرازي
 في اوائل المجلد الثالث من الاسفار الاربعة : نحن لم نقصد في تحقيق كل
 مسألة وتفتيح كل مطلوب الا التقرب الى الله تعالى في ارشاد طالب ذكي ،
 او تهذيب خاطرتي فان وافق ذلك نظرا بناء البحث والتدقيق فهو الذي اردناه ، وان
 لم يوافق فمعلوم ان الحق لا يوافق عقول قوم فسدت قرائنهم بامراض باطنية
 اعيت اطباء النفوس عن علاجهم حتى خوطب النبي صلى الله عليه وسلم
 « انك لا تهدي من احببت » لاجرم لما شرعوا في الحكمة على غير ما ينبغي
 ما زادهم الا تقورا واستكبارا في الارض حيث لم يظفروا منها بطائل ولم يصلوا
 الى حاصل وفاتهم مع هذا الحرمان العظيم مكنة استعدادهم للاقتداء بالامثال

السمعية والمناهج الشرعية وذلك هو الحسران العظيم ، والحرماني الاليم ، وليس
 للحكيم الرباني مع هو لاء نداء وخطاب كما قال تعالى « وان يروا كل آية
 لا يؤمنوا بها » وكيف يؤمنون بالغيب ولا استعداد لهم فان لقبول الحكمة ونور
 المعرفة شروطا واسبابا كما شرح الصدر وسلامة الفطرة وحسن الخلق وجودة الراى
 وحدة الزمن وسرعة الفهم مع ذوق عرفاني ونور قاي « ومن لم يجعل الله
 له نورا فما له من نور » انتهى

❖ بيان ان ارباب البراهين عوام عند العارفين ❖

قال المعلم الثاني الفارابي في فصوصه : لا وجود اكمل من وجوده تعالى
 فلا خفاء به من نقص الوجود فهو في ذاته ظاهر : ولشدة ظهوره باطن . وبه
 يظهر كل ظاهر . كالشمس تظهر كل ظاهر وتستبطن لاء عن خفاء : وقال
 العارف ابن عطاء الله في لطائف المنن : ارباب الدليل والبرهان . عوام عند
 اهل الشهود والعيان . قدسوا الحق في ظهوره ان يحتاج الى دليل عليه :
 وكيف يحتاج الى الدليل من نصب الدليل . وكيف يكون معرفا به وهو المعرف
 له : ومن كلامه ايضا : ثنائ بين من يستدل به ويستدل عليه . ومن
 مناجاته قدس سره . الهي كهف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك
 ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك . متى غبت
 حتى تحتاج الى دليل يا بل عليك . ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي
 توصل اليك . ومن حكمه انما حجب الحق عنك شدة قربه منك . « ومن
 شدة الظهور الخفاء »

﴿ كلمة للجاحظ فيما يدعوا لشهار المشتهر و اظهار الظاهر ﴾

يرى ذوالعقل السليم ان في وضوح الحق ونور ضيائه غنية عن اشهاره ومنتدحا
 عن اظهاره ، الا انا نسشهد بكلمة للجاحظ في مثل هذا المقام قال : لولا كثرة
 الضعفاء مع كثرة الدخلاء فينا الذين نطقوا بالسنتنا واستعانوا بعقولنا على
 اغيائنا و اغمارنا لما تكلفنا كشف الظاهر و اظهار البارز و الاحتجاج الواضح
 ولذا لم يومت من أتى الا من قبل ضعف العناية وقلة المبالاة ، ومن قبل
 الحدائث والغرارة ، ومن قبل انهم حملوا على عقولهم من دقيق الكلام قبل العلم
 بجليله ما لم تبلغه قواهم ، وتوسع له صدورهم وتحمله اقدارهم . فذهبوا عن الحق
 يمينا وشمالا ، لان من لم يلزم الجادة تخبط . ومن تناول الفرع قبل احكام
 الاصل سقط . ومن خرق بنفسه وكلفها فوق طاقتها ولم ينل ما لا يقدر عليه
 تقلت منه ما كان يقدر عليه . فاذا كانوا كذلك فائما اتوا من قبل انفسهم ولم
 يؤتوا من قبل العلم الصحيح والعقل السليم . وكل من استغنى عن البحث
 والتنقيب قل نظره واعتباره ومن قل اعتباره قل علمه . ومن قل علمه قل
 فضله . ومن قل فضله كثر نقصه . ومن قل علمه وفضله وكثر نقصه لم يجد
 راحة العلم نينة ولا يرد اليقين . وان لذة البهائم لا تعادل لذة الحكيم العالم .
 واي سرور كسرور اتساع المعرفة وكثرة صواب الراي والنجاح الذي لا سبب له
 الا حسن النظر ثم العلم بالله وحده انتهى ملخصا ولا تنس امرا آخر قد
 يحمل هؤلاء الدخلاء الموصوفين على التخبط الا وهوسكرة الترف . والشغف
 بالسرف فتراهم يهيمون في اودية الضلال . ويركضون في مجال العبث خيول

الخيال كما قال هشام (١) ان النعمة اذا طالت بالعبد ممندةً بطرته فاساء حمل
الكرامة . واستقل العافية . ونسب ما في يديه الى حيلته وحسبه وبيته .
ورھطه وعشيرته . فاذا نزلت به الغير وانكشطت عنه عمایة الغنى ذل منقاداً
وندم حسيراً : والاصل في هذا قوله تعالى « ولكن طال عليهم الامد فقست
قلوبهم » وقوله سبحانه « كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى » قال بعض
ائمة التفسير اى ما السخف عقل الانسان فانه مع شدة فقره في نفسه وظهور
ان الله مالك كل شئ عنده يطغى ويخرج عن الحد الذي عليه ان يقف عنده
فيستكبر عن الخشوع لربه ويتناول بالاذى على خلقه :

❁ تمثيل حال من لم تقنعه دلائل العقل ❁

كل من لم تقنعه دلائل العقل وبراهين النظر ولم يسلم الا بما يتناوله اللس .
او يقع تحت الحس . فذاك بعد في دور الطفولية فالاجدر اغلاق باب البحث معه
في المسائل العقلية . لانه غافل عن مبلغ قدر العقل يريد ان يرجع بالافهام
القهقرى وقد قال فلاسفة العمران العلمى : انه انقضى من ادوار الاجيال دور
الطفولية وجاء بالاسلام دور بلوغ الرشد . ولنا كان من اعلى مزايا الاسلام
ومحاسنه ان جاء يخاطب العقل ويستنهض الفكر ليصل بالمتفكر الى اليقين
فيميز بين ما كان يوءخذ بالتقليد . وبين ما يرشد الى البرهان السديد . واما
من اراد طمانينة النفس بطريقة اصحاب الافتراض فقد حل به البلا . واحاط
به الشقا . لان مزاعمهم جدل وايهام . وتشبيه وتمويه . وتزويق وتزويق .

وقشر بلا لب . وارض بلا ريع . وطريق بلا منار . واسناد بلا متن .
 المبتدئ فيه سفيه . والمتوسط مخلط والمنتهى مرتاب . اين هذا من حكمة
 الوحى التى لا يزال العلم يؤيدها . والحق يعضدها . ولا غرو فلطائف الحكمة
 لا يصل اليها الحس الجافى . والقلب السقيم . وانما تعرض لمن صح ذهنه .
 واستنار عقله . وما ينظر منه فى الظنون فلا يرث الانسان منه الا الشك والمربية
 والاختلاف والفرقة . وهناك للهوى ولادة وحضانه . وللباطل استيلاء وجولة
 وللخير ركود واقامة . وما الطف قول السهد اليماني فى ايثار الحق : واما ائمة
 الكفر فهم من استحكم الداء عليه فلا تنفعه الادوية النافعه . فالداعى لهم
 الى حق من حقائق الايمان . وان جاء باعظم برهان . فى الياس منهم وعدم
 الطمع فيهم كالداعى العميان الى النور . والأموات الى الخروج من القبور .
 وكيف الطمع فى هداية قوم قد اقام ربهم عليهم الحججة مرارا . اولها بخلقهم
 على الفطرة . وثانيها بطول المهلة . وثالثها ببعثة الرسل بالمعجزات الباهرة .
 والآيات الظاهرة . الى غير ذلك من آيات الانفس والآفاق فوجدوا الجميع
 وكفروا الكفر الفظيع . مع ايمانهم بابطال البواطل . التى لا يتصور الايمان
 بمثلها من عاقل اه



المطلب الثاني

(في تحقيق مسائل من الالهيّات)

﴿ استحالة اكتناه ذات الخالق تعالى ﴾

كل من تعرض لمعرفة الذات العلية بعقله فقد تعرض لامر يعجز عنه . ولا يمكنه بلوغ الارب منه . والمرء اذا عجز عن معرفة كنه نفسه بل عن اكتناؤه بسط الاشياء لديه فمن معرفة اكتناه الحق تعالى بالاولى . فمعرفةنا به سبحانه انما هي علمنا اليقيني بوجوده وباسمائه الحسنى وانه ليس كمثل شئ ، ومما ينسب لعلی رضی الله عنه

كيفية المرء ليس المرء يدركها * فكيف كيفية الجبار ذي القدم هو الذي انشا الاشياء مبتدعا * فكيف يدركه مستحدث النسم

قال الفارابي في فصوص الحكم : الذات الاحدية لا سبيل الى ادراكها بل تعرف بصفاتنا وغاية السبيل اليها الاستبصار بان لا سبيل اليها وتعالى عما يصفه الجاهلون : وقال محشي الاسفار الاربعة في موقف الاشارة الى واجب الوجود ، لعلك تقول هو تعالى احتجب عن العقول كما احتجب عن الابصار فكما لاتتاله الاشارة الحسية والخيالية والوهمية كذلك لاتتاله الاشارة العقلية فاعلم ان هذا النوع من التنزيه فرع باب التعطيل فان اثبات ذات واجب الوجود وصفاتها غير ذلك من معارفها ليس اكتناؤها للذات . ومن الذي شرط في العلم ولمعرفة الاكتناه اه ملخصا

استحالة تولد الخلق من ذاتة تعالى

مما يجب للواجب تعالى عدم المماثلة لشيء ما من الخلق وعدم التجزؤ والانتقسام
 فالتولد من شأن المحدث لانه انفعال وتاثر لما قام به وهو مستحيل في جانب
 الواجب تعالى لانه تغير والتغير اثر علة في المتغير والقديم لا تفعل فيه العائل
 فلا يمكن انفعال في ذاته تعالى بوجه ما « قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم
 يولد ولم يكن له كفوا احد » قال الامام ابن تيمية رحمه الله ، استحالت الولادة
 عليه تعالى لانها لا تكون الا من اصلين . وما كان من المتولد عيناً قائمة بنفسها
 فلا بد لها من مادة تخرج منها . وما كان عرضاً قائماً بغيره فلا بد له من محل
 يقوم به . فالاول نفاء بقوله « احد » فان الاحد هو الذي لا كفوا له ولا نظيره
 فيمتنع ان تكون له صاحبة « وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم » فنفى سبحانه
 الولد بامتناع لازمه عليه فان انتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم وبانه خالق
 كل شيء وكل ما سواه مخلوق له ليس فيه شيء مولود له ، والثاني نفاء بكونه
 سبحانه « الصمد » والتولد من اصلين يكون بجزئين ينفصلان من الاصلين
 كتولد الحيوان من ابيه وامه بالمني الذي ينفصل من ابيه وامه فهذا التولد يفتقر
 الى اصل آخر والى ان يخرج منهما شيء . وكل ذلك ممتنع في حق الله تعالى
 فانه « احد » ليس له كفوا يكون صاحبة ونظيراً وهو « صمد » لا يخرج منه
 شيء . فكل واحد من كونه احداً ومن كونه صمداً يمنع ان يكون والداً ويمنع
 ان يكون مولوداً بطريق الاولى والاخرى . وكما ان التولد من الحيوان لا يكون
 الا من اصلين سواء كان الاصلان من جنس الولد وهو الحيوان المتولد او من غير

جنسه وهو المتولد فكذلك في غير الحيوان كالنار المتولدة من الزندين اشم قال (واما ما يستعمل من تولد الاعراض كما يقال تولد الشعاع وتولد العلم عن الفكر وتولد الشبع عن الاكل وتولدت الحرارة عن الحركة ونحو ذلك فهذا ليس من تولد الاعيان مع ان هذا لا بدله من محل ولا بدله من اصلين اه كلامه رحمه الله في تفسير سورة الاخلاص وقد عقد فيه فصلا للرد على الفلاسفة القائلين بقدوم العالم وصدوره عن علة موجبة جديراً بالمراجعة

▶ بطلان الحلول والاتحاد ◀

لكل ذات حقيقة وهوية وصفة تمتاز بها عما سواها معروف ذلك في بداهة العقل ، فاستحالة الحلول والاتحاد جلية ، يبان ذلك ان الاتحاد يطلق على ثلاثة انحاء ، الاول ان بصير الشيء بعينه شيئاً آخر من غير ان يزول عنه شيء آخر او ينضم اليه شيء وهذا محال مطلقاً سواء كان في الواجب تعالى اوفى غيره لان المتحدين ان بقيا فهما اثنان فلا اتحاد ، وان فنيا فهما معدومان ، وان فنى احدهما وبقي الآخر فلا اتحاد ايضا بل بقاء واحد وفناء الآخر والثاني ان ينضم اليه شيء فيحصل منهما حقيقة واحدة بحيث يكون المجموع شخصاً واحداً آخر كما يقال صار التراب طينا ،

والثالث ان بصير الشيء شيئاً آخر بطريق الاستحالة في جوهره او عرضيه كما يقال صار الماء هواءً وصار الابيض اسوداً ، والكل في حقه تعالى محال ، اما الاول فلما مر ، واما الثاني فلانه اتحاد بطريق التركيب والواجب تعالى منزّه عن ان يكون جزءاً بحيث يحصل منه ومن شيء آخر حقيقة واحدة لان الجزء

الآخر يكون موجوداً ممكناً فيكون فاعله ذاته تعالى ولا تركيب حقيقياً بين
 الفاعل والمفعول لتمايزهما في الوجود فلا تحصل حقيقة موصوفة بالوحدة في
 الخارج : واما الثالث فلان التغير الجوهرى والعرض محال في حقه تعالى لعدم التبدل
 في صفاته الحقيقية (هذا ما في شرح الدواني وحواشيه) وقال العلامة الدميرى
 قولهم اتحد كذا بكذا لا يخلو من اربعة اوجه ، الاول انه امتزاج واختلاط
 كما امتزاج اللبن بالماء وهذا ظاهر البطلان فان الامتزاج انما يكون من جسمين
 فاما القديم فلا يجوز امتزاجه بغيره : الثاني ان يكون معناه انهما صار شيئاً واحداً
 كالحديد اذا احسيت بالنار وهذا محال لان الحرارة الداخلة على الحديد عرض
 زائد دخل عليها بواسطة مجاورتها النار والنار جسم فالقول بمثل ذلك بين قديم
 وحادث محال : الثالث ان معناه المجاورة كالثوب على اللابس والظل والشمس على
 الجدار وهذا محال ايضا فان ضوء الشمس اجزاء منتشرة لا منبسطة على ما وقعت
 عليه والثوب والجسم يتجاوران فاما القديم والحادث فلا يتجاوران ولا يمتزجان
 الرابع ان يكون الاتحاد بمعنى الاتصاف فيكون احدهما وصفاً للآخر وهذا محال
 من وجوه منها ان الصفات لا تنتقل من موصوف الى موصوف ولو انتقلت
 لخلأ موصوفها فيلزم نقصه :

ومن قال ان الاتحاد على جهة الظهور كظهور كتابه الخاتم اذا وقع على طين او شمع
 او كظهور صورة الانسان في المرآة فقوله لا يثبت الاتحاد الحقيقى بل يثبت
 التغاير لان كتابه الخاتم الظاهرة على طين او شمع غير الخاتم وصورة الانسان
 في المرآة غير الانسان وليس ذلك مجلول ولا مجاورة ولا امتزاج : ثم المعقول من

الحلول عند الجمهور قيام موجود على سبيل التبعية بشرط امتناع قيامه بذاته فهو بهذا المعنى محال ايضا لان حلول الشيء لا يتصور الا اذا كان الحال بحيث لا يتعين الا بتوسط المحل ولا يمكن ان يتعين واجب الوجود بغيره لان التبعين اثر التبعين فيلزم كونه معلولا ومتاثرا وهذا محال عليه تعالى فاذن حلوله في غيره محال قال امام الصوفية الشيخ محي الدين بن عربي . ماقال بالاتحاد . الا اهل الاتحاد . كما ان القائل بالحلول . من اهل الجهل والفضول . (وقال ايضا لو صح ان يرقى الانسان عن انسانيته ويتحد بخالقه لصح انقلاب الحقائق وخرج الآله عن كونه الها وصار الحق خلقا والخلق حقاً وما وثق احد بعلم وصار المحال واجبا فلا سبيل الى قلب الحقائق ابدا (١)

ومسئلة بطلان الحلول والاتحاد تذكر في علم الطبيعة في بحث عدم التداخل في المادة فقد تقررت انه لا يمكن ان يشغل جسمان اوجزآن مادة حيزا واحدا في آن واحد وحينئذ فدخل سن السهم في الخشب انما هو في الخلو الحاصل من تبعده اجزاء الخشب لا تغوذ في نفس الاجزاء ودخول الماء في الاسفنج والطباشير حلول في المسام الموجودة بين الاجزاء ولنا لو غمرت يد في آنية ماء لشوهد ارتفاع سطح الماء وبعض الممزوجات كالذي من الذهب والفضة فانه يشغل حيزا اقل من الحيز الذي يشغله كل من الممزوجين على حدته ولا يقال حينئذ ان الاجزاء تداخلت لانا نقول انها تمازجت حتى نفذ اكثرها صلابة في مسام اقلها صلابة وبذلك امكن للعقل تصور كيفية التمازج

ولا يتصور له وجود جزئين معاً في حين واحد»

✽ الاستدلال على ان من الموجودات مالا يناله الحس وما هو مجرد عن المادة ✽
قال امام الحكمة المتأخرين ابن سينا في اشارته : قد يغلب على اوهام الناس
ان الموجود هو المحسوس وان مالا يناله الحس بجوهه ففرض وجوده محال
وان مالا يتخصص بمكان او وضع بذاته كالجسم اوسبب ماهو فيه كاحوال
الجسم فلا حظ له من الوجود ، ثم بين فساد قولهم وبطلانه من طريقين
الاولى الاستدلال بالمحسوسات على وجود ما ليس بمحسوس وفيه وجوه احدها
كون المحسوسات مشتملة على طبائعها المجردة وهي غير محسوسة (١) فقد خرج
من المحسوسات ما ليس بمحسوس . وثانيها ان الاعتراف بالمحسوس والمتوهم
اعتراف بالحس والوهم وهما غير محسوسين . وثالثها ان الاعتراف بالمحسوس
والمتوهم وبالحس والوهم اعتراف بالعقل الذي يميز بين الحس والمحسوس والوهم
والموهم والعقل ليس بمحسوس

الطريقة الثانية الاستدلال بعلائق المحسوسات من العشق والحجل والغضب
وغيرها فان الاعتراف بالمحسوسات لا يستلزم الاعتراف بها لكونها موجودة
بالضرورة وطبائعها ليست مدركة بالحس ولا بالوهم ، وترى تيمة البحث في شروح
الاشارات وفيها : ان الحكم بان من الموجودات مالا يناله الحس قضية قريبة

(١) كاشتغال افراد الانسان على حقيقة الانسانية واشتراك اشخاصه في كليها مما
لا يكون محسوسا مع انه معقول ويسى هذا — اى مفهوم الكل من حيث هو هو —
كليا طبيعيا لانه طبيعة من الطبائع ولانه موجود في الطبيعة اى الخارج لان الانسان
مطلقا جزء من زيد الموجود وجزء الموجود موجود

الى الطبع سهلة الدرك يجب ان لا يختلف فيها سيما وقد بنيت على ان الطبيعة
المشتركة موجودة ولا شك انها منخرطة في سلك البديهيات ، وقد اثرتنا قبل
الى ان المقصد الاسنى من الفلسفة هو طلب حقائق الموجودات والبحث عن
الكائنات والاستدلال بالحاضرات على الغائبات والمحسوسات على المعقولات
وبالجسمانيات على الروحانيات وبالرياضيات على الطبيعيات وبالطبيعيات على
الآلهيات التي هي الغاية القصوى في العلوم والمعارف والسعادة الابديه

❖ موقف العقل امام تاريخ الخليقة وكيفية التكوين ❖

بذل الباحثون من كل امة جهدهم وتعبوا عن تاريخ بدء هذا الكون وعن مادته
وروا ما لا سند فيه ولا صحة لمخرجه فوقعوا في عمياء مظلمة وتيهاء مقفرة .
ويا لله ما يفعل الفضول . والايغال والشرة في تعرف المجهول . وقد تناقضت
الماثورات عن الاقدمين في ذلك تناقضا بينا فيرى ماثرا عن اسفار الصبنيين
في ذلك يباين ما نقل في كتب الهنود وما حكى عن الكلدانيين المتلقفين
عن البابليين غير ماروى عن المصريين الاول . ولا عجب فان بدء الخلق
ومادته لا يمكن الوصول اليها بوجه ما لانها من غيب الغيوب فعبثا محاولة ادراكها
واضاعة الوقت في التنقيب عنها وفرض الفروض والمقاييس لها وقد سد القرآن
الكريم السبل دون ذلك بقوله تعالى « ما شهدتهم خلق السموات والارض ولا
خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا » فجلى للؤمنين هذه الحقيقة
وحسم شبهة كل متفرص بانه يحاول الحكم بالوهم والحسبان . فيما لا يقبل فيه
الاشهود العيان ، وشهوده مفقود ، فتحكمه في هذه الدعوى مردود

قال حكيم : يمكن للنباتي ان يعرف ما يتكون منه النبات وكيف ينبت وينمو
وينغذى وللطبيب ان يعرف كيفية تولد الحيوان والاطوار التي يتدرج فيها منذ
يكون نطفة الى ان يكون انسانا مستقلا عاقلا ولكن لا يعرف نباتي ولا طبيب
كيف وجدت انواع النبات وانواع الحيوان او مادتهما لاول مرة ولا كيف
وجد غيرها من المخلوقات فالولى ان تكون العلاقة بين الخالق والمخلوق من هذه
الجهة - جهة الابداع والخلق - لا يمكن اكتناهاها وبالجمله فالعالم كما يرى من
العلم ان يقر بعجزه عن ادراك خالق الكون كذلك يرى من العلم ان يقر بقصوره
عن ادراك كيفية خلق الكون ومبدئه وكيف لا يقر بقصوره وكل يوم يكتشف
من قوى الوجود ما لم يكن يحلم به ويرى بعينه ان مجال البحث بعيد الاكتاف
ومجاهيل الوجود لا تدخل تحت حساب وتبرهن له المكتشفات كل حين بانه
كان نزر المعرفة ضئيل الادراك « وما اوتيتم من العلم الا قليلا » « سبحانه
لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم »

► بيان السبب في قصور افهام الخلق عن معرفة الله سبحانه ◀

قال الامام الغزالي في الاحياء بعد هذه الترجمة ماثاله : اعلم ان اظهر الموجودات
واجلاها هو الله تعالى وكان هذا يقتضى ان تكون معرفته اول المعارف واسبقها
الى الافهام واسهلها على العقول وترى الامر بالضد من ذلك فلا بد من بيان
السبب فيه ، وانما قلنا انه اظهر الموجودات واجلاها لمعنى لان فهمه الابدخال وهو انا
اذا راينا انسانا يكتب او يخط مثلا كان كونه حيا عندنا من اظهر الموجودات
فحياته وعلمه وقدرته وارادته للخياطة اجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة

والباطنة اذ صفاته الباطنة كشهونه وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك
 لانعرفه ، وصفاته الظاهرة لانعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله
 واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته ، أما حياته وقدرته واراادته وعلمه
 وكونه حيوانا فانه جلي عندنا من غير ان يتعلق حس البصر بحياته وقدرته
 واراادته فان هذه الصفات لا تحس بشئ من الحواس الخمس ثم لا يمكن ان
 تعرف حياته وقدرته واراادته الا بخياطته وحركته فلو نظرنا الى كل مافي العالم
 سواء لم نعرف به صفته فما عليه الا دليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح ووجود
 الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما شاهدته وندركه
 بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدرونبات وشجر وحيوان وسما وارض
 وكوكب وبر وبجر ونار وهواء وجوهر بعرض بل اول شاهد عليه انفسنا
 واجسامنا واوصافنا وتقلب احوالنا وتغير قلوبنا وجميع اطوارنا في حركاتنا
 وسكناتنا واظهر الاشياء في علمنا انفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا
 بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد
 ودليل واحد وجميع مافي العالم شواهد ناطقة وادلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها
 ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته والموجودات المدركة
 لا حصر لها فان كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد لها الا شاهد واحد وهو
 ما احسنا به من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود بشئ
 داخل نفوسنا وخارجها الا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله اذ كل ذرة
 فانها تنادى بلسان حالها انه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وانها تحتاج

انى موجود ومحرك لها يشهد بذلك اولاً تركيب اعضائنا واثلاف عظامنا وحوامنا
 واعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل اطرافنا وسائر اجزائنا الظاهرة والباطنة فانا
 نعلم انها لم تألف بانفسها كما نعلم ان يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق
 في الوجود شئ مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب الا وهو شاهد ومعرف
 عظم ظهوره فانبهرت العقول ودهشت عن ادراكه فان ما تقصر عن فهمه
 عقولنا فله سببان احدهما خفاؤه في نفسه وغموضه وذلك لا يخفى مثاله ، والآخر
 ما يتناهى وضوحه وهذا كما ان الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لا لخفاء
 النهار واستتاره لكن لشدة ظهوره فان بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس
 اذا اشرفت فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سبباً لامتناع ابصاره فلا يرى
 شيئاً الا اذا امتزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال
 الحضرة الالهية في نهاية الاشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول
 حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والارض فصار ظهوره سبب
 خفاؤه ، فسبحان من احلجج باشراق نوره . واختفى عن البصائر والابصار
 بظهوره . ولا ينبغي من اختفاء ذلك بسبب الظهور فان الاشياء تستبان
 باضدادها ، وما عم وجوده حتى انه لا ضد له عسر ادراكه ، فلو اختلفت الاشياء
 فدل بعضها دون بعض ادركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على
 نسق واحد اشكل الامر ومثاله نور الشمس المشرق على الارض فانا نعلم انه
 عرض من الاعراض يحدث في الارض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت
 الشمس دائمة الاشراق لا غروب لها لكانت نظن انه لاهيئة في الاجسام الا

الوانها وهي السواد والبياض وغيرها فانا لا نشاهد في الاسود الا السواد وفيه
 الابيض الا البياض فاما الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس
 واظلمت المواضع ادركنا تفرقة بين الخالين فعلمنا ان الاجسام كانت قد
 استضاءت بضوء وانصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرفنا وجود النور بعدمه
 وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الابعس شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام متشابهة
 غير مختلفة في الظلام والنور هذا مع ان النور اظهر المحسوسات اذ به تدرك
 سائر المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو يظهر لغيره انظر كيف تصور
 استنباه امره بسبب ظهوره لولا طربان ضده فانه تعالى هو اظهر الامور وبه
 ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم او غيبة او تغير لانهدت السموات والارض
 وبطل الملك والملكوت ولادرك بذلك التفرقة بين الخالين ولو كانت بعض
 الاشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لادركت التفرقة بين الشئيين في
 الدلالة ولكن دلالة عامة في الاشياء على نسق واحد ووجوده دائم في الاحوال
 يستحيل خلافه فلا جرم اورثت شدة الظهور خفاء فهذا هو السبب في قصور الافهام
 الرد على من زعم ان الكلام في الالهيات بدعة وان الاولى السكوت ❖

قدمنا اول الكتاب في وجوب العناية بدحر شبه المعطلة ما فيه مقنع ثم اظفرنا
 تعالى وله الحمد بفتوى في ذلك لشيخ الاسلام عز الدين ابن عبدالسلام رحمه
 الله اثرها عنه الامام تاج الدين الفزاري الشافعي في فتاويه (١) فآثرنا ذكرها

(١) من نوادر الفتاوي والكتب المخطوطة عندنا الموروثة عن الجدة رحمه الله وقد
 كان يعجب بها بعض الاعلام ويطلعها كثيرا

هنا تأكيد لما سبق . وثانيها للحق . قال رحمه الله : زعمُ ان المتكلمين في ذلك على باطل خطأ لانه منع لاهل الحق من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان لاهل الحق ان ينكروا المنكر ويردوا على اهل الباطل اقوالهم وبدعهم فكيف يكون مخطئا من انكر المنكر ودعا الى المعروف ولم يزل السلف ينكرون على اهل البدع بدعهم وينصون على الحق في ذلك كما في مسائل القدر والارجاء وخلق القران ونفي الصفات وغير ذلك (ثم قال) ولو جاءنا واحد وقال انا متحيري اثبات شيء من ذلك او نفيه فهل نقول له حينئذ لاتسأل عن هذا فان سؤالك عنه بدعة وتأمره ان يبقى على شكه وتردده في ذلك ولا نبين له الحق من الباطل والخطأ من الصواب لان الكلام في ذلك بدعة كلا وهذا باب لوفتح لاضل الاسلام وارتفعت الاحكام . وكيف لا يكون ذلك من الدين وقد تكلمت فيه طوائف المسلمين . واما الاقتراء على الصحابة والتابعين وائمة المتقين رضوان الله عليهم اجمعين بانهم سكتوا عن ذلك فجهالة عظيمة لان سكوتهم عن ذلك كان قبل ظهور البدعة ولا حجة في سكوتهم لانهم سكتوا حيث يجوز لهم السكوت الى ان ظهرت البدعة فتكلموا فيها . فالبدع يجوز السكوت عنها مادامت خامدة ساكنة فاذا ظهرت وسارت وجب الابتدار الى انكارها وابطالها وتبيين الحق في ذلك نصحا لدين الله وعملا بكتابه اذ يقول فيه « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون وينهون عن المنكر » الآية وان نسبهم الى انهم سكتوا مع ظهور البدع عن تعيين الحق من الباطل فقد فسقهم ونسبهم الى ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع ان المنقول عنهم

بخلاف قوله فانهم تكلموا على البرع وعابوها وميزوا الحق من الباطل ونصوا عليه ولم يقولوا لاحد لا يتكلم فيها بنفى ولا اثبات بل منهم من عظم الامر في ذلك حتى كفروا ببعض اهل البدع ومنهم من سكت اكتفاء بكلام غيره لسقوط الفرض . وكيف يجوز السكوت عن باطل قد تمكنت شبهته في القلوب وترك صاحبها مرتبكا في ضلاله مصرا على جهاته

والتكلم في حل الشبه سنة اول من عمل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ثم جرى على ذلك الصحابة والتابعون وعلماء المسلمين الى يومنا هذا . وقد تبرا ابن عمر من القدرية في حديث حميد بن عبد الرحمن الميموني (٢) لما اخبر بقول معبد في القدر . وناظر علي في القدر . وكذلك ناظر ابن عباس وعلي الخوارج وناظر ابو حنيفة الخوارج . ومناظرة الشافعي مع حفص الفرد مشهورة (٣) وناظر السلف المعتزلة القائلين بخلق القران وخلق اعمال العباد . وانكروا على الجبرية والمرجئة ما ابتدعوه ونصوا على ان الحق على خلافهم . ولم ينقل عن احد منهم انه امر جاهلا بالسكوت عن الحق بل دعوا الى اعتقاد الحق وعينوه لهم ولم يجعلوه تليسا بالباطل وجرى على طريقتهم في ذلك اكثر العلماء

(١) اى اقتداء بالتنزيل الكريم في الرد على المشركين واهل الكتاب والاجوبة عن شبههم في آيات لا تحصى والسنة بيان للتنزيل وشرح له وهو اصلها وكتبها الاعظم (٢) رواه مسلم في كتاب الايمان من اول صحيحه (٣) حفص الفرد قال الغزالي : كان من متكلي المعتزلة وقال الزبيدي : تنقه على الاقام ابي يوسف وكان من اصحابه ثم مال الى راي المعتزلة وصار يناضل عنهم حتى صار من متكليهم

وصنفوا فيه التصانيف كالحرث بن اسد المحاسبي - وكان مقدما في علم الطريقة
والشريعة - وابي الحسن الاشعري وابي بكر الباقلاني وابي السحق الاسفرايني
وامام الحرمين والغزالي والقشيري وابنه ابي نصر وابن فورك وغيرهم ممن يكثر
تعداده . فزعم ان من سنن الصحابة والتابعين ملازمة السكوت في ذلك
خطأ عظيم فاحش لا يبوء به موفق ولا ينتحله عاقل لانه قد اوجب على من شك
في ذلك او في شيء منه ان يبقى على شكه وتردده متحيرا في الله مترددا بين
بين ما سنجح له من الخواطر الدائرة بين الكفر والايان مخالفا لقوله تعالى « فاستأخوا
اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : انما
شفاء العي السؤال : فيخرج من ذلك ان زاعم ذلك اوجب على المتحير في
الله وصفاته ان يبقى على تحيره في ذلك وتشككه الى يوم يلقاه مذموما لقوله
« وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون » وقد نص علماء المسلمين الذين
يجب المرجع الى اقوالهم على ان من تمكن من قلبه شبهة لزمه السعي في ابطالها
وقطعها وكيف لا يكون كذلك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دع
ما يريك الى ما لا يريك : ومقتضى هذا وجوب سعي المرئب الشاك في
ازالة ريبه وشككه وقد منعه ذلك الزاعم المسكين من ذلك وجعله من جملة
البدع مع ان ادلة الشرع تنادي عليه بانه مفروض واجب لا يسع تركه ولا
تجاوز مخالفته . واما تشديد الشافعي رضي الله عنه على اهل الكلام فان هذا
الاسم كان في زمن الشافعي مخصوصا بارباب الاهواء الخارجين عن الحق
فاطلقه باعتبار عرف اهل زمانه ثم صار هذا الاسم عاما بعده وما ذكره

عن الغزالي في كتاب الجوامع العوام فليس ذلك بنهي لهم عن اعتقاد الحق
والامر بالارتياب والتشكك بين الخطأ والصواب وانما نهاهم ان ينكلموا بما
لا يعرفونه كيلا يخرجهم الكلام الى الكفر والابتداع مع ان كتب الغزالي
مشحونة بانه يجب على المرء تصحيح اعتقاده وانه ان عرضت له شبهة لزمه
السعي في ازالتها وذكر ذلك في الاحياء (١) وهو آخر ما صنفه واعتمد عليه
فهذه طريقة علماء الدين وسيرة العباد الصالحين « فان يكفر بها هؤلاء فقد
وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين » اه كلام الامام ابن عبد السلام

▶ الطاب الثالث ◀

(في المادة وشبه الماديين وابطالها وما يتبع)

ذلك . وفيه مقالات عديدة

❖ معنى المادة ❖

المادة لها اسماء باعتبارات فمن جهة تراد الصور المختلفة عليها مادة وطينة .
ومن جهة استعدادها للصور قابل وهبولى . ومن جهة ان التركيب يتبدأ منها
عنصر . ومن جهة ان التحليل ينتهى اليها اسقطقس (كما في الكليات) وقد
كثر اطلاقها على مجموع الاجرام التى يتالف عنها العالم المشاهد . فالماديون هم
الذاهبون الى نفي كل موجود سوى المادة المذكورة وان وصف الوجود مختص
بما يدرك بالحواس الخمس لا يتناول شيئاً وراءه . قال السيد (٢) ولما سئلوا عن

(١) اى في الفصل الثاني من كتاب قواعد العقائد فانظره فانه مهم

(٢) في الرد على الدهريين

منشأ الاختلاف في صور المواد وخواصها والتنوع الواقع في آثرها نسبة الاقدمون منهم الى طبيعتها ولهذا اشتهرت هذه الطائفة عند العرب بالطبيعيين اه
وسبأني ذكر الاشارة اليهم في القران الكريم في مقالة على حدة في آخر هذا المطاب

◀ شبهة الماديين ▶

مضى اولاً في التمهيد الخامس ان من فروض الكفاية تعلم تفصيل الدلائل ليتمكن من ازالة الشبهة فيضطرنا الامر الى ذكر ملخص معتد هو لاء الماديين ليتبصر المحق المفقود اسنة الردود مقاتل المبطل ومطاعنه فيكون اقتد لسهمه وواقع لمرماه فنقول: زعم الماديون ان المادة مؤلفة من عناصر مختلفة . وان هذه العناصر تتالف من جواهر فردة بسيطة متماثلة ثم خالفهم المتأخرون منهم وناقضوهم فقالوا ان الجواهر الفردة ليست بسيطة ولا متماثلة بل هي ايضا تتالف من ذرات يستحيل على العقل تصورها وسموا تلك الذرات بالكريات وقالوا ان هذه الكريات مدارات كهر بائية وانه بحسب مجرى الكهر بائية من حيث سرعتها وكمية الكريات الحاملة لها تتشكل الجواهر . وتنوع العناصر . وزعموا ايضا ان الهيبولى وجدت بنفسها ويستحيل ان تكون من العدم (قالوا الان العقل لا يمكن ان يتصور مادة تتلاشى الى درجة العدم فكيف يحكم بوجودها في زمن من الازمان في حالة لا يمكن ان تصير اليها . وكل ما يستطيع العقل ان يصل اليه انما هو اذق جزء من اجزائها بحيث يستحيل على التصور ان يدرك ما وراءه . فاذا كانت المادة لا تتلاشى وهو ناموس طبيعي فهي لم تحدث من العدم ولكنها هي وما بها من القوى اذلية وجدت في ابسط ما يستطيع العقل

صوره من النظام كل اجزائها متماثلة ثم تغيرت وتشكلت وما زالت تتغير وتزداد
 تركيبا حتى ظهر العالم وبرزت الطبيعة بنباتها وحيوانها وجمادها . فالمادة والقوة
 هما الشيطان الازليان الابديان وجدا ولم يزا واحدا في كل صور الوجود . ومهما
 تنوعت اشكال المادة وتغيرت مظاهرها فهي واحدة لم تخلق ولن تتلاشى
 كذلك القوة التي بها ندرك المادة . نشعر بها دائما لا تنقص ولا نضمحل وكل
 ما في الكون من افلاك ونجوم وحي وجماد انما هو نتيجة من نتائج القوة الفاعلة
 في المادة . فالكون (على مذهبهم هذا) والحادث (حادث بالصدفة من تفاعل
 القوى والمادة فهم ينكرون الخالق) نعوذ بالله تعالى) ولا يقرون بالحدوث من
 العدم . ثم قاموا يبنون على ازالة المادة كيفية حدوث العوالم فاتخذ بعضهم
 النشوء الطبيعي ناموسا عاما وفسره بطرائق كثيرة
 هذا ملخص معتقدتهم والحادث . وسرى بحوله تعالى نقضه انكاثا . واحلامه
 اضافا . في مقالات سابقات نستهلها بذكر ان هذا المذهب تبره منه الفيلسوف
 كما تبره الحكمة من السفه

❖ تبرؤ الفلاسفة من مذهب الماديين ❖

ان عقلاء الامم قاطبة وحكام المذاهب والادبان كافة ليعجبون غاية العجب مما
 اتى به الماديون من تلك الخيالات . ثم افراغ ما بها من التحللات في قالب
 المعلومات . ذلك لانه لم يعهد في الفلسفة ان يكون عمادها الفرض والوهم .
 ولا صح في العلوم الحقيقة ان تناقض قضايا العقل ولا ان يكون الابهام رائدها
 وعدم التجلي للنفس قائدها . فان العقول السليمة . والتمسوا بالقرينة . تبرؤ

الى الحق ان تركز الى امور فرضيه . او تعقد على مباحث وهميه . او تزول
 عند كل ناقل . او تستوحش لشبهة اى قائل . او تقبل ما يباذ الفطرة الصحيحة
 او يعاند الاقيسة الصريجه . الا ان تكون اصيبت بخلل او خبل . والجنون
 فنون وليست محنة الامم بهو ولا . الماديين باعظم من محنة العقل الذى لم يزالوا
 يمشون به حتى لو تجسم نفسا لسعوا في ذمها . او تمثل دارا لجهدوا في هدمها .
 كأنهم لم يخلقوا الا ليظلموا عين النور . وبقليوا اعيان الامور . فيجعلوا الضوء
 ظلمة ويمكسوا البدعة سنة . حتى كأن سوفسطا استخلفهم على جمد ما يدرك
 عيانا ويعرف ايقانا . فهم وارثوه في الباطل . وناصروا جهله على كل عاقل .
 كيف لا وان جعل الحكم بالوهم اساسا والتعصب للامر الفرضي ركناهدم
 للفلسفة وشذوذ عن العلم فقد اتفقت الفلاسفة قاطبة بل الامم كافة على ان
 ما لم يتحقق وجوده كان معدوما وانه اذا عدم شئ عدم اسمه ايضا لان اسمه
 فرع عليه وعينه اصل له واذا ارتفع الاصل ارتفع الفرع . هذا الا دفاع له
 ولا امتناع منه ، فباية فلسفة سوغ الحكم على الموهوم . وبأى قاعدة استجير
 تسمية المعدوم . واى علم يقبل هذه التخرصات . واى عقل سليم يسلم هذه
 الاتهامات . لاجرم ان ذلك ضلال وتضليل للعقول . وتشويه للحكمة وعبث
 بالاصول . ومن السفه والسفسفه . التلاعب بقوانين الفلسفه . فان الفلسفة
 علم العلوم وصناعة الصناعات فمن المحال ان تعطى في موضع الشك اليقين
 وفي موضع الظن العلم بل تعطى في كل شئ . ما هو خاصته وحقيقته ان شكنا
 فشك وان يقينا فيقين . فرائهم المذكور . لا يكون من الفلسفة حتى يكون

الجهل من العلم والظلام من النور .

قال الطوسي : وصى ابن سينا باختبار من يدعى الفلسفة بامور اربعة اثنان
 راجعان اليهم في انفسهم : احدهما الى عقولهم النظرية وهو الوثوق بنقاء
 سيرتهم . والثاني الى عقولهم العملية وهو الوثوق باستقامة سيرتهم . واثنان
 راجعان اليهم في انفسهم بالقياس الى مطالبهم . احدهما تحرزهم عن مزال
 الاقدام وتوقفهم عما يسرع اليه الوسواس . وثانيهما نظرهم الى الحق . بعين
 الرضا والصدق . اهـ فاين اولئك من هذه الاوصاف

وقال الرازي : الظاهريون من الفلاسفة والذين لم يمارسوا حقائق العلوم قد
 جرت عادتهم بانكار كل ما كان على خلاف العادات المألوفة والمنهج المطردة
 وغرضهم من ذلك ان يميزوا عن العامة والاغيار في عدم الاعتزاز بكل ما يقال
 وقد استهجنت طريقتهم وزيفت سيرتهم وعدوا في الحق لجزمهم بالنفي للدليل
 ومثله بسبب الفساد والخلاعة والشر في الدنيا والشقاوة في الاخرى اهـ وبالجملة
 فقد صدق عليهم قول صاحب رسائل اخوان الصفا بانهم لا الفلسفة يعرفونها
 ولا الشريعة يتحققونها . يدعون معرفة حقائق الاشياء ويتعاطون النظر في
 خفيات الامور الغامضة البعيدة وهم لا يعرفون انفسهم التي هي اقرب الاشياء
 اليهم . ينظرون في الجزء الذي لا يتجزأ وما شاكله من الامور المتوهمة التي
 لاحقيقة لها في الهبولى ويدعون فيها المحالات بالمكابرة في الكلام والحجاج في
 الجدل فاحذرهم يا اخي فانهم الدجالون الذليق الالسن العميان القلوب الشاكون
 في الحقائق الضالون عن الصواب يدعون مالا يعرفون . ويشككون فيما لا يحسنون

وما هم الا كما وصف رب العالمين جل اسمه « بل هم قوم خصمون » اعاذ
الله وياك من فيه هذه الصفات الذميمة اهـ

استحالة انكشاف الجواهر الضرورية بالكنه والوجه

قل لهن ما هو الجوهر الفرد الذي انتهت اليه المادة امر كب ام بسيط فان كان
مركبا فما مقوماته وان كان بسيطا فلا يمكن ان يكون له حد حقيقي . هو المركب
من مقومات الشيء اذ البسيط لا مقوم له - ولا رسم لان الرسم يقوم مقام
الحدود للمركبات اذا كانت اللوازم بينة اما اذا لم تكن بينة بان احتاجت الى
وسط فمن المقرر ان ما ليس بينا لا يصح ان يكون معرفا للزومه ومنه لوازم المادة
فليست بينة بوجه ما . فصح انها مجهولة جهالة يستحيل على النفس ان تتجلى لها
على ما هي عليه في نفس الامر

ثم قل لمن فرض لها اجزاء متساوية هل هذه الاجزاء مقومات حقيقتها اولا
فان كانت مقومات فما ان لا يحتاج احدها الى الآخر وهو محال ضرورة وجوب
احتياج بعض اجزاء الماهية الحقيقية الى البعض او يحتاج . فان احتياج كل
منهما الى الآخر فيلزم الدور والاي لزم الترجيح بلا مرجح لانهما ذاتيان متساويان
فاحتياج احدهما الى الآخر ليس اولى من احتياج الآخر اليه . هذا اولا
وثانيا هل احد هذين الامرين عرض او جوهر فان كان عرضا لزم تقوّم
الجوهر بالعرض (١) وهو محال . وان كان جوهر اقاما ان يكون الجوهر نفسه (٢)
(١) اي كون العرض محمولا عليه مواطاة وذلك محال لاستلزامه اتحادهما (٢) اي يكون
الجوهر المطلق نفس ذلك الجزء الذي فرض جوهره نفسه منصوب على الخبرة وداخلا
وخارجا معطوفان عليه

فيلزم ان يكون الكل نفس جزئه وهو محال (١) او دخلا فيه وهو ايضا محال
لامتناع تركيب الشيء من نفسه وغيره (٢) او خارجا عنه فيكون عارضا له
لكن ذلك الجزء ليس عارضا لنفسه بل يكون العارض بالحقيقة هو الجزء الآخر
فلا يكون العارض بتمامه عارضا وهو محال (٣)

❖ استحالة اثبات الجوهر الفرد ❖

قال القاضي الحكيم ابو الوليد ابن رشد في المناهج : الجزء الذي لا يقسم - وهو
الجوهر الفرد - فيه شك ليس باليسير وذلك ان وجود جوهر غير منقسم
ليس معروفا بنفسه وفي وجوده اقاويل متضادة شديدة التعاند اه وقال الامام ابن
تيمية : جمهور الامة حتى من طوائف اهل الكلام ينكرون الجوهر الفرد وتركيب
الاجسام من الجواهر اه

وجاء في مقالة لبعض المؤلفين في هذا البحث ماثله : اول من قال بقدوم المادة
هم بعض فلاسفة اليونان مثل ديموقراط وغيره حملهم على اختراع هذا انهم
رأوا اجماع من سبقهم عن ان كل مركب حادث فلما رأوا ان الاجسام كلها
مركبة لجأوا الى القول بانها مركبة من اجزاء بسيطة لا تتجزأ وان تلك
الاجزاء هي مبادئ العالم الازلية وان اصغر هذه الاجزاء التي لا تتجزأ هو الجوهر
الفرد الذي تنتهي اليه قسمة الجسم البسيط وتبعهم في ذلك ماديو هذا

(١) لانه لا يبقى الكل كلا ولا الجزء جزءا (٢) لاستلزام كون الكل نفس الجزء
واحتياج الشيء في تقوم نفسه الى خارج عنه وتقدم الشيء على نفسه الى غير ذلك
(٣) مثلا لو تركيب الجوهر من « ا » و « ب » « فآ » شيء عرض له الجوهر الذي
حقيقته « ا ب » ويمتنع ان يكون « ا » عارضا لنفسه فتعين ان يكون العارض « ب »

العصر الذين يعتقدون ان الجوهر الفرد هو اصل الاصول واول مبادئ
 السموات والارض . هذا ما كان بالايجاز من اقوالهم في شان المادة والجوهر
 فرد . الا ان الجوهر الفرد لم يجد انصاره برهانا لاثباته منذ اول نشأته الى
 الآن وهذا باجماع كبار العلماء الطبيعيين والكيمييين وغيرهم بل يستحيل ان
 يقام على اثباته دليل ولنا على بيان استحاله كثير من الادلة اقتصرنا منها على الآتيه
 (دليل اول) : ان الجوهر الفرد باقرار مثبتته وتصريح امامهم ديموقراط هو
 جسم وكل جسم لا باء له من ابعاد وتميز وتالف من جوهر وعرض ونحو ذلك
 وكل مؤلف - باجماع العلماء - منحل وغير زلي وكذلك المادة المولفة منه
 (دليل ثان) : ان جل مانع القسمة لا يخلو من أن يكون اما الصلابة او الدقة
 او كليهما وما كل ذلك بمانع . اما الاول فلان الاجسام مهما كانت صلبة
 لا يعسر انقسامها بالوسائط وهذا مقطوع به في العلوم الطبيعية ويؤيده الامتحان
 والامتحان اقوى برهان . واما الثاني فلان الاجسام من هي هي - اس من
 حيث انها ذات كم متصل - وان كانت في غاية الدقة والصغر فانها قابلة
 من طبعها (فان قيل) ان هذا ممكن تقلا لافعلا (قلنا) وما ينافي كونه ممكنا
 بالفعل ايضا اذ مالاتناقض فيه يمكن وجوده فعلا وان لم يتأت ذلك لاسباب
 عارضة كجهل الوسطة او لزوم الكمية المحدودة لقيام الجسم الطبيعي الى غير
 ذلك : فالقول اذن بالجوهر الفرد غير المتجزى مبني على التخمينات
 الفارغة والاهام المحضة

(دليل ثالث) : لو تقرر وجود الجوهر الفرد لكان متغير الشكل كبقية

الاجسام وهذا مسلم عند القائلين به اليوم ومن المحال ان يتغير الشكل دون
ان تتغير اوضاع الاجزاء وذلك عين قسمة الجسم فعلا اه

﴿ استحالة تصور تفاعل القوى والمادة ﴾

قال بعض المحققين يقال لهؤلاء الماديين (على خيالهم في المادة والقوة)
: كيف تسنى للبسيط المتماثل ان يصير مر كبا متغيرا مع عدم وجود قوة
خارجية تدفعه الى ذلك ، ثم يقال لهم : لنفرض ان في الفضاء شيئين وجدامند
الازل من غير موجد فكونهما شيئين يقضى كونهما منفصلين ومن العجيب
ان هذين الشيئين تفاعلا في طريقة غير معروفة وحدث بتفاعلها صور جديدة
فكيف كان ذلك ولا شئ بينهما الا الفضاء والفضاء لا يقل شيئا فلا يوصل
بين امرين فاذا قالوا ان قوى كل منهما تشع في الفضاء ثم تلاقى وحدث
بتلاقيهما ما حدث فقل : كيف يتصور العقل وجود القوة في الفضاء على غير
ما يحمل القوة او يظهرها . اليس ذلك تحكما محضا . واذا قالوا انه لا فضاء بل
الاثير مالى كل مكان فقل : اليس الاثير نفسه مادة فاما ياترى بين دقائقه
يواصل قواها بعضها ببعض اه اى وحينئذ يستحيل الجواب الا باستناد ذلك
الى قوة غيبية لا له قوى قادر لا خالق سواه

﴿ استحالة اقتضاء الاثير لما زعم فيه ﴾

زعموا ان الاثير مادة لطيفة جدا منتشرة في الخلاء مائه وانه قديم ومصدر لجميع
المواد كما تقدم واثبتوا له السرمان والاهتزاز في جميع الكون فيقال لهم السرمان
يستلزم الحركة ضرورة والحركة لا تقوم الا بالحوادث - لما بينا في الدليل الخامس

من طريق الحركة - ثم كونه في جميع الكون يستلزم اما قدم الكون او عدم
 السريان والاهتزاز وكلاهما باطل . اما قدم الكون فلانهم قالوا ايضا بعدم قدم
 ماسوى الاثير . واما عدم السريان والاهتزاز فلانهم عرفوا الاثير به
 وقد اتفقوا على ان الاثير لا يمكن ان يرى باحدى الحواس الخمس بل الذى دعا
 لاثباته الحاجة لمعرفة ماهية النور فيرد عليهم ان معرفة حقيقة الشئ . انما تكون
 بمعرفة اجزائه فلو كانت معرفة حقيقة النور داعية الى اثبات الاثير لاقتضى ان
 يكون الاثير جزءا من النور وذلك يقتضى حدوث الاثير . اوليس قلتم باجمعكم
 ان ماسوى الاثير حارث . اذا سلمتم انه جزء من حقيقة النور فيلزمكم القول
 بحدوث الاثير ومن حاول دفع الايراد بان المراد ان الاثير هو السبب الناقل
 للنور يقال له ان الحكم بوجود الاثير حينئذ انما نشأ من وجود النور وهذا
 لا يستلزم ان يكون الاثير قديما ابدا . على انهم اثبتوا له الحركة والحركة انتقال
 من حيز الى حيز آخر ولا يمكن القول بقدم الحركة
 ثم يقال لهم ايضا هذا الاثير الذى هو سبب وجود الكائنات بزمكم لا يتخلو اما ان
 يكون واجبا وجوده او ممكنا لا جائز ان يكون واجبا لانه مركب من اجزاء وقد
 تقرر ان المركب يحتاج الى اجزائه والمحتاج لا يكون واجبا
 ثم قولهم ان الكائنات حصلت من تموج الاثير يقال عليه لا يتخلو هذا التموج
 اما ان يكون علته تامة لوجود الكائنات اولا ، فان كان علته فهل هذا التموج حصل
 مع الاثير او بعده ، فان قلتم انه حصل مع الاثير لزم قيام كل ما تموج معه من
 الكائنات وهو باطل لترتب سلسلة الكائنات باقائهم ، ارحصل بعد فهل هو

عرض لازم او مفارق فان كان لازما فلا يجوز ان يوجد بعد وجود الاثر بل معه
لامتناع الانفكاك فيلزم قدم الكل وقد ابطالناه او كان عرضا مفارقا لزم القول
بانعدام الكائنات لجواز انفكاك التموج عن الاثر الذي يسببه صار الاثر موجودا
وعلة تامة على زعمهم . ويلزم ايضا ان الاثر في فاعليته محتاج وذلك ينافي
كون الشيء واجبا وجودا.

ولو كبروا في دفع هذا الاعتراض بان التموج نفس الاثر واحتياج الشيء الى
ذاته لا يستلزم امكانه لقبيل لهم ان التموج لا يجوز ان يكون نفس الاثر لان
التموج من الاعراض الغير القارة الذات فيلزم ايضا ان يكون الاثر من
الاعراض الغير القارة الذات وهذا باطل عندكم

ثم ان بدهة العقل قاضية بان وجود هذا العالم لا يجوز ان يحصل بالتموج لان
نظامه واحكامه في غاية الاتقان والانتظام وهو دليل على ان فاعله في غاية
القدرة ونهاية العلم والتدبير وجامع كافة العقلاء ان قوة نظام الاثر وحسنه دليل
على قوة قدرة الفاعل وتدبيره وحينئذ يستحيل ان يكون هذا العالم الذي هو في
احسن النظام تموج اثر لا عقل له ولا شعور

❖ استحالة اقتضاء البسيط التركيب ❖

قال العلامة جمال الدين الخوارزمي : الذين زعموا ان اصل العالم جزء بسبه
لا عرض فيه ولا تركيب ولا اجتماع ولا افتراق ثم دخله التركيب فتركب
العالم فالدليل على بطلان قولهم انه يستحيل في العقول مصنوع بلا صانع (١)

(١) لانس عبارة الامام ابن رشد في الدليل الثاني اول الكتاب في بيان قطعية -

كما يستحيل حدوث كتابة لا من كاتب وبناء لا من بان فالفلك ليس باقل من
الفلك ولا بنصور انتظام الواحها من غير نظام نجار حاذق هذا اولا
وثانيا الهيولى شئ واحد وحقيقة واحدة لا توجد اشياء كثيرة فانه غير معقول
فالذات الواحدة لا توجد اجتماعا وافتراقا وحركة وسكونا بذاتها
فلو ان سائلنا سألهم عن العلة الاولى وما هي وما سبب الامتزاج ما يكون وما هو
لا يكون لهم جواب البتة

وان قالوا انها كانت اجزاء فاما ان تكون مجتمعة او مفترقة فان كانت مجتمعة
فاجتماعها لا يخلو اما ان يكون لذاتها اول معنى فان كانت اللذات فلا يجوز تفرقها
والاجاز تلاشيها فلم يكن ذاتيا وان كان اجتماعها لمعنى فقد سبق المعنى عليها
فيطل ان تكون قديما لان القديم مالا يسبقه شئ

ثالثا: يقال اى العرضين سبق الى الهيولى الاجتماع او الافتراق فان كان الاجتماع
فلا بد للاجتماع من افتراق وان كان الافتراق فلا بد من اجتماع وعندكم
الهيولى خال عن انواع الاعراض

رابعا: لا بد من مخصص يخصصه بالاجتماع دون الافتراق او بالافتراق
دون الاجتماع

خامسا: ما الموجب لتقدير الكواكب ونحوها بما قدرت به حتى صار منها ما هو
اكبر ومنها ما هو اصغر وما الموجب لتعيين القطبين وامثالهما بالموضع المعلوم
ولاجواب لهم عن هذا كله فط

❁ استحالة ازلية المادة ❁

مما احال قدم المادة ايضا ان القديم لا بد من كونه كاملا موجودا بذاته لا يقبل تغيرا هذه اخص اوصافه وذلك لانه لو كان غير كامل لزم ان يتكامل بغيره متصاعدا حتى يصل الى كائن كامل في ذاته لا يفتر الى غيره . ولو كان غير موجود بذاته لزم ان يكون له علة قد اوجدته فلا يكون ازلها ولو كان يقبل التغير لتواردت عليه البدايات والنهايات فكان غير قديم . وواصف القديم هذه لا تنطبق على المادة بوجه لان المادة ناقصة تتكامل دائما وابدا متعددة ليس لها وجود من ذاتها تتغير وضعا وفعلا والتصاقا اذ يتعلق الواحد منها بالآخر مما يجره اليها كل من التدافع والتجاذب وحينئذ فلا تكون المادة قديمة

❁ استحالة كون المادة مصدر الحياة والكون العقلي ❁

يقال لهم : ان المادة لا يمكنها ان تكون مطلقا مبدء حياة ولا مصدرها لان ما كان خاليا من شيء قوة وفعلا لا يمكنه مطلقا ان يكون مصدرا له والمادة خالية من الحياة بالقوة والفعل فاذن لا يمكن ان تكون مصدرا للحياة ، اما خلوها من الحياة فعلا فبالمشاهدة لان كلا يرى ان المادة عرية منها والالاقتضى ان تحرك نفسها فعلا بان تنمو او تنحس او تعقل وذلك ظاهر البطلان ظهور الشمس في رابعة النهار ، واما خلوها منها بالقوة فلانها لو قدرت ان تبرز الحياة ذات يوم لقدرت ان تبرزها الآن لان طبائع الاشياء ثابتة لا تتغير فكما كانت قبل فهي هي الآن ولا يمكن ان توجد في وقت وتضمحل في آخر وذلك مقرر في مبادئ العلوم الطبيعية الثابتة فما شهد قط ولا يشاهد اذ في امر الحياة في المادة

فأذن ثبت الافتقار الى موجد هو مسبب الاسباب
ثم من البين ان تركيب المادة او الاجسام الغير الحية مبين على خط مستقيم
اتركب الاجسام الحية بالنظر الى الاجهزة والى مجموع الاعصاب وغير ذلك
ثم اننا نرى فرقا عظيما بين الاجسام الحية والاجسام اللاحية من حيث الحركة
فان الاولى حركتها من نفسها اى انها تحرك نفسها بنفسها بخلاف الثانية
ثم يلزم على كون المادة مصدر كل موجود حتى ان يكون المعلول اكل من علته
وذلك محال يابى قبوله كل عقل سليم لاقتضائه ان يكون معلولا وغير معلول
معلولا لصدوره عن غيره . وغير معلول لما فيه من الذاتيات التى لا اثر لها البتة
فى علته الصادر عنها وذلك يذهب بالتناسب الواجب كونه بين علة ومعلولها
قال بعض الباحثين : ان الامتحانات العلية ولا سيما التجارب التى زاولها كثير
من المشاهير قد اثبتت ان التولد الذاتى غير ممكن وان الحياة انما تنتج من الحياة .
والحى انما ينشأ من الحى ولم يولد الجماد حيا قط (١) فهم اذا فى زعمهم مخطئون
واما قولهم ان الاجسام الحية لا تختلف فى التركيب عن غير الحية ولا تحوى
من العناصر الا ما تحويه الجمادات فلا يخفى ان الكيمياء خير بدستور منرج
العناصر من الكمية والكيفية ولديه كل ما يلزمه من قوى طبيعية وكيمائية فلما ذا
بعد كل ما ذكر لم يقدر احد فى العالم على تركيب قطرة دم او حوصلة حيوية .
ليس فى هذا برهان قوى على ان التركيب العضوى انما يتم بفعل قوة هي غير
القوى المادية وان ظهور الحياة فى الحى ونموها وانتشارها ثم زوالها وخفائها كل
(١) تقدم بيانه فى الدليل الثانى عشر فراجع

ذلك لا يتم بالقوى المادية . نعم ان تلك القوى موجودة في الحى وتعمل فيها ولكنها انما تستخدم الحياة دون ان تقدر على ايجادها فهي مساعدة لها وليست مبدؤها ومنشأها

﴿ استحالة ازلية الانسان ﴾

هذه المسئلة اصبحت من البديهيات الآن وذلك انه لما كشفت علوم الجيولوجيا (طبقات الارض) عن بظلال القول بقدم الانواع رجوع المتأخرون من الماديين عنه الى القول بالحدوث ومن ذلك حدوث الانسان ضرورة فان البحث عن طبقات الارض المذكور قد برهن انه وجد زمان وجدت فيه المئادن والنباتات وبعض الحيوانات ولم يكن الانسان في حين الوجود فالجنس البشرى له ابتداء ويتعين ان يكون له مبداء . وهو خالق الكائنات . وايضا ان العلوم والفنون كلها لها ابتداء واكثرها معروف مدوها في التاريخ فلو كان العالم ازلما لا يتسنى لنا ان نظن ان الانسانية خالية من هذه الصنائع فاكتشافها وتحديد زمانها يدل على حدوث العاملين بها وذلك واضح

﴿ برهان حدوث المادة من العدم ﴾

قال بعض الائمة المحققين : معنى حدوث المادة عند المتكلمين هو وجود الاجسام وعوارضها بعد ان لم تكن موجودة بحيث يفرض لوجودها بداية زمانية تنتهى اليها سلسلتها من جانب الماضى . ولا يجوز ان يوصف بالازلية وحده وصفاته عند القائلين بانها وجودية . وقبل هذه البداية التى لا يمكن تحديدها لم يكن وجود سوى خالق الكون ثم انه اراد ايجاد الكون فاوجده من العدم البحث

وهذا هو الذي يظهر من الكتاب العزيز اه
 وقال ابن رشد في حواشي التهافت : الفلاسفة باتفاق يرون ان البارئ تعالى
 منفصل عن العالم ليس هو من هذا الجنس ولا هو ايضا فاعل بمعنى الفاعل
 الذي في الشاهد بل هو فاعل هذه الاسباب مخرج الكل من العدم الى الوجود
 وحافظه على وجه اتم واشرف مما هو في الفاعلات المشاهدة وهو مرید مختار
 لا يلحقه النقص الذي يلحق المرید في الشاهد (ثم قال ابن رشد) وهذا نص
 كلام الحكيم امام القوم في بعض مقالاته المكتوبة في علم ما بعد الطبيعة (١)
 ان قوما قالوا كيف ابدع الله العالم لا من شئ . وفعله شيئا من لا شئ . قلنا في
 ذلك ان الفاعل لا يخلو من ان تكون قوته كقدرته وقدرته كارادته وارادته
 لحكمته او تكون القوة اضعف من القدرة والقدرة اضعف من الارادة والارادة
 اضعف من الحكمة فان كانت بعض هذه الصفات اضعف من بعض فاذن
 ليس بيننا وبين الخالق فرق وقد لزمنا النقص وهذا مستحيل او يكون كل
 كل واحد من هذه الصفات في غاية التعام وغاية الحكمة فهو ما يشاء كما
 يشاء من لا شئ ، وانما يتعجب من النقص الذي فينا اه

(١) قولهم ما وراء الطبيعة كلام مترجم عن اليونانية وما آله العلم الذي ينبغي
 ان يقراء بعد الوقوف على علم الطبيعيات . والمراد به العلم الذي يبحث عن الاسباب
 الاخيرة للوجود وعن مبادئه وانما سموها هذا العلم بما وراء او بعد الطبيعة لانه لما كان
 لكل علم ان يبحث عن علته الاخيرة كان من الضرورة وضع علم يبحث فيه عن
 اسباب الكوائن طرا ومبادئها ولذلك كان هذا العلم علم العلوم ولبسط مسره موضع
 آخر نجد تجد

وقال الفارابي في رسالة الجمع بين رايي الحكيمين افلاطون وارسطو: ليس لاحد من اهل المذاهب والنحل من العلم بحدوث العالم واثبات الصانع له وتلخيص امر الابداع مالا رسطوطاليس وقبله لافلاطون فقد اوضحوا امر الابداع بحجج واضحة مقنعة وانه ايجاد الشيء لاعم شيء . وان كل ما يتكون من شيء ما فانه يفسد لامحالة الى ذلك الشيء والعالم مبسوع من غير شيء فما له الى غير شيء اه ملخصا

وقال ابن مسكويه في الفوز الاصغر في الفصل العاشر في ان الله تعالى ابدع الاشياء كلها لا من شيء: قد ظن قوم لادربة لهم بالنظر انه لا يكون شيء من الاشياء الا من شيء وذلك لما رواوا ان الانسان لا يكون الا من انسان والفرس لا يكون الا من فرس حكموا انه لا يكون شيء الا من شيء . ولجالينوس الطبيب فيه كلام ولللاسكندر في تقضه كتاب مفرد بين فيه ان المتكون انما تكون لا من شيء ونريد ان نبين ذلك ونوضحه بقول وجيز فنقول: ان الاشياء المتكونة انما تتبدل بالصورة حسب فاما الموضوع للصورة فلا يتبدل بنفسه وقد بين الحكيم ذلك ودل على ان الصورة تنقاد على امر ثابت لا يتغير ليقبلها واحد بعد آخر فالاشكال كلها والصور الهيولانية باسرها انما هي محمولة في اجرام والجرم الموضوع لها انما يتبدل كيفية بكيفية وصورة بصورة وليس يخلو اذا استبدل بصورته ان تبقى الاولى فيها مع حدوث الثاني او تنتقل عنه الى جرم آخر او تبطل البتة فان ادعى مدع انها تبقى في الجرم مع حدوث الثاني كانت دعواه مخالفا لان الصور المتضادة والاشكال المختلفة لا تجتمع في محل واحد وان ادعى مدع

انها تنتقل عنه كان ايضا محالا لان نقله المكان انما تكون للاجرام فاما الاعراض
 فانها لا تصح فيها النقلة الا ان تكون في حواملها وذلك بطريق العرض وهذه
 امور قد كشف عنها وبين امرها وليس من شرطنا اطالة الكلام فيها فبقي ان
 نقول ان الاول يبطل بحدوث الثاني واذا بطل الاول فانما صار من وجوده الى
 عدمه . واذا ثبت في الصورة الاولى انها تصير من الوجود الى عدمه كان ذلك
 ايضا في الصورة الثانية الحادثة واجبا - اعنى انه انما صار فيه عدمه الى الوجود
 والا لزم فيه اما ان يكون موجودا في محله ذلك واما منتقلا اليه من محل آخر
 وقد ابطالنا هذين فبقي ان تكون الاشياء المتكونة كلها - اعنى حدثت الصورة
 والتخاطيط وسائر الاعراض والكيفيات انما حدثت لا من شيء وقد اطلق الحكيم
 ان الموجود لا من موجود وهذا بين لان الله تعالى لو كان ابدع الموجود من
 موجود لكان لا معنى للابداع اذ الموجود موجود قبل الابداع وانما يصح
 الابداع في الموجود اذا كان لا من موجود اعنى عدمه وان ارتقينا من الامور
 القريبة النباتين ما نرومه عن قرب وذلك ان كل كائن فانما يكون عما لم يكن ذلك
 الشيء . مثال ذلك الحيوان فانه يكون من غير حيوان اذ الحيوان يكون من منى
 والمنى انما يقبل صورة الحيوان شيئا بعد شيء . ويستبدل بها من صورته الاولى
 وكذلك المنى يكون من الدم والدم من الغذاء والغذاء من النبات والنبات
 من الاستقصات والاستقصات من البسائط والبسائط من الهبولي والهبولي
 والصورة لما كانا اول الموجودات ولم يصح وجود احدهما خلوا من الآخر لم
 ينحلا الى شيء . موجود بل الى عدمه فيكون وجودهما لا عن شيء . وذلك ما اردنا

ان نبين اه كلامه

وقال بعضهم دعوى ان الحدوث من العدم محال يقال عنها انها محال بنفسها
 لا بفعل قادر ازلي . وعدم ادراكنا لذلك وكونه مما يفوق طور العقل لا ينفيه
 اذ لا يلزم من جهل الامر نفيه وقد اعترف الماديون بتعذر معرفة اصل المادة
 وكم من اشياء مشهودة يعسر على الانسان ادراك حقيقتها وكما انه لا يحق لمن
 لم يبصر امرا ان ينكر وجوده فهكذا ليس لمن لم يفهم حقيقة الخلق ان
 ينكر وجوده سيما وهي من غيب الغيوب واطن البطون
 وقال آخر : لا يخفى ان الاعتراض يرجع الى هذا : وهو لاشي يصير من
 لاشي فنقول ان اريد به انه لا معلول يصير بدون علة فاعلة فهو صحيح
 اجماعا واما اذا كان المراد به لاشي . يمكن ان يصدر من لامادة ففيه تفصيل
 فبالنظر الى العلل الثانوية المتناهية للقوى لاخلاف فيه لان الخليفة ايا كانت
 لا تقدر ان تصنع من لاشي شيئا . واما بالنظر الى العلة الاولى ذات القوة
 الغير المحدودة (يعني الخالق تعالى) فباطل اذ من شان القوة الغير المتناهية ان
 لا تقيد بشي . خارج عنها فيمكنها ان توجد الشيء من العدم البحت اى لا من
 مادة كيفما شاءت ومتى شاءت والا كانت متناهية محدودة وذلك محال عليها
 . لا يلزم من قدمه تعالى قدم المبروءات اذ هو تعالى فاعل مطلق لا يضطره
 شي . فيخلق ما يشاء كيفما يشاء : « انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون »
 وقد برهن بعض الرياضيين على حدوث الخلق من العدم بما تقر في فن
 الهندسة قال : في اصول الهندسة ان النقطة نهاية الخط وهو نهاية السطح وهو

نهاية الجسم فالنقطة ليس لها الابعاد الثلاثة الطول والعرض والعمق فهي عدم .
والخط له طول فقط فهو عدم ايضا . والسطح له طول وعرض كذلك فهو عدم ايضا .
والجسم له طول وعرض وعمق وهو محسوس وقد حدث من عدم (ثم قال)
ومما تقرر في هذا الفن ايضا : ان المستقيم يمس محيط الدائرة بنقطة وهي عدم
ومتى تحرك فانه يمر بمرکزها ويصير اكبر ما يرسم فيها ومتى تحرك لنهاية المحيط
فانه يمس بنقطة الانتهاء وهي عدم فثبت بذلك ان الهندسة بدئت بعدم
وانتهت الى عدم اه

❖ استحالة القول بالاتفاق من جهة الحكمة ❖

من اجلي ما يبطل به القول بالمادة والصدفة استلزامه لرفع الحكمة في الخلق اعني
ان لا تكون ههنا حكمة ولا توجد موافقة اصلا بين الانسان وبين اجزاء
العالم التي ظهرت النعمة في وجودها والمنة بخلقها وذلك يخالف الفطرة والعقل
اذ يقتضى ان لا يكون هنا نعمة في شيء وان يستغني الانسان عما يضطر اليه
وان لا توجد المسببات مرتبة على الاسباب في هذا العالم اذ ما كان بالصدفة
والاتفاق فانه لا يستدعي ذلك فلا تكون حكمة اصلا ولا قصد ولا ارادة
وحينئذ فليس شكل يد الانسان مثلا ولا عدد اصابعها ولا مقدارها ضروريا
لا للمساك الذي هو فعلها ولا لاحتوائها على جميع الاشياء المختلفة الشكل ولا
لموافقتها لامساك آلات جميع الصنائع . ولو كان ذلك كذلك لكان لافرق
بين ان ينحس الانسان باليد او بالخافر او بغير ذلك . وكل ذلك باطل بداهة
ليتقن الحكمة في كل ذلك من حكيم قدر هذه الكائنات على نسب حاجياتها

وضرورياتها وكماياتها تقديرا لانتهم منه ولا اتقن والى هذا الاشارة بقوله تعالى
 « ربنا الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى » وقوله سبحانه « صنع الله الذى
 اتقن كل شىء » وقوله جل وعلا « ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع
 البصر هل ترى من فطور » هذا ما اشار له الامام ابن رشد فى المناهج وتقدم
 فى الدليل الرابع فى الافتقار الى سبب الاسباب ما يشرح ذلك
 وبالجملة فمتى لم يعقل ان ههنا اوساطا بين المبادئ والغايات فى المصنوعات
 ترتب عليها وجود الغايات لم يمكن هاهنا نظام ولا ترتيب واللازم منتف
 فاللزوم مثله فاذا الترتيب والنظام وبناء المسببات على الاسباب هو الذى
 يدل على انها صدرت عن علم وحكمة لا بالاتفاق والصدفة

➤ برهان البعث والاعادة ➤

اذا قضت قدرة القادر جل جلاله بان يكو الاشجار بعد عريها ويلون الازهار
 مرة اخرى وينبت الاعشاب ويرد الزرع بعد فناءه فيجدد له كل ما فقد
 ويرجعه لحاله الاولى افلا يكون ذلك شهادة لقيامه الموتى وبعثهم كما قال تعالى
 « اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا
 ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم . قل يحييها الذى انشاها اول
 مرة وهو بكل خلق عليم » فقول المحدث من اين تتجمع اجزاء كل فرد وقد
 تبعثت ودخلت فى تكوين كثيرين آخرين يجاب عنه بان تجمعها بقدرة
 الله الذى خلقها اول مرة ولو تعذر فهم كيفية تكونه فهل يسوغ انكار وجوده
 والا فقل له ابن لى من اين تتجمع مواد الاعشاب التى تنبت وتصير ازهارا

ثم ثمرا ثم شجرا بعد ان يقع زرعها في الارض ويفسد . هل تفهم كيف يتصور
 الحيوان في الرحم ثم ينشأ هو واهضائه . هل تفهم كيف تستجيب الاطعمة
 في الحيوان والانسان الى اللحم وعظام وشريانات واوردة وجلد وشعر وحواس كلها
 في غاية الدقة والارتباط فان كنت لانفهم جميع ذلك فهل يمكن لك ان تنكره
 وقد ثبت في علم الفيزيولوجيا (علم وظائف الاعضاء) ان الارقان الاولية
 للمادة لا تفسد ولا تفتنى وان لحقها كثير من التغيرات والتراكيب المختلفة .
 وعليه فتثبت دائما هي وان قامت مع تكوين كثير من الكائنات اذ لا يزال
 في قدرة الخالق سبحانه ان يرجعها الى الجزء الذي قامت مع تكوينه
 مدة من الزمان

قال الامام الغزالي : سبب فتور البواطن عن قوة اليقين والتصديق بالبعث
 والنشور هو قلة الفهم في هذا العالم لامثال تلك الامور ولو لم يشاهد الانسان
 توالد الحيوانات وقيل له ان صانعا يصنع من النطفة القذرة مثل هذا
 هذا الادمي المصور العاقل المتكلم المتصرف لاشتد نفور باطنه عن التصديق
 به ولذلك قال تعالى « اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم
 مبين » وقال تعالى « يحسب الانسان ان يترك سدى لم يك نطفة من منى بمنى
 ثم كان علقة مخلوق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى اليس ذلك
 بقادر على ان يحيي الموتى » ففي خلق الادمي مع كثرة عجائبه واختلاف
 تركيب اعضائه اعاجيب تزيد على الاعاجيب في بعثه واعادته فكيف ينكر
 ذلك من قدرة الله تعالى وحكمته من يشاهد ذلك في صنعته وقدرته فان كان

في ايمانك ضعف فقوة الايمان بالنظر في النشأة الاولى فان الثانية مثلها واسهل
منها اهـ

يقال رحمه الله ايضا في المقصد الاسنى في شرح اسمه تعالى : (البعث) هو
الذي يحيي الخلق يوم النشور . ويمت من في القبور . ويحصل ما في الصدور
والبعث هو النشأة الآخرة . ومعرفة هذا الاسم موقوفة على معرفة حقيقة
البعث وذلك من انغمض المعارف واكثر الخلق منه على توهمات مجاملة
وتخييلات مبهمة وغايتهم فيه تخيلهم ان الموت عدم غلط . وظنهم ان الابد
الثاني مثل الابد الاول غلط . فاما ظنهم ان الموت عدم فهو باطل فان
الموتى اما سعداء واولئك ليسوا امواتا . « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله » واما اشقياء
وهم ايضا احياء ولذلك ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقعة بدر
وقال : انى وجدت ما وعدنى ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا : ثم لما
قيل له كيف تنادي قوما قد جيفوا قال ما انتم باسمع لما اقول منهم لـكنهم
لا يقدرون ان يجيبوا : والمشاهدة الباطنة دلت ارباب البصائر على ان الانسان
خلق للابد وانه لا سبيل للعدم عليه . واما ظنهم ان البعث ايجاد ثان وهو
مثل الابد الاول فغير صحيح بل البعث انشاء آخر لا يناسب الانشاء
الاول اصلا . والانسان نشأت كثيرة وليست هي نشأتين فقط ولذلك
قال تعالى « وننشئكم فيما لا تعلمون » وكذلك قال تعالى بعد خلق المضة والعلقة
وغير ذلك « ثم انشأناه خلقا آخر » ثم خلق الادراكات الحسية بعد خلق

اصل الروح خلق آخر . ثم خلق التمييز الذي يظهر بعد سبع سنين نشأة
 اخرى ثم خلق العقل بعد خمس عشرة سنة وما يقاربها نشأة اخرى وكل
 نشأة طور وقد خلقكم أطوارا وكما انه يعسر على من في المهد فهم حقيقة التمييز
 قبل حصول التمييز يعسر على المميز فهم حقيقة العقل وما ينكشف في طوره من
 العجائب قبل حصول العقل (ثم قال الغزالي) وكما ان طور العقل وادراكه
 ونشأته بعيد المناسبة عن الاراكات التي قبله فكذلك النشأة الآخرة ابعد
 فلا ينبغي ان تقاس النشأة الآخرة بالاولى (ثم قال) والمقصود ان لامناسبة
 بين النشأتين الا من حيث الاسم وما ابدع قوله رحمه الله في آخر البحث :
 ومن رقى غيره من الجهل الى العلم فقد انشأه نشأة اخرى واحياه حياة طيبة
 فان كان للعبد مدخل في افادة الخلق العلم ودعائهم الى الله تعالى فذلك نوع
 من الاحياء وهي رتبة الانبياء ومن يرثهم من العلماء اه

❖ رد الاستدلال بالنفي المجرد في باب النظريات ❖

كثيرا ما يعرج الماديون بعد بطلان شبههم على النفي ويزعمون ان الشهادة بالنفي
 يأوون منها الى ركن والذاهب الى هذا بعد ابطال ما لديه ونسفه ، معرض معتقده
 لهلك ستره وكشفه ، وذلك لان الشهادة بالنفي على اقسام اما معلومة مثل ان
 العرب لم تنصب الفاعل (١) أو ظنية عن استقراء صحيح نحو ليس في كلام
 كلام العرب اسم متمكن آخره واولا زمة قبلها ضمة ، أو نظرية يرمى بها من

(١) وقد شذ اعطاء الفاعل اعراب المنفعل ورفعها معا ونصبها كذلك في امثلة وشواهد
 سابقها ابن هشام في آخر المغني في القاعدة الحادية عشرة في مثالها الثامن والشاذ لا يقاس عليه

غير دليل وهذه هي المردودة وما نحن فيه من ذلك فان ما ليس بضروري فلا يعرف الا بدليل والنفي فيه كالاتبات وتحقيقه - كما في المستصفي للغزالي - ان يقال للنافي ما دعيت نفيه عرفت انتفاء اوانت شاك فيه فان اقر بالشك فلا يطالب الشاك بالدليل فانه يعترف بالجهل وعدم المعرفة وان قال انما يتيقن للنفي قبل له يقينك هذا حصل عن ضرورة اوعن دليل ولا تعد معرفة النفي ضرورة فاننا نعلم اننا لسنا في لجة بحر او على جناح نسر فلا تعد معرفة النفي ضرورة وان لم يعرفه ضرورة فانما عرفه عن تقليد او عن نظر فالتقليد لا يفيد العلم فان الخطأ جائز على المقلد والمقلد معترف بعمر نفسه وانما يدعى البصيرة لغيره وان كان عن نظر فلا بد من بيانه فهذا اصل الدليل اه

➤ نزوع الماديين الى ترغفات الجدال العقيم ➤

قال بعض الافاضل يمثل حالة الدهريين : تسلق الزائغون عن الحق في التلبس على الضعفاء وافساد عقيدة الاغبياء من طريق مبادئ الخلق ومبانيه وما اليه ماله تعلقا به ينهبون غرة الغافل ويحيدون فطنة العاقل وذلك من انكى مكائدهم للدين واثنخن لبلوغهم في انتقاص الموحدين « وياي الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون » وان من اعظم الآفة على عوام الامة تصديقهم لمناظرة من ناظرهم بما تخيل في اوهامهم وانصب في نفوسهم من غير ارتياض بطرق العلم ولا معرفة باوضاع القول ولا تحكك بادب الجدال ولا بصيرة بحقائق الكلام ثم القاؤهم بايديهم - عند اول صاكة تصك افهامهم وقارعة تفرع اسماعهم صارعين خاشعين - الى ملاح لهم بلا اجالة روية ولا تنقيح

عن منبئة

فقصارى نظرهم الاستخفاف بالشرائع والاديان التي هي وثاق الله تعالى في
سياسة خلقه وملاك امره ونظام الالفه بين عباده وقوام معاشهم والمنبه على
معادهم الرادع لهم عن التباغي والتظالم والمهيب بهم الى التعاطف والتواصل
والباعث لهم على اعتقاد الذخائر من مشكور صنائع العاجل ومحمود ثواب الآجل
اه ولذا كان الجدل معهم عديم الفائدة . قليل العائدة . لما يقع في نفس
أحدهم عند الخوض في الجدل ان لا يقنع بشيء قال الامام الاصفهاني : ومن
لا يقنعه الا ان لا يقنع فما الى اقناعه سبيل ولو اتفقت عليه الحكام بكل بينة
بل لو اجتمعت عليه الانبياء بكل معجزة كما قال تعالى « ولو انزلنا اليهم الملائكة
كلهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله »
(وقال ايضا :) اذا ابتليت بمجادل مهارش . ومشاجر مناوش . مراده مناوأة
العلماء . وممارة السفهاء فحقق ان تفر منه فرارك من الاسد . فان لم تجد من
مزاولته بدا فقابل انكاره الحن بانكارك الباطل ودفاعه الصدق بدفاعك
الكذب . معتبرا في ذلك قوله عز وجل « ومكروا ومكر الله » وقوله تعالى حكاية
عن المنافقين « انا معكم انما نحن مستهزون . الله يستهزى بهم » وايك ان
تخرج معه الى بث الحكمة وان تذكر له شيئا من الحقائق مالم تتحقق ان له قلبا
طاهرا لاتعافه الحكمة (١) فقد قال عليه الصلاة والسلام : لا تدخل الملائكة

(١) يرحم الله القائل

واذا جلست الى الرجال واشرفت * في جوة باطنك العلوم الشريرة
فالقدر : إشارة الى الفاقة * تغناظ انت ويستفد ويوجد

يبتا فيه كلب فان اكل نربة غرسا، وان اكل بناء اساء . وما كل الرءس يستحق
 النيجان، ولا كل طبيعة تستحق افادة البيان . فان كان لا بد فاقصر معه على
 اقناع يبلفه فبرحه فقد قيل : ان اب الثمار معد للانام . والتبن معدود للاعام،
 كذلك لب الحكمة معد لذوى الالباب وقشورها مجعولة للانعام (ثم قال)
 واعلم ان سبيل انكار الحججة والسعي في افسادها اسهل من سبيل المعارضة
 بثلمها والمقابلة لها ولهذا يتعمى الجدل الخصم ابدا للدفاع لا المعارضة بثلمها
 وذلك ان الافساد هدم وهو سهل والاتيان بالمش بناء وهو صعب ولذلك دعانا
 الله الناس في الحجج الى الاتيان بثلمها فقال « فاتوا بعشر سور مثله مفتريات »
 وقال ابراهيم عليه السلام « فان الله ياتي بالشمس من المشرق فأت بها من
 المغرب » والله الموفق

❖ بيان آداب الجدل القويم ❖

❖ وسبيل الاشراف على الحق ❖

اعلم ان كل مسألة تنازع فيها اثنان او جماعة فلا يخلو من ان يكونوا من اهل
 تلك الصناعة التي المسألة منها او يكونوا من غير اهلها فان كانوا من غير اهلها
 فكلامهم فيها على غير اصل مقرر منهم . وكل كلام ومنازعة في شئ على غير
 اصل مقرر منهم فلا تحصيل لكلامهم فيه ولا حجة لدعواهم وان كان احدهما
 من غير اهلها فان منازعته لصاحبه تعد منه . وكلام صاحبه معه ايضا تخلف
 منه اذ كان يجادل مع من ليس من اهل صناعته . وان كانا من اهل تلك
 الصناعة فلا يخلو من ان يكون متساويي الدرجة فيها او متفاوتين . فال

كما متعاقبتين فحكهما مثل ما تقدم ذكرهما من ذكر حكم الاولين . وان كانا
متساويين الدرجة في تلك الصناعة فسيبيلهما ان يورخذا فيما اختلفا فيه الى
قوانين تلك الصناعة واصولها ويقيسان عليها تلك المسألة ان كانت من فروعها
وان لم يكن في قوة نفوسهم استخراجها فسيبيلهما ان ينحكما الى من هو اعلى
درجة منهما في تلك الصناعة ليحكم بينهما . وان لم يجدا من يحكم بينهما
فيريضان بحكمه ولا في قوة نفوسهم استخراجها من الاصول فليس لهما الا
الترك لتلك المسألة والسكوت عنها . فان لم يفعلوا ما وصفنا في الجدل
والخصومة فسيكون ذلك بسبب العداوة والبغضاء بينهما . وكما ازدادوا الحاحا
ازدادوا خلافا على خلاف وعداوة على عداوة وبغضا الى يوم القيامة وهذا
من احد اسباب الاختلاف في الاراء اه من الرسائل

واما سبيل الانراف على الحق فهو استقامة الفهم وجودة النظر - المعبر عنها
بالقوة القدسية - ويتضمن ذلك امورا

الاول ان لا يكون معوج السليقة فانه آفة الحاسة الباطنة . والاعوجاج ذاتي
كما ذكر وكسبي باعتبار العوارض مثل سبق تقلب او شبهة

الثاني ان لا يكون رجلا جدلا في قلبه محبة البحث والاعتراض فمثل هذا القلب
لا يكاد يهتدى ولا يعرف الحق من الباطل اذ دوام الفكرة في المحاورات
يضعف الفهم ويمرض صحيجه

الثالث ان لا يكون لجوجا عنيدا كثير التعت في النظر

الرابع ان لا يكون في حال قصوره مستبدا برأيه

الخامس ان لا يكون له حدة ذهن زائدة بحيث لا يقف ولا يجزم بشي
 السادس ان لا يكون بلهيا لا يتفطن المشكلات والدقائق ويقبل كل ما يسمع
 ويميل مع كل قائل بل لا بد فيه من حذاقة وفطنة يتعرف بها الحق من الباطل
 السابع ان لا يكون مدة عمره متوغلا في الرياضي او النحو او غير ذلك ثم يشرع
 بعد ذلك في فن الكلام متحكما فيه بما سبق له من تلك الافهام فانه يخرجه
 كثيرا بسبب انس ذهنه بغير طريقه

الثامن ان لا يعود نفسه لكثير الاحتمالات في التوجيه فانه ربما يفسد الذهن
 وقد قالوا ضاع الحق بين قولين فصاعدا

التاسع ان لا يكون جريئا غاية الجراءة في البت والقطع بدون تروء وامعان

العاشر ان لا يكون مغرطا في الاحتياط جبانا عن الفحص والاستنباط

الحادي عشر ان يتجافى البحث عما لا يدرك فان الذي وسع دائرة المرء والضلال
 هو البحث عما لا يعلم والسعي فيما لا يدرك وطول السير في الطريق التي
 لا توصل الى المطلوب والافتناء بمن يظن فيه الاصابة وهو مخفي والاشتغال
 بالبحث عن الدقائق التي لا طريق الى معرفتها ولا يوصل البحث عنها الى
 اليقين ولا الى الوفاق ولا ظهرت للغوض فيها مع طولها ثمرة نافعة لا باليقين
 صادعه . ولالافتراق جامع . وربما انقطع هذا العمر القصير في تلك الطرق
 البعيدة قبل البلوغ الى المقصود بها وهو معرفة الحق الواجب من الباطل المهلك
 ومعرفة الحق من المبطل وليس الطلب لكل شي . بمحمود ولا كل مطلوب
 موجود ولذا تعين طلب الطريق القريبة الممكنة التي هي فطرة الله التي فطر

الناس عليها . هذا ملخص ماورده العلامة الطباطبائي في مفاتيح الاصول
 والسيد ابن المرتضى في ايثار الحق . وهذا المطلوب من المضمون به على غير
 اهله نخذه وكن من الشاكرين

❖ الزام الواقعة وارباب الهيرة ❖

ذكر اني قرأت مقالة اعجب بها خطيبها المتفلسف زعم في خاتمتها السواى
 تكافؤ الادلة عنده (١) مما آل الى اتخاذ الهيرة مذهباً والتوقف والتردد
 نحله - نعوذ بالله - وقد يظن قليل الاطلاع والتفتيح على مقالات الفرق
 ورائهم ان هذا راي جديد وفكر حديث والخير يدري ان هذا السخف وجد
 من قال بمثله في العصور الخالية وان قد ابطله من لا يحصى من الائمة . ويمر
 بالقارى في مطولات الاصول شىء منه واوسع من رايته تكلم مع الفرقة الذاهبة
 اليه الامام ابن حزم رحمه الله في آخر الفصل حيث قسمهم الى اقسام واصناف
 تشعبية وكره بالنقض والالزام والقام الحجر لكل والافحام . في عدة اوراق
 اودعها من الحقائق مارق اوراق . ولنقتطف لموضوعنا الموجز شذرة من عقوده
 قال رحمه الله ا. الطائفة المتميرة فقد شهدت على انفسها بالجهل وكفت
 خصومها موءنتها في ذلك . وليس جهل من جهل حجة على علم من علم ولا
 من لم يتبين له الشىء عباراً على من تبين له بل من علم فهو الحججة على من جهل
 هذا هو الذى لا يشك احد فيه في جميع العلوم والصناعات . وكل معلوم يعلمه

(١) قال ابن حزم معنى تكافؤ الادلة انه لا يمكن نصر مذهب على مذهب وان دلل
 كل واحد مكافئة لغيرها وان كل ما ثبت بالجدل فهو بالجدل يتقضى به

قوم ويجهله قوم ولا احسق ممن يقول لما جهلت اما امر كذا ولم اعرفه علمت
 ان كل احد جاهل به كجهلي . وهذا صفة هؤلاء القوم نفسها . ولو ساغ هذا
 لاحد لبطلت الحقائق وجميع الصناعات اذ لكل شيء منها من يجهله من الناس
 نعم ومن لا يتحجج فيه ولا يفهمه وان طلبه . هذا امر مشاهد بالحواس فهم
 قد اقرروا بالجهل وندي نحن العلم بحقيقة ما اعترفوا بجهلهم به . فالواجب
 عليهم ان ينظروا في براهين المدعين للمعرفة بما جهلوه نظرا صحيحا منقضى بغير
 هوى فلا بد يقينا من ان تلوح حقيقة قول الحق وبطلان قول المبطل فتزول
 عنهم الحيرة والجهل حينئذ فسقطت هذه المقالة بيقين

واما من قطع بانه ليس هاهنا مذهب صحيح اصلا فان قوله ظاهر الفساد
 بيقين لا شكال فيه لانهم اثبتوا حقيقة وجود العالم بما فيه وحقيقة ما يدرك
 بالحواس وباول العقل وبديهته ثم لم يصححوا حدوثه ولا ازيلته ولا ابطلوا
 حدوثه وازيلته معا فقد خرجوا يقينا الى المحال والى اقيح قول السوفسطائيه وفارقوا
 بديهية العقل وضرورته التي قد حققوها وصدقوا موجبها اذ لا خلاف بين احد
 له مسكة عقل في ان كل ما لم يكن حقا فهو باطل وما لم يكن باطلا فانه حق
 وان اثنين قال احدهما في قضية واحدة في حكم واحد قال نعم والاخر لا
 فاحدهما صادق بلا شك والاخر كاذب بلا شك هذا يعلم بضرورة العقل
 وبديهته . واما قول قائل هذا حق باطل معا من وجه واحد في وقت واحد
 وقول من قال لاحق ولا باطل فهو بين باطل معلوم بضرورة العقل وبديهته
 فواجب باقرارهم ان من قال ان العالم لم يزل وقال اخره ومحدث ان احدهما

صديق بلا شك فظهر بيقين وضرورة العقل يقينا فساد هذه المقالة الا ان
بطلوا الحقائق وبلحقوا بالسوفسطائية فيكلمون حينئذ بما تكلم به السوفسطائية

❖ وقوع الاشارة الى الماديين في القرآن الكريم ❖

❖ وان الفلسفة الحقيقية رائد الحق ❖

هؤلاء الماديين عدة اسماء سوى فيقال لهم المعطلة والملاحدة والدهرية
والزنادقة والمهملة وهم اقل الناس عدداً وأقيلهم رايًا واشهرهم حالا واوضعهم
منزلة . ولهم في كل عصر صبغة وحلية وفي كل قرن راي وفكرة كما يراه من
وقف على كشف عوارضهم في المؤلفات القديمة . قال العلامة الشهرستاني في
الملل والنحل في معطلة العرب : فصنف منهم انكروا الخالق والبعث والاعادة
وقالوا بالطبع المحيي والدهر الممضي وهم الذين اخبر عنهم القرآن المجيد « وقالوا
ما هي الا حياتنا نموت ونحيا » اشارة الى الطوائع المحسوسة في العالم السفلي
وقصر الحياة والموت على تركيبها وتحللها فالجامع هو الطبع والمملك هو الدهر
« وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » فاستدل عليهم
بضرورات فكرية وآيات فطرية في كم آية وكم سورة فقال تعالى « اولم يتفكروا
ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين » اولم ينظروا في ملكوت السموات
والارض » وقال « اولم ينظروا الى ما خلق الله » وقال « قل انكم لتكفرون
بالذي خلق الارض في يومين » وقال « يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم »
فتبنت الدلالة الضرورية من الخلق على الخالق فانه قادر على الكمال ابداء
واعادة اه وقال الامام ابن القيم في اغاثة اللهفان في ذكر تلاعب الشيطان

بالدهرية : هو لاء قوم عطلوا المصنوعات عن صانعها وقالوا ما حكاه الله عنهم
« وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر » وقالوا ان
العالم دائم لم يزل ولا يزال لا يتغير ولا يضمحل وهذا العالم هو المسك لهذه
الاجزاء التي فيه وهو لاء هم المعطلة حقا وهم فحول المعطلة وقد سرى هذا
التعطيل الى سائر فرق المعطلة على اختلاف آرائهم وتباينهم في التعطيل كما
سرى داء الشرك تاصيلا وتفصيلا في سائر فرق المشركين على اختلاف مذاهبهم
فيه وكما سرى جحد النبوات تاصيلا وتفصيلا في سائر من جحد النبوة او صفة
من صفاتها او اقربها جملة وجحد مقصودها وزبدتها وبعضه فهذه الفرق الثلاثة
سرى داءها وبلاؤها في الناس ولم ينجح منه الا اتباع الرسل العارفون
بحقيقة ما جاء به المتمسكون به دون ما سواه ظاهرا وباطنا فداء التعطيل وداء
الاشراك وداء مخالفة الرسول وجحد ما جاء به اوشي منه هو اصل بلاء العالم
ومنيع كل شر واساس كل باطل فليست فرقة من فرق اهل الالحاد والباطل
والبدع الا وقولها مشتق من هذه الاصول الثلاثة او من بعضها

فان تيج منها تيج من ذى عظيمة * والافاني لا اظنك ناجيا

(ثم قال) فسرت هذه البلايا الثلاثة في كثير من طوائف الفلاسفة لاني
جميعهم فان الفلاسفة من حيث هي لاتعطي ذلك فان معناها محبة الحكمة
والفيلسوف اصله فيلاسوفا اي محب الحكمة فصيلا هو المحب وسوفا هي الحكمة
والحكمة نوعان قولية وفعلية فالقولية قول الحق والفعلية فعل الصواب وكل
طائفة من الطوائف لهم حكمة يتقيدون بها واصح الطوائف حكمة من كانت

حكمتهم اقرب الى حكمة الرسل التي جاؤا بها عن الله تعالى قال تعالى عن نبيه داود عليه السلام « وآتينا الحكمة وفصل الخطاب » وقال عن المسيح عليه السلام « ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل » وقال عن يحيى عليه السلام « وآتينا الحكيم صبيا » والحكم هو الحكمة وقال لرسوله محمد صلى الله وسلم « وانزل الله عليك الكتاب والحكمة » وقال « يوتي الحكمة من يشاء » ومن يوتي الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا » وقال لاهل بيت رسوله « واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة » فالحكمة التي جاءت بها الرسل هي الحكمة الحق المتضمنة للعلم النافع والعمل الصالح للهدى ودين الحق لاصابة الحق اعتقادا وقولا وفعلا . وهذه الحكمة فرقها الله سبحانه بين انبيائه ورسله وجمعها لمحمد صلى الله عليه وسلم كما جمع له من المحاسن مافرقه في الانبياء قبله وجمع في كتابه من العلوم والاعمال مافرقه في الكتب قبله فلوجعت كل حكمة صحيحة في العالم من كل طائفة لكانت في الحكمة التي اوتيا صلوات الله وسلامه عليه جزأ يسيرا جدا لا يدرك البشر نسبتته . والمقصود ان الفلاسفة اسم جنس لمن يجب الحكمة ويؤثرها وقد صار هذا الاسم في عرف كثير من الناس مختصا بمن خرج عن ديانات الانبياء ولم يذهب الا الى ما يقتضيه العقل في زعمه الا ان هذا عرف عامي لا عبرة به لانه لا يقتضيه وضع اللفظ ولا استعمال المحققين له اه كلام ابن القيم بزيادة ما وقال الشيخ الاكبر في مقدمة الفتوحات : اياك ان تبادر الى انكار مسألة قالها فيلسوف او معتزلي مثلا وتقول هذا مذهب الفلاسفة او المعتزلة فان هذا

قول من لا تحصيل له اذ ليس كل ما قاله الفيلسوف مثلا يكون باطلا فمسي ان
تكون تلك المسئلة مما عنده من الحق ولا سيما ان كان الشارع صلى الله عليه
وسلم صرح بها او احد من علماء الامة من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين
وقد وضع الحكماء من الفلاسفة كتبا كثيرة مشحونة بالحكم والتبري من
الشهوات ومكابد النفوس وما انطوت عليه من خفايا الضمائر وكل ذلك علم صحيح
موافق للشرائع فلا تبادر الى الرد على مثل ذلك (ثم قال) نخذ ما اتاك به
الفيلسوف او المعتزلي مثلا ثم تربص واثد على نفسك قليلا قليلا حتى يتضح
لك معناه احسن من ان تقول يوم القيامة يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل
كنا ظالمين وقال ايضا في الباب (٢٢٦) اعلم ان الفلاسفة ما ذمت لمجرد هذا
الاسم وانما هو لما اخطئوا فيه من العلم المتعلق بالآلهيات فان معنى الفيلسوف
هو محب الحكمة وكل عاقل يحب الحكمة غير ان اهل الافكار خطوهم في
الآلهيات اكثر من اصابتهم سواء كان معتزليا او فيلسوفاه نقله في البواقيت

❖ اعتراف الفلاسفة اليوم بالقصور عن بلوغ الحقائق ❖

❖ وان مقلديهم آفة العلم والدين ❖

ما اجل الوقوف على الاراء والمباحث وما اجمل العثور على ميدان التجالد
فيها وما اهم ما يستفيدة المنصف من مشهد ذلك لولم يكن الا ما ياخذ العقل
من المحيطة عند تجالدها والبعد عن مشايعتها والعصمة من الانخداع في التحزب
لبعضها حتى ينحسم الخلاف ويصطلح الفريقان لكفى

كم من ناظر خدع براى عزير يشبه حسبي ادلة ولم يشعر ان من ورائها آخسر

ينقضها ويهدمها ويبرهن انها اوهام ، وطلما حججت من حج من اسكرتهم تلك
 المعرفة القليلة الضئيلة التي جعلتهم يتوهمون انهم يعلمون كل شيء ، - اعني
 اولئك الذين ارادوا ان يجعلوا تقليدهم الاعمى بدلا من العلم الصحيح - بان
 الوقوف على حد واحد من القول قصور وتقصير وضلال وتضليل فما نسبة
 قول من كتّيب اورسالة الى كتب ومصنفات اوسعت المقال واطالت المجال
 فندت بعضها بعضا وجهات على اوهام آخريين سافلها . وما اغبي قوما عقدوا
 على العناية برأى من آراء فاعتقدوه . وامامهم لو بحثوا واعاروا النظر الصحيح
 ما ينكث كل ما اعتمدوه كيف لا وعند كل فرقة من الماديين غير ما عند غيرها
 وكل منها ادلة تنفي آراء من سواها ولا تثبت رايها وقد اتفقوا على ان كثيرا
 من مزاعمهم لم يتبرهن منها شيء ، وبان ما زعموه نتيجة مقدمات لم يسلم بها
 وبان آرائهم فرض بلا اثبات ورأى من صور الوهم الى غير ذلك مما لو جمع
 من كلام المتعقبين والمناقشين لبلغ مجلدات . ولم اعجب من امر عجبي ممن
 يعتصر منهم جميع قواه ويستفرغ في الخيالات كل مجهوده ثم لا يرى الواقف
 بعد رايها مهذبا ولا مذهبا مصفى الا انتقاضا وتهافتا وتكلفا وانتحال ما ياباه
 العقل السليم والطبع المستقيم كما قال قائل منهم « كل ما تقدر ان تعرف من
 هذا الوجود هو صور ومظاهر وكل راي عن حقيقة المادة فاسد لا يمكن
 للعقل قبوله » : العاقل يحظر عليه عقله القطع بصحة ما فرض قبل تحققه .
 وتحصيل العلوم اليقينية بالاستقراء صعب جدا واعقل العقلاء عرضة للخطأ
 فيه وانه ليس بتكرار المشاهدة والامتحان اذ ليس ذلك الا طريقا لا ادراك

السوابق والتوابع فلا وصول بعده وبعد الفرض الى المطلوب الا بالاستدلال
ومن الصعب العزيز المنال والسفر البعيد الوصال فهم الكليات قبل الجزئيات
ورفقه النهاية بدون علم البدايه ، والوقوف على السرائر ، مع جهل الظواهر ،
و تطلب المراد ، على غير استعداد ، ولا غرو فان استنباط اوليات الامور
شروط في ادراك اخرياتها ، وما اجمل قول ابن رشد : اذا تكلم الانسان في شئ ،
قبل ان يعلم طبيعته كان كلامه اشبه بمن يهذى اه

ومما يجب ان يعلم ان الفرض اذا خالف شيئا من المحققات بطل والا لزم نفي
الحق اليقيني بموهوم او مظنون وهو محال واذا وافق قليلا مما يلزم بالاستدلال
ولم نثبت موافقته او مخالفته لسائر توقف فيه . واذا وافق كثيرا من ذلك
اللازم ولم نثبت الموافقة او المخالفة للسائر ظن اورجح بحسب ذلك الموافق ودون
ذلك لا ما من من الخطأ

اذا تبين هذا ظهر ان ما يطيل به الماديون اخفاث احلام وفرض بلا اثبات
وراي من صور او هام لم يثبت وقوعها فهي مفتقرة للتحقيق ودفع ما عليها من
الاعتراض والتزييف ، وكل عاقل اذا اعتزل الهوى يتوقف في دعوى لا يرهان
على اثباتها ولا دليل على نفيها فما قولك بفرض لم يثبت يرهان وتعليلاته بتراه
وتفسيراته ناقصة او مبهمه ، وكيف يستجيز العاقل النهم في الحقائق الولع
بالانصاف ان يتشبع من هذه الظنون ما يهدم فضائل المعرفة من لبه ، ويودي
بحياة صحيح عقده من قلبه ، لا جرم ان المخدوع بذلك يناقض ضميره و يكابر
شعوره ويعادي فطرته فاشا ثم حاشا ان يكون الالحاد نتيجة العلم بل كلما

رسخ العلم رسخت العقيدة على ما سنيده
 قال بعض المحققين «طالب الحقيقة هو الذي لا يشتبه في الحق إلا لعارض
 يصرفه عن الدليل فإذا نه اليه تذب ورجع ومن الناس من يسهل تشبيهه وهم
 اصحاب الافكار المستقلة - ومنهم من يتعذر او يتعسر تشبيهه على حسب بعده
 من التقليد وقربه من استقلال الفكر وفي المشتغلين بالعلم والفلسفة من المقلدين
 نحو ما في المشتغلين بعلم الدين فان احدهم يسمع او يقرأ ان فلانا الفيلسوف
 - الذي يعجب به - قال انه لم يثبت عندي دليل على كذا فيقول هذا المقلد
 له المفتون بهرجه لو كان هناك دليل قطعي لما خفي على ذلك الفيلسوف ويكلف
 نفسه بان تشك او ترتاب او تنكر وتفتد كل دليل « ولقد صدق فانك ترى
 المقلد لهؤلاء المحدثين الذي اصبح آفة العلم والدين يخبط خبطا عشوا ولا
 يدري النور من الظلمة ، وقصارى تفهيمه حفظه للآراء على علاتها وتبيحه
 بالزاعم على سواها ، قال الرازي في شرح الاشارات في صنف مقلدة الفلاسفة
 ما مثاله : المقلدة لا يتنفعون بشئ من العلوم وان كانوا في غاية الذكاء لان
 حجبهم المفرط لما هم عليه من المذاهب يعميهم وبصمهم عن الوقوف على الحق ،
 واخص الناس مقلدة هؤلاء الفلاسفة لنظرهم المتدينين بعين الاستخفاف الخ
 وقال حجة الاسلام الغزالي في الاقتصاد في بيان امثالهم : انهم لم يفارقوا العوام
 في اصل التقليد بل اضافوا الى تقليد المذهب تقليد الدليل فهم في نظرهم
 لا يطلبون الحق بل يطلبون طريق الحيلة في نصرة ما اعتقدوه حقا بالسمع
 والتقليد فان صادفوا في نظرهم ما يؤيد عقائدكم قالوا قد ظفروا بالدليل وان

ظهر لهم ما يضعف مذهبهم قالوا قد عرضت لنا شبهة فيضعون الاعتقاد المتلقف
 بالتقليد أصلا وينبزون بالشبهة كل ما يخالفه وبالذليل كل ما يوافقها وانما الحق
 ضده وهو ان ينظر الى الدليل ويسمى مقتضاه حقا ونقيضه باطلا اه
 وقال الغزالي ايضا في محك النظر: من الاذهان ما فطر فطرة تسارع الى قبول
 كل مسموع ثم تنصبغ به انصبغا لا يمكن البتة انجلاؤه عنه ويكون مثاله كالكاغد
 الرخو الذي يغوص الخبر في عمقه فان اردت محوه لزمك افساد الكاغد وخرقه
 وما دام الكاغد موجودا كان السواد فيه موجودا فهو لا ايضا مادامت ادمغتهم
 موجودة كانت هذه الضلالات فيها موجودة لا يقدر البشر على ازالتها اه
 وبالجملة فهو لا المقلدة لمردة المحدثين كان تعلمهم وتعليمهم شرا على المجتمع
 الانساني فقد اصبح تطوحهم في الاحاد خارجا عن الحد ونشأ من امرهم ما كان
 اشد خطرا من بقائهم في ظلمات الجهالة بل حبذا الجهل عنده وقد ملك حب
 التقليد الاعمى عليهم نفوسهم واهوائهم محاكاة لمن زعموا فيه التفوق من غير
 تحكيم الروية وللتقليد فعل غريب في الاخلاق والعادات والافكار وسائر
 الشؤون الانسانية وقلب احوالها فهو لا الذين اشربت قلوبهم تقليد المعطلة
 استهانوا بفضائل سلفهم واستخفوا بها وودوا لو تجردوا عنها وما يتجردون ان تم
 لهم ذلك الا من الفضيلة ومذاهبها والانسانية وكالاتها وليس الذنب في
 ذلك ذنب العلم بل الذنب ذنب التعليم الفاسد لان العلم يوصل الى الحق
 ولا يثمر الا الفضيلة والصالح ولا حيا الله شجرة لا تمد ظلا ولا تثمر ثمرا
 فهي بالقطع اولى منها بالبقاء حتى لا تكون عقبة كوهودا في طريق السائرين:

عجيب امر من يدرك النقص من هو لا المقلدة ويقف عنده ولا يعلم ان وراءه كمالا محضا يجب ان يسعى له ويضرب بيد العزائم ليصل اليه . ولقد انصف من قال : الخلاف الفلسفي اعظم خطرا من الخلاف العلمي واشد صعوبة وكل الاقوال التي تقوم بشأنه ينقض بعضها بعضا . والعلم الطبيعي مبني على الامتحان والتجربة والمشاهدة . والعلماء انفسهم يقولون اليوم انهم اطفال على شاطئ بحر العلم العظيم . وكانه عنانهم من قال

ليس عجيبا بان امرا * لطيف الخصام دقيق الكلم
يموت وما حصلت نفسه * سوى علمه انه ما علم

واما سبب الاختلاف فناشئ اولاً عن ان الانسان لا يزال جاهلا . وثانياً ان الامور التي لا تقع تحت حواسه لا يمكنه ان يحكم فيها حكماً واحداً لتسببها وتناقضها ولذا فلا يجوز ان يسمى العلم الحاضر - يعني الفلسفي - علماً حقيقياً لان العلم المطلق يقتضي ان يكون صاحبه قد ادرك كنه كل شيء وانى به فلا وظيفة للعلم العصري المذكور الا البحث عن ظواهر الاشياء وقشورها ومستخرجاته مستعدة للتغيير كلما اتسع نطاق العلم وانفرج مدى الاكتشاف كما انقلب كثير من مسائل الهيئة وقواعدها الاولى بما حدث بعدها ظهراً لبطن فاذا كانت هذه حالة العلم الجديد امامهم افليس من الهوس اتخاذ آلة لتنفى رواسخ الاصول ورواسي قضايا العقول وموقفه في الاضطراب مارايت أو الافتراء عليه بانه ينقض ذلك ويبطله في حال كونه على العكس من ذلك فانه يرشد الى اسرار وحكم وبدائع توهمها العقداً الصحيح وتقرّب اليه في مجال

الحق الصريح « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة
انك انت الوهاب »

❖ مطابقة الشرع للعقل ❖

❖ ومواخاة العلم للدين ❖

قال حكيم : العقل حجة الله القاطعة البالغة . واصل براهينه الساطعة الدامغة .
وبواسطته استعبد عباده الكمله . والى من خصه به ارسل رسله . ثم العقل
جوز ارسال الرسل . ولا يرد ما تقوى به لتوضيح السبل . والنقل لا ياتي
بما يناقض العقل . وانما يرد بما يزكي قضاة ويصقل مرآة احكامه احسن
صقل . ونظير ما حصل للعقل بالشرع من الاستئناس . ما حصل للكتاب من
معاودة السنة والاجماع والقياس . ولو ورد المنقول بما يناقض المعقول
لا شبه فرعا يوجد ماله من اصول . اذا اقبلت مواكب الاوامر الالهية على
لسان الرسول . خضعت جماجم العقول منقادة بزمام الانقياد والقبول .
سامعة لما يرد منها . مطيعة لما يصدر عنها . فتارة يظهر للعقل مالاوامر الشرعية
من الحكم . كمنار على علم . وتارة يعجز عن الاطلاع على ما تضمنته الاحكام
النقلية من الحكم . فاذا ورد الشرع بحكم وكان للعقل في حكمته ادراك ، اثره
واكده واستمسك به في تصرفاته اقوى استمسك . وان لم يكن له في ادراكه
مدخل . نادى بلسان العجز والتسليم سبحان من لا يسئل عما يفعل ، (١)

(١) الذي عليه المحققون ان جميع الاحكام المشروعة اصولها وفروعها كلياتها وجزئياتها
معقولة المعنى وان حكمها وامرارها اما مذكورة بالعبارة او الاشارة او بالتنبيه على امثالها -

وقال الامام الغزالي : يستحيل على الوحي الالهي والشرع الحق ان يرد بما ينبو عنه العقل بمعنى ان يكون برهان العقل يدل على استحالة نعم ليس بمحال ان يرد بما يقصر العقل عن ادراكه ولا يستقل بالاحاطة بكنهه . وليس كل ما لا يدركه العقل محالا في نفسه بل لو لم نشاهد قط النار واخراجها فآخبرنا بخبر وقال اصك خشبة بخشبة واستخرج منها شيئا احمر بمقدار عدسة فتاكل هذه البلدة واهلها حتى لا يبقى منهم شيء من غير ان ينتقل ذلك الى جوفها ومن غير ان يزيد في حجمها بل تاكل نفسها فلا تبقى هي ولا البلد لكننا نقول هذا الشيء ينبو عنه العقل ولا يقبله وهذه صورة النار والحسن قد صدق ذلك وكذلك قد يشتمل الشرع على مثل هذه العجائب التي ليست مستحيلة وانما هي مستبعدة و الفرق بين البعيد والمحال فان البعيد هو ما ليس بمألوف والمحال ما لا

— او مطوية احالة على اقتضاء العقل السليم او الفطرة او رعاية المصلحة . وان عدم العلم ليس علما بالعدم . وقد حض الغزالي في الاحياء على تعريف الامرار في الباب السادس من الجزء الاول في اسباب اليقين وعبارته ومنها ان يكون اعتقاده في علومه على بصيرته وادراكه بصفا قلبه لا على السحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وانما المقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما امر به وقاله فاذا قلده في تلقى اقواله وافعاله بالقبول فينبغي ان يكون حريصا على فهم اسراره فان المقلد انما يفعل الفعل لان صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فعله . وفعله لا بد وان يكون لسره فيه فينبغي ان يكون شديد البحث عن اسرار الاعمال والاقوال فانه ان اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاءا للعلم ولا يكون عالما ولذلك كان يقال فلان من اوعية العلم فلا يسمى عالما اذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والاسرار اه وقال في او اخر كتاب اسرار الطهارة : واعلم ان العالم لا يكون وارثا للنبي صلى الله عليه وسلم الا اذا اشاع على جميع معاني الشريعة حتى لا يكون بينه وبين النبي الا درجة واحدة وهي درجة النبوة .

بتصور كونه اه

وقال الامام ابن تيمية العقل الصريح موافق للرسول دائما لا يخالفه فان
الميزان مع الكتاب « والله انزل الكتاب بالحق والميزان » لكن قد تقصر عقول
الناس عن معرفة تفصيل ما جاء به فياتيهم الرسول بما عجزوا عن معرفته و حاروا
فيه لا بما يعلمون بعقولهم بطلانهم فالرسل صلوات الله عليهم تخبر بمحيرات
العقول لا تخبر بمحالات العقول اه

ولذا اتفق العلماء على انه اذا تعارض العقل والنقل اول النقل بالعقل اذ لا يمكن
حينئذ الحكم بشيئ مقتضى كل منهما لما يلزم عنه من اجتماع النقيضين ولا
بانتفاء ذلك لاستلزامه ارتفاع النقيضين لكن يبقى ان يقدم النقل على العقل
او العقل على النقل والاول باطل لانه ابطال للاصل بالفرع وايضا ان
النقل لا يمكن اثباته الا بالعقل وذلك لان اثبات الصانع ومعرفة النبوة وسائر
ما يتوقف صحة النقل عليه لا يتم الا بطريق العقل فهو اصل للنقل الذي
يتوقف صحته عليه فاذا قدم على العقل وحكم بشيئ مقتضاه وحده فقد
ابطل الاصل بالفرع ويلزم منه ابطال الفرع ايضا اذ تكون حينئذ صحة النقل
متفرعة على حكم العقل الذي يجوز فساداه وبطلانه فلا تقطع بصحة النقل فلزم من
تصحیح النقل بتقدمه على العقل عدم صحته واذا كان تصحيح الشئ منجبرا
الى افساده كان مناقضا لنفسه فكان باطلا واذا لم يمكن تقديم النقل على العقل
بالدليل السابق فقه تبين تقديم العقل على النقل وهو المطلوب ، هذا خلاصة
ما في المواقف للعصدي وشرحه وهكذا يقال في كل ما عارضه العلم الصحيح القاطن

اعنى لزوم تاويله به ، على ان الاطلاق والاستعمال العربي لا ينحصر في الحقيقة بل المجاز ابلغ واوسع واكثر كما تقرر في محله (١) وبالجملة فالعلم والدين اليقان منجبان بنفرعان من اصل واحد ولذلك لا يمكن ان يسلب احدهما ما يوجبه الآخر قال بعضهم : ما جرى من عثر على ظاهر اختلاف ان يعزوا ذلك الى جهله وضعفه . وقد منا انه لم ينزل كثير من المسائل التي قررها ائمة انبياء الطبيعة هم منها في شك ولما غاب عنهم من اسرارها اكثر بكثير مما اشرفوا عليه قل للذي يدعى في العلم معرفة * حفظت شيئا وغابت عنك اشياء فليس من الحكمة ان لا يصدق الانسان الا بما يراه بنفسه فان عمره لا يفي لسبر غور فن واحد فما بالك بمجموع المحاولات الانسانية . ولذا كان مما يؤخر في تقدم الناظر ويرجعه القهقري ان يضيق دائرة بحثه ويقيد نفسه من غير بحث بعدم تصديق الاشياء التي يزعم انها لا تنطبق عليها التواميس الطبيعية المعروفة الآن فان هذا عار فاضح لا يغفر لنسوى العقول السليمة لان التواميس لم تكتشف كلها بعد ، والمعلوم ناقصة لم يوقف لها على حد ، ولذلك ترى اساطين الفلسفة هم اول المعترفين في كل نوع من فروع العلم بانهم لم ينالوا من العلم الاجزأ محدودا واكثرهم علما اوفرهم تواضعا وكلهم يقرون بان ما حصلوه للآن من الاكتشافات وما درسوه من هذا الجزء من الكون ليس الا عدما بالنسبة (١) راجع ما جاء في المثل السائر في الفصل السابع في الحقيقة والمجاز من ان المجاز اولي بالاستعمال من الحقيقة في باب النصاحة والبلاغة . وما جاء في المزهري في النوع الرابع والعشرين من ان اكثر اللغة مع تامله مجاز لاحقيقة . وما جاء في دلائل الاعجاز في فصول تحقيق النصاحة والبلاغة من كون الكناية والمجاز بانواعه ابلغ من الحقيقة

لما يجهلونهُ ، وكل من عود قلبه التشكك اعتراه الضعف والنفس عزوف فما
 عودتها من شئ جرت عليه والتميز الى تقوية قلبه ورد قوته عليه وافهامه
 موضع رايه وتوقيفه على الامر الذي اشغل صدره احوج منه الى المنازعة ومن
 زينت له نفسه انه ارتقى ارق الحكمة وادق الفلسفة فهو وادى الوهم واسر
 الحسبان اوبه غلبة من مرة اوفساد من خايط ولعل تقليد من قبله قد اضله
 واعماه واصمه لان الحكمة بارزة والاساس محكم والشواهد ناطقة والادلة حاضرة
 اضطرار الانسان الى الايمان وآفات العارفين على العمران
 اتفقت كلمة الفلاسفة والحكام العقلاء على انه لا كمال للانسان مطلقا بل ولا
 وصول له الى التمسك باهداب الآداب واقتباس انوار الاستبصار الا باقتفاء
 آداب الدين والاخذ بهديه القويم والسلوك على صراطه المستقيم . ذلك لان
 الانسان وان تثقف عقله بالعلوم المادية والآداب العرفية لا تزال فيه نزعة من
 حب الاثرة والميل عن جادة الوسط المطلوب بين الافراط والتفريط في
 الامور سيما اذا امن اللائم وبعد عن الرقيب وانفسح له مجال التاويل فقد
 يصل الى الدرك الاسفل من هاوية الفساد وسوء الحال وهو يظنه اقترابا من
 الكمال المطلوب وقد عميت بصيرته بما غشيها من انواع التساهل ونزعات التاويل
 الباطل ، وقد تمضى عليه الاحقاب في التجارب ليختار لنفسه ما يجده اوفى
 بمطلوبه من الكمال وامس بحاجة من الآداب ثم يرى بعد كل هذا الفساد
 انه لا يزال كما كان حيث ابتدا . ولم يستشرف بعد على شئ من معالم الاهتدا
 فهو كمن اجهد نفسه بالسير حول دائرة يطلب طرفها فلا يرى امامه الا البعد

الغير المتناهي . وماذا عساه يحصل بعد ذلك على شئ من مطلوبه اللهم الا ان يكون زيادة الخبرة وكثرة القلق وربما استحوذ عليه اليأس المهلك فلا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى

واما المسترشد بهدى الدين الالهي فقد كفي هذا العناء واستراح من تلك الخيرة حيث تكفل له من لا ينطق عن الهوى ببيان طريق الوصول الى السعادة المطلوبة على احسن مايرام ، من كل مافيه كمال انتظام ، فالدين هو الداعي الى سبيل الرشد وطرق السعادة البشرية ليهدوا بها الى المصالح التي تقوم بها حياتهم . ويقوم معوج عملهم وينتظم في الحياة الدنيا شأنهم . ويظهر جوهر كالم الذي يهيمهم للترقى في سلم المدينة . والنوصل الى السعادة الابدية وقد اخذ دين الاسلام من ذلك باوفر سهم اذ كان اجمع الاديان ، لما تمس اليه حاجة الانسان ، وتوفر له من ملائمة الفطرة البشرية ما لم يتوفر لغيره ولذلك سعى دين الفطرة . ثم لم يدع حكمة ولا كالا ولا ادبا ولا هدى ولا علما ولا مطالبا لقوام البشر الا وقد نبه عليه ، او اشار اليه ، فاستقل بامرءه ، ولم يبق حاجة لغيره ، وبذلك صار لينة التمام ، وفاح به مسك الختام ، ومكملت النعمة على الأنام

وبالجملة فدين الامة هو مدرسة اخلاقها . ودستور عقولها . ومصباح حياتها . وقانون وجودها . فلا تشرف عواطف الامة وتهذب اميالها . وتترسك سرائرها الا بالمقائد الصحيحة ولا يصاب نظامها من الخلل والتفرق الا بالدين ولا يندفع خطر الفوضى التي تهوى بالشعوب من المهلكة الى مكان صحيح الا

بالإيمان الصحيح فيقدر تمكن العقيدة من نفوس افراد الامة تصكور سعادتهم
وقوام حياتهم والعكس بالعكس

انظر الى من الم الاحاد بقلوبهم وتوات الالهواء نفوسهم كيف يكونون اجراء
على الرذيلة واجرى في سبيلها اذ لا زاجر من الايمان يؤنبهم . ولا وازع
يمنعهم من اقتراف المنكرات والسعي بالفساد واجتراح السيئات اين هو لا .
من اذا تمثلت امامهم المواقف . وزينت لهم نفوسهم الشهوات ، كان لهم من
الفضيلة زجر ومن قوة اليقين وازع لصحة ايمانهم بالله وما جاءه من عنده .
وصدق يقينهم بوعد الله ووعدده « امن كان على بينة من ربه كن زينا له سوء
عمله واتبعوا هواهم »

وقد بين كثير من الاعلام آفات الماديين وما الحقوا بالنوع الانساني من
المضار التي خبت اثرها وساء ذكرها ويكفي ان مقصودهم محو الاديان ووضع
اساس الاباحة والاشتراك في الاموال والابضاع بين الناس عامة (نعوذ بالله)
وكيفما وجدوا في امة افسدوا اخلاقها وايمانها ذاهب ذهب في غور مقاصد الآخذين
بطريقتهم تجلي له ان لا نتيجة لمقدماتهم سوى فساد المدنية وانتقاض بناء الهيئة
الاجتماعية الانسانية اذ لا ريب في ان الدين مطلقا هو سلك النظام الاجتماعي
ولن يستحكم اساس للتمدن بدون الدين البتة فان الدين يقيد النفوس عن التدهور
في التاشم وعن الاندفاع الى انواع العدوان من قتل وسلب وهتك عرض
ويحجز عن الغدر والخيانة وفعل كل خبيثة وعن الوقوع في كل رذيلة وبجمل
المقول على كسب الكمال البشري واعمال المعية في كشف الحقائق وتعرف

اسرار الكون . هذا يسير مما نبه عليه حكماء الامة الخيرون كما يعلم ذلك من
وقف على حكمهم التي اقتطفنا منها هذه الشذرة وبالله التوفيق

رسوخ العقيدة بالرسوخ في العلم

كلما ازداد المرء علما بالفنون الكونية ورسخت قدمه في العلوم الطبيعية ازداد
بموجد الكون معرفة وبالآيات الدالة عليه بصيرة . وكما قلت معارفه ابتعد عن
الخالق بنسبتها . وهكذا كلما راجت اسواق العلوم الحكيمة وتبينت اسبابها كان
الاعتقاد بوجود الله اشد واقوى وسقطت لدى براهينها شبهات الخراصين (١)
وشاهده ما ياتي به مهرة المدققين في العلوم الطبيعية من الادلة القاطعة المنوعة
التي تؤيد وجود الله سبحانه . وبالضرورة معرفة العلة والاسباب تؤدي الى
الاذعان بموجدتها ومسببها وقد جاء في مقالة لاحد الائمة الحكماء ما يؤيد هذا
المعنى حيث قال :

كلما ارتقى الانسان في العلم . ولطف وجدانه بالفهم . ونفذ عقله في اسرار
الكون تمزقت دون روجه حجب المادة وانجلي له الوجود الاعلى على تفاوت
كذلك في درجات الظهور والانجلاء تنتهي الى الاعتقاد بوجود واحد واجب
يستحيل عليه ان يلبس لباس المادة لان ملاحده محال ان تحيط وجوده
الحدود وقد كان هذا شان اليونانيين نشوا وثيين ولا زالت الوثنية ترق
وتندق وترث بارتقائهم في العلوم وبحث فلاسفتهم في طبائع الكائنات حتى

(١) ما اللطف ما قاله الامام ابن تيمية في هذا المعنى : كما ظهر الاسلام وعرفوا حقيقته
قلت آثار الشياطين فيهم :

انتهوا وهم في ذرى مدنيتهم الى التوحيد وتنزيه واجب الوجود عن مخالطة
 المادة . وقف فيثاغورس على عتبة التقديس وجاء بعده سقراط وافلاطون
 وارسطو مجاهدين في كشف الغمة عن عيون شعوبهم باذلين الوسع في محو
 ماغشى نفوسهم من ظلمات الوثنية الاولى . ومن قرأ جمهورية افلاطون -
 التي نقلت الى العربية ايام المأمون تحت اسم المدينة الفاضلة - علم كيف
 يقارع افلاطون ما بقى من آثار الوثنية من الآراء السخيفة والعادات الرديئة
 التي كانت تحول بين الامة اليونانية وما ينبغي لها من الفضائل التي كان يطمع
 الفيلسوف ان تكون عليها . وبعد ان اوصلهم العلم الى التوحيد لم يرتد بهم
 التنزيه الى الجهل بل بقيت شمس مدنيتهم تشرق في العالم قرونا متعددة
 وكانت اشد صفاء وابهر سطوعا . كذلك قدماء المصريين لم يقف بهم العلم
 دون التوحيد غير ان رؤساء دينهم لم ينشروا تلك العقيدة بين عامتهم واستبقوا
 صور العبادات الاولى وألبسوا التنزيه ثوب التشبيه استئثاراً منهم بشرف العقيدة
 على من دونهم فترى ضعف العقل وقلة العلم ونقص الادراك نقف بصاحبها
 عند الوسائط وقوة العقل ونفوذ البصيرة وسعة العلم تصعد بأهلها الى مشهد الوجود
 الاعلى وتشرق بهم من هناك على العالم باسمه فيرونه عظيماً وحقيقه سواء في
 النسبة الى تلك القدرة الشاملة والعظمة الغالبة الفاضل والمفضول والفروع
 والاصول . وما ظهر للابصار وما تفذت اليه العقول . كل يستعد وجوده
 من مشرق الوجود على مراتب قدرتها الحكمة وتمت بها النعمة فاي مقام اعلى
 من مقام صاحب هذه العقيدة حيث قام شاهداً على الكون بجملته ما فصل منه

في فهمه وما اجمل في كليات علمه بحكم عليه بانه مربوب لرب واحد هو رب العالمين وان لاسلطان لشيء من هذا جميعه على نفسه لا في الابدان ولا في الامداد بل هو وحده يمكنه بما سن له الشرع ان يصل بنفسه الي تلك الحضرة وان يستمد منها المعونة في كل شؤنه اه

وبالجملة فالعلم الصحيح اعظم باعث للاعتقاد والايان واكبر سائق اليه وان الانسان كلما ازداد علما ازداد يقينا وجزما

❖ طرف للسلف مع الدهرية ❖

(روى) انه خاصم جماعة من الدهرية اباحيفة رضى الله عنه فقال لهم ماتقولون في رجل يقول لكم اني رايت سفينة مشحونة بالاحمال مملوءة من الاثقال قد احتوشتها في لجة البحر امواج متلاطمة ورياح مختلفة وهي من بينها تجرى مستوية ليس لها ملاح يجريها ولا متعهد يدفعها هل يجوز ذلك في العقل قالوا لا هذا شيء لا يقبله العقل فقال ابوحنيفة ياسبحان الله اذا لم يجوز في العقل سفينة تجرى في البحر مستوية من غير متعهد ولا مبحر فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف احوالها وتغير اعمالها وسعة اطرافها وتباين اكافها من غير صانع وحافظ فقالوا له صدقت وتابوا

(وسئل) ابوحنيفة رحمه الله تعالى مرة اخرى فاستدل بان الوالد يريد الذكر فيكون انثى وبالعكس فدل على الصانع

(وسئل) الشافعي رضى الله عنه ما الدليل على وجود الصانع فقال ورقة الفرصاد (١)

(١) نكسر الفاء شجر التوت قال الاسود بن يعفر :-

طعمها ولونها ويريجها وطبعها واحد تا كلها دودة القز فيخرج منها الابريسم والنحل
فيخرج منها العسل والشاة فيخرج منها البعروبا كلها الضباء فينعمقد في نواجها
المسك فمن الذي جعل هذه الاشياء كذلك مع ان الطبع واحد قال الرازي
فاستحسنوا منه ذلك واسلموا على يده وهم سبعة عشر

(وحكى) عن احمد بن حنبل رضى الله عنه انه تمسك بقلعة حصينة ملساء
لا فرجة فيها ظاهرها كالفضة المذابة وباطنها كالذهب الابريزم انشقت
الجدران وخرج من القلعة حيوان سميع بصير فلا بد من الفاعل : عنى بالقلعة
البيضة وبالحيوان الفرخ

(وسئل) مالك رضى الله عنه فاستدل باختلاف الاصوات وتردد النغمات
وتفاوت اللغات

(وقال) رجل لجعفر بن محمد رضى الله عنهما ما الدليل على الله تعالى ولا تذكرى
العالم والعرض والجوهر فقال له هل ركبتم البحر قال نعم قال هل عصفت بكم
الريح حتى خفتم الفرق قال نعم قال فهل انقطع رجلكم من المركب والملاحين
قال نعم قال هل تبعت نفسك ان تمه من ينجيك قال نعم قال فان ذلك هو الله
(وسئل) حكيم فاجاب : لو لم يكن للعالم صانع لكان اضيع ضائع هل رايت مصنوعا
بلا صانع . وسقفا مر فوعا بلا رافع . وهل نقى الصانع الا مكابره . وما

— ولقد هوت وللشباب بشاشة * بسلافة مزجت بهاء غوادى
يسعى بها ذوتومتين منطلق * قنأت انامله من القرصاد
والنومة الحبة من الدر والسلافة اول الخمر والغوادى السحائب تاقى غدوة (نالج)

يجحده الا النفوس الكافره .

(وسئل) ابن هانيء فقال

تأمل في رياض الارض وانظر * الى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات * وازهار كما الذهب السيك
على قضب الزبرجد شاهدات * بان الله ليس له شريك
(وسئل) اعرابي عن الدليل فقال : البعرة تدل على البعير . وآثار الاقدام
على المسير . فسماء ذات ابراج . وارض ذات فجاج . وبحار ذات امواج الا
تدل على العليم الخبير

(وسئل) صوفي عن الدليل فقال : اغني الصباح عن المصباح

(وقال) آخر عمر فته بالنحلة في احد طرفيها غسل وفي الآخر سم وفي رواية
باحد طرفيها غسل وبالآخر تسع والغسل مقلوب التسع
(ويحكى) ان الفخر الرازي مر في طريق تحف به تلامذته واتباعه فهدأت
الاصوات اجلالاً له وكان ثم امرأة عابدة فقالت مادعا لهدوء اصوات الناس
فقالوا اجلالاً لمن يقيم على وجود الله الف دليل فقالت لهم ويجه لو عرفه
. الاحتاج الى دليل واحد فبلغه فقال : نحن نعلم من وراء الحجاب وهم ينظرون
من غير حجاب

(وقيل) لطيب بم عرفت ربك قال باهليلج مجفف اطلق واعاب ملين امسك
والنوادر في هذا الباب نفوت الحصر يمر منها كثير بالمطالع كتب المحاضرات (١)

(١) فن المحاضرات من اهم الفنون التي تتعلم بها الامائل وتتميز بها الصدور في المحافل -

❖ موازنة بدعيّة بين وليّين في هذا الباب ❖

قال الشيخ الحسن بن عبدالله العسكري في التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم
 احسن الالفاظ في البلاغة مايزيد في كشف المعنى مع اختصاره باقل مايمكن
 من العبارة باعذب الالفاظ واخفها على الاسماع . والبلاغة ليست مقصورة
 على امة دون امة ولا على ملك دون سوقة ولا على لسان دون لسان بل هي
 مقسومة على اكثر الالسنه فهم فيها مشتركون وهي موجودة في كلام اليونانية
 وكلام العجم وكلام الهند وغيرهم ولكنها في العرب اكثر لكثرة تصرفها في النظم
 والنثر والخطب والكتب والسجع والمزدوج والرجز (ثم قال الشيخ) وساذكر في
 هذا الموضوع صدرا من الفصول المختارة من غير اللسان العربي ثم اذكر بعده
 صدرا من الفصول العربية مما يصلح للمناكرة ويبحث على النشاط فاذا قرأها
 قارئ دلت على انفسها في الایجاز والحذف والجمع للمعاني الكثيرة بالالفاظ
 القليلة . فمن ذلك قول سقراط « دل الجسم على صانه » فجمع بثلاث لفظات
 خفاف معاني كثيرة جليلة القدر لان الجسم يدل على انه لم يصنع نفسه وان
 له صناعا حكما كما يدل البناء على الباني والكتاب على الكاتب . فانظر كم بين
 هذا وبين مايجكى عن بعض ملوكهم انه سئل ما الذي يدل على معرفة الله
 ويثبت العلم بالغيب فقال ان لكل ظاهر من صغير او كبير علما فهو بصرفه
 ويحوطه فمن كان معتبرا بالجليل من ذلك فليتنظر الى السماء فيعلم ان لها بازنا

— من تطلع منها رق طبعه ووفر فهمه وزاد لطفه وظرفه وادرك المخرج من كل شيء وقد
 اهمله — واصفاه — الناس ولا غرو ان يهمل الكماليات . من فرط في الحاجيات:

يجرى فلكتها ويدبر امرها ومن اعتبر بالصغير فلينظر الى حبة الخردل فيعلم ان لها مدبرا ينشئها ويركبها ويقدر لها اقواتا من الارض والماء ويوقت لها زمانا لها منها، وامر النبوة والآيات وما يحدث في انفس الناس من حيث لا يعلمون ثم اجتماع العلماء والجهال والمهتدين والضلال على ذكر الله تعالى وتعظيمه واجتماع من شك في الله وكذب به على انهم لم يحدثوا انفسهم فكل ذلك يهديك الى الله ويدل على انه انشأ الخلق ودبر هذه الامور . (قال الشيخ) وهذا الكلام على طوله قد انتظم اكثر معانيه في قول سقراط « دل الجسم على صانعه »

المطلب الرابع

في مسائل مهمات من علم النبوات

بيان ان من تمام العناية بالموجودات بعثة الانبياء عليهم الصلوات والتسليمات قال الشيخ الرئيس : من المعلوم ان نوع الانسان محتاج الى اجتماع وشركة في ضروريات حاجاته مكفيا في آخر من نوعه يكون ذلك الاخر ايضا مكفيا به ولا تتم الشركة الا بمعاملة ومعاوضة يجريان بينهما يفرغ كل واحد منهما صاحبه عن مهم لئولاه بنفسه لاذحم على الواحد كثير، ولا بد في المعاملة من سنة وعدل ولا بد من ساق معدل ولا بد من ان يكون بحيث يخاطب الناس ويلزمهم السنة فلا بد من ان يكون انسانا، ولا يجوز ان يترك الناس وادائهم في ذلك فيختلفون ويرى كل واحد منهم ماله عدلا وما عليه جورا وظلما فالحاجة الى هذا الانسان في ان يبقى نوع الانسان اشد من الحاجة الى

انبات الشعر على الاشفار والحاجبين فلا يجوز ان تكون العناية الاولى تقتضى امثال تلك المنافع ولا تقتضى هذه التي هي اثبتها ولا ان يكون ما يعلمه في نظام الامر الضرورى حصوله لتمهيد نظام الخير لا يوجد بل كيف يجوز ان لا يوجد وما هو متعلق بوجوده مبنى على وجوده . فلا بد اذن من « نبي » هو انسان متميز من بين سائر الناس بآيات تدل على انها من عند ربه يدعوهم الى التوحيد وينعمهم من الشرك ويسن لهم الشرائع والاحكام ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن النباغض والتحاسد ويرغبهم فى الآخرة وثوابها ثم يكرر عليهم العبادات ليحصل لهم تذكر المعبود بالتكرير واستفادة ملكة الالفاظ الى الحق والاعراض عن الباطل اه

وقال الجاحظ : لوترك الناس وقوى عقولهم وغلبه شهواتهم وكثرة جهلهم وشدة نزوعهم الى ما يرددهم ويطفئهم حتى يكونوا هم الذين يحتجرون من كل ما افسدهم بقدر قواهم وحتى يقفوا على حد الضر والنافع ويعرفوا فضل ما بين الداء والدواء والاغذية والسموم كان قد كفهم شططا واسلمهم الى عدوهم وشغلهم عن طاعته التي هي اجدى الامور عليهم وانفعها لهم ومن اجلها عدل التركيب وسوى البنية واخرجهم من حد الطفولية والجهل الى البلوغ والاعتدال والصحة وتام الارادة والآلة ولذلك قال عز ذكره « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » فلما كان ذلك كذلك علمنا ان الله تعالى حيث خلق العالم وسكانه لم يخلقهم الا لصلاحهم ولا يجوز صلاحهم الا بتبقيتهم ، ولولا الامر والنهي ما كان للتبعية وتعديل الفطرة معنى . ولما ان كان لا بد للعباد من ان يكونوا

مامورين منهيين بين عدو عاص ومطيع ولي علمنا ان الناس لا يستطيعون
مدافعة طبائعهم ومخالفة اهوائهم الا بالزجر الشديد والتوعد بالعقاب الاليم في
الآجل اذ كان شأنهم ايثار الادنى وتسويف الاقصى ، واذا كانت عقول الناس
لا تبلغ جميع مصالحهم في دنياهم فهم عن مصالح دينهم اعجز فلما كان ذلك كذلك
علمنا انه لا بد للناس من امام يعرفهم جميع مصالحهم وذلك هو « الرسول »
فالرسول هو الذي يشرع الشريعة ويبتدئ الملة ويقم الناس على حمل مرشدهم
اه . وقال النصير الطوسي في فوائد البعثة : ضرورة وجود الانبياء لتكميل
الاشخاص بالعقائد الحقة والاخلاق الفاضلة والافعال المحمودة النافعة لهم في
عاجلهم وآجلهم وتكميل النوع باجتماعهم على الخير والفضيلة وتساعدتهم في
الامور الدينية وسياسة الخارجين عن جادة الخير والصلاح اه ثم ان بديهية
الفطرة تتقاضى الناس باتباع الانبياء قال الرازي : اعلم ان اكثر الخلق ناقصون
ولا يديهم من مكل يكملهم ومرشد يرشدهم وهاد يهديهم وما ذلك الا الانبياء
عليهم السلام وبديهية الفطرة شاهدة بانه يجب على الناقص الاقنداء بالكمال اه

❖ آيات النبوة ❖

قال الامام الراغب الاصفهاني في الذريعة : لكل نبي آيتان احدهما عقلية
يعرفها اولوا البصائر من الصديقين ومن يجري مجراهم والثانية حسية يدركها
اولوا الابصار من العامة فالاولى مالهم من اصولهم الزكية وصورهم المرضية وعلومهم
الباهرة ودلائلهم المتقدمة عليهم والمستصعبة وانوارهم الساطعة التي لا تخفى
على اولى البصائر كما قال الشاعر في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

* لو لم يكن فيه آيات مينة * كانت بداهته تعنيك عن خبره *
 وذلك ان حق النبي ان يكون من اكرم ثربة في العالم . وحيث يكون عقل
 اربابها اوفر ولهذا لم يبعث نبي من الاطراف التي تضعف عقول اصحابها .
 ويجب ان يكون من عنصر كريم من بيت الفضل ولهذا قال تعالى « ان الله
 اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران علي العالمين ذرية بعضها من بعض »
 ونبه بقوله « ذرية بعضها من بعض » انه جعل النبوة في بيت واحد ولا تخرج عنه
 لكونه اشرف . ويجب ان يكون عليهم انوار ترووق من رآها واخلاق تملك
 من ابتلاها كما قال تعالى لنبيننا صلى الله عليه وسلم « وانك لعلي خلق عظيم »
 ويجب ان يكون كلامه ذا حجة وبيان يشفي سامعه اذ كان متخصصا بنور العقل
 ولذلك قال تعالى « وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا » الآية وهذه الاحوال
 اذا حصلت لا يحتاج ذوالبصيرة معها الى معجزة ولا يطلبها كما لا تطلب الانبياء
 من الملائكة فيما يخبرونهم به حجة ولهذا لما عرض النبي صلى الله عليه وسلم
 على الصديق رضي الله عنه الاسلام تلقاه بالقبول . واما الآية الثانية فهي
 المعجزة التي تدركها الحواس من الانبياء وذلك يطلبه احد رجلين اما ناقص
 عن الفرق بين الكلام الالهي وبين الكلام البشري وعن ادراك سائر ما تقدم
 ذكره فيحتاج الى ما يدركه حسه لقصوره عن ادراك ذلك . واما ناقص ومع
 نقصه هو معاند فقصد بهما يطلبه العناد كما قال تعالى حكاية عن الكفار « وقالوا
 لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا » الى قوله « قل سبحان ربي هل
 كنت الا بشرا رسولا » اه

وقال الفارابي : النبوة مخصصة في روحها بقوة قدسية تدع عن لها غريزة عالم الخلق
 الاكبر كما تدع عن لروحك غريزة عالم الخلق الاصغر فتاتي بمجرات خارجة عن
 الجبلة والعادات ولا تصدأ مرآتها ولا يمنعها شيء عن انتقاش ما في اللوح
 المحفوظ من الكتاب الذي لا يبطل وذوات الملائكة التي هي الرسل فبلغ مما
 عند الله الى عامة الخلق اه

يقال ابن رشد في اثبات الخوارق علما : اذا صح الوجود وامكن ان يتغير جسم
 عما ليس بجسم ولا قوة في جسم تغير استحالة فان ما اعطى من ذلك السبب
 الممكن اذ ليس كل ما كان ممكنا في طبيعته يقدر الانسان ان يفعله فان الممكن
 في حق الانسان معلوم . واكثر الممكنات في انفسها ممتنعة عليه فيكون تصديق
 النبي ان ياتي بالخارق وهو ممتنع على الانسان ممكن في نفسه . وليس يحتاج
 في ذلك ان نضع ان الامور الممتنعة في العقل ممكنة في حق الانبياء . واذا
 تأملت المعجزات التي صح وجودها وجدتها من هذا الجنس . واينها في ذلك
 « كتاب الله العزيز » الذي لم يكن كونه خارقا من طريق السماع كاتقلاب
 العصاحية وانما ثبت كونه معجزا بطريق الحس والاعتبار لكل انسان وجدو يوجد
 الى يوم القيامة وبهذا فاقت هذه المعجزة سائر المعجزات (ثم قال) وطريق
 الخواص في تصديق الانبياء طريق آخر قد نبه عليه ابو حامد في غير ما موضع
 وهو الفعل الصادر عن الصفة التي بها سمى النبي نبيا وهو الاعلام بالغيوب
 ووضع الشرائع الموافقة للحق والمفيدة من الاعمال ما فيه سعادة جميع الخلق
 (ثم قال) والذي يقول القدماء في امر الوحي والروء يا انما هو عن الله تعالى

بتوسط موجود روحاني ليس بجسم ويسميه الخذاق منهم العقل الفعال ويسمى
في الشريعة ملكا اه

وقال النصير الطوسي : اما انخراق العادة فليس مما ينكره المنكلمون لانه جائز
مع القول بالفاعل المختار ولا مما ينكره الحكماء لانهم يقولون بان للنفوس الزكية
قوى ربما توهثر في اكثر الاجسام التي في عالم الكون والفساد اه

❖ بيان ان العلوم التي تنجز بها الانبياء ماتت ❖
❖ بحسرتها قدام الفلاسفة والحكماء ❖

يظهر لكل من سبر ما للفلاسفة المتقدمين والمتأخرين من التخالف والتضامن
والافتراض واجهاد الافكار لقطع المفاوز العلية ان كلامهم في الآليات والكوائن
العلوية كلام قاصر جدا وفيه تخليط كثير وان اجادتهم للباحث غالبا في الامور
الطبيعية وفي كلياتها : على انهم كثيرا ما يصرحون بانهم لم يزالوا بعد في دور
الطفولية : واما طرائق الوحي الرباني والفيض الصمداني فلم تشرق عليهم
انواره ، ولم تشرق نحوهم اسراره ، لذا كان الغيب الذي تخبر به الانبياء والكليات
العقلية التي تم الموجودات كلها وتقسّم الكائنات قسمة صحيحة لا يعرفونها
البتة فان هذا لا يكون مصدره الا الوحي وجلي ان مالا يشهده الفلاسفة من
الموجودات اعظم قدرا وصفة مما يشهدونه فضلا عما لم تصل اليه مداركهم من
حقائق الكائنات : وحينئذ فنفيهم لما يخبر به الوحي الذي قام البرهان على
صحته لادليل عليه وليس لهم بهذا النفي علم ولا حجة فان عدم العلم ليس علما
بالعدم الا ان هذا مرض اكثر من عرف نوعا من العلم وامتاز به عن لا يعرفه

فتراه لجهله نافيا لما لا يعلمه : وضلال بني آدم فيما جحدوه ونفوه بغير علم أكثر من ضلالتهم فيما اثبتوا وصدقوا به قال تعالى « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تأويله » ، هذا ما اشار له الامام ابن تيمية في تفسير سورة الاخلاص وقال صاحب رسائل اخوان الصفا في القسم الرابع من الرسالة السابعة في بيان محاسن الدين الخفيف والموازنة بينه وبين مالفلاسفة مأمثاله : ان الانبياء عليهم السلام كلهم مع تباعد ازمانهم واختلاف لغاتهم وموضوعات شرائعهم وافتنان سننهم ثم متفقون على راي واحد ومقصد واحد فيما يشيرون اليه في دعوتهم الامم واما الفلاسفة فليس شريعتهم واحدة ولا دينهم واحد بل ارائهم مختلفة واقاويلهم متناقضة تورث لاتباعهم حيرة لاتجلى غمرتها فكيف يرضى العاقل عن مذهب الفلاسفة مع اختلافهم ويعرض عن البحث والنظر في كتب الانبياء عليهم السلام مع اتفاقها . واعلم انه انما ذهب على أكثر المتفلسفين والباحثين عن حقائق الاشياء معرفة كتب الانبياء عليهم الصلاة والسلام لتركهم البحث عنها واعراضهم عن النظر فيها ولقصور فهمهم عن تصورها اه وما اصدق ما قبل : ان ما اتى به الانبياء هو الذي مات في حسرة الوقوف عليه الفلاسفة الاول والحكماء . فكم خبطوا في الوجود والموجد خبط عشواء . وكم تاهوا في بقاء الجهالة والخيرة قرونا واجيالاً فلما رحمت الامم - والحمد لله - ببعثة الانبياء لاسيما خاتمهم صلوات الله عليهم تهتدت السبل لحل العويصات واستنارت المدرك بطلعة الحق وتبين ان ما يدعون اليه من اظهر الاشياء واجلاها وانه فطرة الله التي فطر الناس عليها الا ان غموضه لضعف

العقول وجهلها لعدم هاد لها ومرشد ولذلك لا يعدم الوحي على المدا منصفان
اعدائه بل لا يزالون يتقربون الى حكمته كلما تنورت مداركهم ونهبت مشاعرهم

❖ بيان المنة على العالمين ببعثة خاتم النبيين ❖

❖ صلوات الله عليه وسلامه ❖

كل من اوى الى حرم الانصاف ، ونكب عن شعاب الهوى والاعتساف ،
علم حاجة الناس كافة الى رسالة خاتم النبيين ، واكبر منة الله به على العالمين ،
فقد بعث صلى الله عليه وسلم واهل الارض يومئذ - كما قال على رضى الله
عنه - ملل متفرقة . واهواء منتشرة . وطوائف متشتتة . بين مشبهه الله بخلقه .
او ملحد في اسمه . او مشير الى غيره . ضلال في حيره . وخابطون في فتنه .
قد استهوتهم الاهواء . واستزلتهم الكبرياء . واستخفتهم الجاهلية الجهلاء .
حيارى في زلزال من الامر . وبلاء من الجهل فهداهم به من الضلالة .
واقدم بمكانه من الجهالة . اه وقد عظم الله به المن . وبسط بمكانه عليهم الامن .
وعرفهم بطبعته اليمين . فخرى مجرى الغيث اذا عم وطبق . وقرن الشمس اذا
ذرت واشرق . فسطعت مصابيح الحق وانواره . وطلعت شمس العلم واقماره .
وبرزبه الحق في احسن ملابسه . ونجم العرفان في ازكى مغارسه . وفاض
الخير ودواعيه . وحسم الشر وعواديته . واخذ جمر الفتنة . وجمع شمل الالفة .
واقام قناة الدين . وبسط باع العدل واطال عنان الاحسان . لم يدع للباطل
علما الا وضعه . ولا ركنا الا ضعضعه . اجتث اصول الضلالة وفروعها .
وحصد نجومها وزروعها . وابطل الباطل واحق الحق . واحل النعمة بمن

فارق العصا وشق . ماجأ اليه لاجئ الاسعد جده وورى زنده . وتقذ حده
 ولم يفارق الاعتصام بحبله مفارق الا حالفه الحسران . وعانقه الخذلان .
 ورصدت له المنون . وطحنته الحرب الطحون . من اخلص له اضمارا واطهارا
 فاز بنجاته . ومن الحد في موالاته اعلانا واسرارا خسر في محياه ومماته . ولا
 غمرو فهو صلى الله عليه وسلم خيرة الله وخاصته : واثرتة وخالصته . اخلص
 الاخلاصين . واخص الاخصين . ورحمة للدينين والقاصين . صلى الله عليه
 وعلى آله وصحبه الاكربين

❖ بيان كون القرآن اعظم خوارق الانبياء ❖

اول معجز دعا به النبي صلى الله عليه وسلم الي نبوته . وصدع فيه برسالته .
 هو القرآن الكريم . والذكر الحكيم . فقهرت شواهدده من باين وعاند . وحجت
 دلائله من ناكرو وجاحد . وقد بين غير واحد من الائمة (١) سر كون القرآن
 اعظم آيات النبيين اعجازا . واوضحها طريقة وامتيازاً . فمن ذلك ما قاله
 ابوالقاسم الراغب الاصفهاني في آخر فصل من مقدمة تفسيره في فصل
 اعجاز القرآن : المعجزات التي اتى بها الانبياء عليهم السلام ضربان حسي وعقلي
 فالحسي ما يدرك بالبصر كطوفان نوح وعصا موسى عليهما السلام . والعقلي
 ما يدرك بالبصيرة كالاخبار عن الغيب تعريضا وتصريحا والياتان بمقتضى

(١) راجع فصول الجاحظ وما كتبه الامام ابن حزم في الفصل والماوردي في اعلام
 والقاضي عياض في الشفا ونق الدين ابن نيمية في آخر الجواب الصحيح وهو اوسعها
 واجمعها وضميرهم ولسهولة الوقوف عليها لم نطيل الكلام بايرادها

العلوم التي حصلت من غير تعلم .
 فالما الحسى فيشترك في ادراكه العامة والخاصة وهو اوقع عند طبقات العامة
 وآخذ بجماع قلوبهم وامرع لادراكهم الا انه لا يكاد يفرق بين ما يكون معجزة
 في الحقيقة وبين ما يكون كهانة او شعبة او سحرا او سببا اتفانيا او مواطاة
 او احتيا لا هندسيا او تمويها او افئعالا الا ذوسعة في العلوم التي يعرف بها هذه الاشياء
 واما العقلى فيختص بادراكه كلمة الخواص من ذوى العقول الراجحة والافهام
 الثاقبة والروية المتناهية الذين يعينهم ادراك الحق
 وجعل تعالى اكثر معجزات بني اسرائيل حسيا لبلا دتهم وقلة بصيرتهم . واكثر
 معجزات هذه الامة عقليا لذكائهم وكمال افهامهم التي صاروا بها كالانبياء
 ولذلك قال عليه السلام « كادت امتي ان تكون انبياء » (١) ولان هذه
 الشريعة لما كانت باقية على وجه الدهر غير معرضة للنسخ وكانت العقليات
 باقية غير متبدلة جعل اكثر معجزاتها مثلها باقية
 وما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم من معجزاته الحسية كتسبيح الحصى في
 يده ومكالمة الذئب له ومجى الشجرة اليه فقد حواها وحصاها اصحاب الحديث
 واما العقليات فمن تفكر فيما اورده عليه السلام من الحكم التي قصرت عن
 بعضها افهام حكماء الامم باوجز عبارة اطلع على اشياء عجيبة

(١) لئنظر من خرجه فاني لم اظفر له فيما بين يدي من الاصول باصل نعم روى « علماء
 امتي كانوا انبياء بني اسرائيل » و « اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد » و « الشيخ
 في قومه كالنبي في امته » وقد تكلم فيها من صنف في الموضوعات

ومما خصه الله به المعجزات «القرآن» وهو آية حسية عقلية . صامته ناطقة .
 باقية على الدهر . مبثوثة في الارض . ولذلك قال تعالى « وقالوا لولا انزل
 عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين . اولم يكفهم انما
 انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم » ودعاهم ليلا ونهارا مع كونهم اولي بسطة
 في البيان الى المعارضة بنحو قوله « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا
 بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله » وفي موضع آخر « وادعوا من
 استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » وقال « قل لئن اجتمعت الانس
 والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »
 فجعل عجزهم علما للرسالة فلو ما قدروا ما قصروا وبذلوا ارواحهم في اطفاء نوره
 وتوهين امره فلما رايناهم تارة يقولون « لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه » وتارة
 يقولون « لو شئنا لقلنا مثل هذا » وتارة يصفونه بانه اساطير الاولين . وتارة
 يقولون « لولا انزل عليه القرآن جملة واحدة » وتارة يقولون « امت بقرآن
 غير هذا وبدله » كل ذلك عجزاً عن الايمان بمثله علمنا قصورهم عنه . ومحال
 ان يقال انه عورض فلم ينقل فالنفوس مهتزة لنقل مادق وجل
 وهذه الجملة المذكورة وان كانت دالة على كون القرآن معجزاً فليس بمقتنع الا
 بيبين فصلين (احدهما) ان نبين ما الذي هو معجز هو اللفظ ام المعنى ام النظم
 ام ثلثتها فان كل كلام منظوم مشتمل على هذه الثلاثة (والثاني) ان المعجز هو
 . اكان نوعه غير داخل تحت الامكان كاحياء الموتى وابداع الاجسام . فاما
 ما كان نوعه مقدورا فمحله محل الافضل وما كان من باب الافضل في النوع

فانه لا يحسم نسبة مادونه اليه وان تباعدت النسبة حتى صار جزءا من الف
فان التجار الحاذق وان لم يبلغ شأوه لا يكون معجزا إذا استطاع غيره جنس فعله،
فتقول وبالله التوفيق

ان الاعجاز قد ذكر في القرآن على وجهين (احدهما) اعجاز متعلق بفصاحته
(والثاني) بصرف الناس عن معارضته

فاما الاعجاز المتعلق بالفصاحة فليس يتعلق ذلك بعنصره - الذي هو اللفظ
والمعنى - وذلك ان الفاظه انما ظاهرها ولذالك قال تعالى « قرآنا عربيا » وقال
« لم ذلك الكتاب » تنبيها ان هذا الكتاب مركب من هذه الحروف التي هي
مادة الكلام - ولا يتعلق ايضا بمعانيه فان كثيرا منها موجود في كتب المتقدمين
ولذلك قال تعالى « وانه لفي زبر الاولين » وقال « اولم ياتهم بيته ما في الصحف
الاولى » وما هو معجز فيه من جهة المعنى كالاخبار بالغيب فاعجازه ليس يرجع
الى القرآن بما هو قرآن بل هو لكونه مخبرا بالغيب وذلك سواء كونه بهذا
النظم او بغيره وسواء كان موردا بالفارسية او بالعربية او بلغة اخرى او باشارة
او بعبارة . فاذا بالنظم المخصوص صار القرآن قرانا كما انه بالنظم المخصوص صار
الشعر شعرا والخطبة خطبة . فالنظم صورة القرآن ، واللفظ والمعنى عنصره ،
وباختلاف الصور يختلف حكم الشيء واسمه لا بعنصره كالحاتم والقرط
والخالخال اختلف احكامها واسماؤها باختلاف صورها لا بعنصرها الذي هو
الذهب والفضة . فاذا ثبت هذا ثبت ان الاعجاز المختص بالقرآن متعلق
بالنظم المخصوص

وبيان كونه معجزا هو ان نبين نظم الكلام ثم نبين ان هذا النظم مخالف لنظم
سائره فنقول

لتأليف الكلام خمس مراتب (الاولى) نظم وضم حروف التهجى بعضها الى
بعض حتى يتركب منها الكلمات الثلاث . الاسم والفعل والحرف (والثانية)
ان يواف بعض ذلك مع بعض حتى يتركب منها الجمل المفيدة وهو النوع
الذى يتداوله الناس جميعا في مخاطباتهم وقضاء حوائجهم ويقال له المنشور .
الكلام (والثالثة) ان يضم بعض ذلك الى بعض ضما له مبادئ ومقاطع ومداخل
ومخارج ويقال له المنظوم (والرابعة) ان يجعل في اواخر الكلام مع ذلك
تسجيع ويقال له المسجع (والخامسة) ان يجعل له مع ذلك وزن مخصوص
ويقال له الشعر وقد انتهى . وبالحق صار كذلك فان الكلام اما منشور فقط
او مع النثر نظم . او مع النظم سجع . او مع السجع وزن ، والمنظوم اما مجاورة
ويقال لها الخطابة - واما مكاتبة ويقال لها الرسالة . وانواع الكلام لا تخرج
عن هذه الجملة . والقرآن حاوٍ لمحاسن جميعه بنظم ليس هو نظم شئ منها بدلالة
انه لا يصح ان يقال القرآن رسالة او خطابة او شعر كما يصح ان يقال هو كلام
ومن قرع سمعه فصل بينه وبين سائر النظم . ولهذا قال تعالى « وانه لكتاب
عزيز لا ياتي به الباطل من بين يديه ولا من خلفه » تنبيها على ان تأليفه ليس على
هيئة نظم يتعاطاه البشر فيمكن ان يزداد فيه كمال الكتب الأخر

(فان قيل) ولم لم يبلغ بنظم القرآن الوزن الذى هو الشعر وقد علم ان للموزون
من الكلام مرتبة اعلى من مرتبة المنظوم غير الموزون اذ كل موزون منظوم

وليس كل منظوم موزونا (قيل) انما جنب القرآن نظم الشعر ووزنه لخاصية في الشعر منافية للحكمة الالهية وهو ان القرآن مقر الصدق، ومعدن الحق، وقصوى الشاعر تصوير الباطل في صورة الحق وتجاوز الحد في المدح والذم دون استعمال الحق في تحري الصدق حتى ان الشاعر لا يقول الصدق ولا يتحرى الحق الا بالعرض ولهذا يقال (من كانت قوته الحبالية فيه اكثر . كان على قرص الشعر اقدر . ومن كانت قوته العاقلة فيه اكثر . كان في قرصه اقصر) ولاجل كون الشعر مقر الكذب نزه الله نبيه عليه السلام عنه لما كان مرشحا لصدق المقال وواسطة بين الله وبين العباد فقال « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » فنفي انبغاه له وقال « وما هو بقول شاعر » اي ليس بقول كاذب ولم يعن ان ذلك ليس بشعر فان وزن الشعر اظهر من ان يشته عليهم حتى يحتاج الى ان ينفي عنه . ولاجل شهرة الشعر بالكذب سمي اصحاب البراهين الاقيسة المؤدية في اكثر الامر الى البطلان والكذب شعرية . وما وقع في القرآن من الالفاظ متزنة فذلك بحسب ما يقع في الكلام على سبيل العرض بالاتفاق وقد تكلم الناس فيه (واما الاعجاز) المتعلق بصرف الناس عن معارضته فظاهر ايضا اذا اعتبر وذلك انه مامن صناعة ولا فعلة من الافعال محمودة كانت او مذمومة الا وبينها وبين قوم مناسبات خفية واتفاقات الهية بدلالة ان الواحد فالواحد يوءثر حرفه من الحرف فينشرح صدره بملاستها وتطيعه قواه في مزاولتها فيقبلها بانساع قلب ويتعاطاها بانشرح صدر وقد تضمن ذلك قوله تعالى « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقول النبي صلى الله عليه وسلم « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » فلما

رَوَى اهل البلاغة والخطابة الذين يهيمون في كل واد من المعاني بسلاطة
 السننهم وقد دعا الله جماعتهم الى معارضة القرآن وعجزهم عن الايات بمثله
 ولم تهتز غرائزهم بته للتصدي لمعارضته لم يخف على ذي لب ان صار فالهيا
 صرفهم عن ذلك واهى اعجازاً عظم من ان يكون كافة البلغاء مخيرة في الظاهر
 ان يعارضوه ومجبرة في الباطن عن ذلك وما اليقهم بانشاد ما قال ابو تمام
 فان يك اهملنا فاضعف بسعيننا * وان يك اجبرنا فقيم نعتع

اه كلام الراغب

وقال القاضي ابن رشد : ان خارق النبي صلى الله عليه وسلم الذي تحدى به
 الناس وجعله دليلاً على صدقه فيما ادعى من رسالته هو الكتاب العزيز (فان
 قيل) من اين يظهر ان الكتاب العزيز معجز وانه يدل على كونه رسولا (قلنا)
 كون القرآن دلالة على صدق نبوته عليه السلام ينبي على اصلين قد نبه عليهما
 الكتاب . احدهما ان الصنف الذين يسمون رسلا وانبياء معلوم وجودهم بنفسه
 وان هذا الصنف من الناس هم الذين يضعون الشرائع للناس بوحى من الله
 لا بتعلم انساني . وثانيهما ان كل من وجد عنه هذا الفعل الذي هو وضع
 الشرائع بوحى من الله تعالى فهو نبي وهذا الاصل ايضا غير مشكوك فيه في
 الفطر الانسانية فانه كما ان من المعلوم بنفسه ان فعل الطب هو البراء وان من
 وجد منه البراء فهو طبيب كذلك ايضا من المعلوم بنفسه ان فعل الانبياء
 عليهم السلام هو وضع الشرائع بوحى من الله وان من وجد منه هذا الفعل فهو نبي
 (فان قيل) من اين يعلم الاصل الاول وهو ان ههنا صنفا من الناس يضعون

الشرائع بوحى من الله وكذلك من اين يعلم الاصل الثانى وهو ان ما تضمنه
 القرآن من الاعتقادات والاعمال بوحى من الله (قيل) اما الاصل الاول فيعلم
 بما يندرون به من وجود الاشياء التى لم توجد بعد فتخرج الى الوجود على الصفة
 التى اندروا بها وفى الوقت الذى اندروا وبما يأمرون به من الافعال وينبهون
 عليه من العلوم التى ليست تشبه المعارف والاعمال التى تدرك فنعلم . وذلك
 ان الخارق المعتاد اذا كان خارقا فى المعرفة بوضع الشرائع دل على ان وضعها
 لم يكن بتعلم وانما كان بوحى من الله وهو المسمى نبوة . واما الخارق الذى هو
 ليس فى نفس وضع الشرائع مثل انفلاق البحر وغير ذلك فليس يدل دلالة
 ضرورية على هذه الصفة المسماة نبوة وانما يدل اذا اقترنت الى الدلالة الاولى
 واما اذا اتت مفردة فليس تدل على ذلك ولذلك ليس تدل فى الاولياء على
 هذا المعنى ان وجدت لهم لان الصنف الآخر من الخارق وهو الدال دلالة
 قطعية ليس هو موجودا لهم فعلى هذا ينبغي ان تفهم الامر فى دلالة المعجز
 على الانبياء - اعنى ان المعجز فى العلم والعمل هو الدلالة القطعية على صفة
 النبوة، واما المعجزة فى غير ذلك من الافعال فشاهد لها ومقور .

(فان قيل) فمن اين يدل القرآن على انه خارق ومعجز من نوع الخارق الذى
 يدل دلالة قطعية على صفة النبوة - اعنى الخارق الذى فى فعل النبوة الذى
 يدل عليها كما يدل الابرار على صفة الطب الذى هو فعل الطب (قلنا) يوقف
 على ذلك من وجوه

احدها ان يعلم ان الشرائع التى تضمنها من العلم والعمل ليست مما يمكن ان

يكتسب بتعلم بل بوحى

والثاني ما تضمن من الاعلام بالغيوب

والثالث من نظمه الذى هو خارج عن النظم الذى يكون بفكر وروية اعنى انه يعلم انه من غير جنس ما للبلغاء المتكلمين بلسان العرب سواء من تكلم منهم بذلك بتعلم وصناعة وهم الذين ليسوا باعراب او من تكلم بذلك من قبل المنشأ عليه وهم العرب الاول . والمعتمد فى ذلك على الوجه الاول

(فان قيل) فمن اين يعرف ان الشرائع التى فيها العلية والعملية هي بوحى من الله تعالى حتى استحق بذلك ان يقال فيه انه كلام الله (قلنا) يوقف على هذا من طرق احداها ان معرفة وضع الشرائع ليس تنال الا بعد المعرفة بالله وبالسعادة الانسانية والشقاء الانسانى وبالامور التى يتوصل بها الى السعادة وهي الخيرات والحسنات وبالامور التى تعوق عن السعادة وتورث الشقاء الاخرى وهي الشرور والسيئات ومعرفة السعادة الانسانية والشقاء الانسانى تسندعى معرفة ما هي النفس وما جوهرها وهل لها سعادة اخروية وشقاء اخروى ام لا وان كان فما مقدار هذه السعادة وهذا الشقاء . وايضا فباى مقدار تكون الحسنات سببا للسعادة فانه كما ان الاغذية ليست تكون سببا للصحة باى مقدار استعملت وفى اى وقت استعملت بل بمقدار مخصوص ووقت مخصوص كذلك الامر فى الحسنات والسيئات ولذلك نجد هذه كلها محدودة فى الشرائع وهذا كله او معظمه ليس

يقين الا بوحى او يكون تبيينه بالوحى افضل

وايضا فان معرفة الله على التمام انما تحصل بعد المعرفة بجميع الموجودات ثم

يحتاج الى هذا كله واضع الشرائع ان يعرف مقدار ما يكون به الجمهور سعيدا من هذه المعرفة وائى الطرق هي الطرق التي ينبغي ان تسلك بهم في هذه المعارف وهذا كله بل اكثره ليس يدرك بتعلم ولا بصناعة ولا حكمة . وقد يعرف ذلك على اليقين من زاول العلوم وبخاصة وضع الشرائع وتقرير القوانين والاعلام باحوال المعاد . ولما وجدت هذه كلها في الكتاب العزيز على ما يمكن علم ان ذلك بوحي من عند الله وانه كلامه القاه على لسان نبيه ولذلك قال تعالى منها على هذا « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله » الآية

ويتأكد هذا المعنى بل يصير الى حد القطع واليقين التام اذا علم انه صلى الله عليه وسلم كان اميا نشأ في امة امية عامية بدوية لم يارسوا العلوم قط ولا نسب اليهم علم ولا تداولوا الفحص عن الموجودات على ما جرت به عادة اليونانيين وغيرهم من الامم الذين كملت الحكمة فيهم في الاحقاب الطويلة والى هذا الاشارة بقوله تعالى « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك اذا لارتاب المبطلون » ولذلك اتى الله تعالى على عباده بوجود هذه الصفة في رسوله في غير ما آية من كتابه فقال تعالى « هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم » الآية وقال « الذين يتبعون الرسول النبي الامى » الآية وقد يوقف على هذا المعنى بطريق آخر وهو مقايسة هذه الشريعة بسائر الشرائع وذلك انه ان كان فعل الانبياء الذين هم به انبياء انما هو وضع الشرائع بوحي من الله تعالى على ما تقرر الامر في ذلك من الجميع اعني القائلين بالشرائع بوجود الانبياء

صلوات الله عليهم فانه اذا توّمل ما تضمنته سائر الكتب والشرائع وجدت
 تفضل في هذا المعنى سائر الشرائع بمقدار غير متناه ،
 وبالجملة فان كانت ههنا كتب واردة في شرائع استاهلت ان يقال انها كلام
 الله لغرابتها وخروجها عن جنس كلام البشر ومفارقة بما تضمنت من العلم والعمل
 فظاهر ان الكتاب العزيز الذي هو القرآن هو اولى بذلك واحرى اضعافا
 مضاعفة . ولو ذهبنا لنبيين فضل شريعة على شريعة وفضل الشريعة المشروعة
 لنا معشر المسلمين على سائر الشرائع وفضل التعليم الموضوع لنا في معرفة الله
 ومعرفة المعاد ومعرفة ما بينهما لاسندعي ذلك مجلدات كثيرة مع اعترافنا
 بالقصور عن استيفاء ذلك ولهذا قيل في هذه الشريعة انها خاتمة الشرائع
 ولعموم التعليم الذي في الكتاب العزيز وعموم الشرائع التي فيها اعني كونها
 مستعدة للجميع كانت هذه الشريعة عامة لجميع الناس ولذلك قال تعالى « قل
 يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا » وقال عليه السلام : بعثت الى الاحمر
 والاسود : فانه يشبه ان يكون الامر في الشرائع كالامر في الاغذية وذلك انه
 كما ان من الاغذية اغذية تلائم الناس او الاكثر كذلك الامر في الشرائع
 فلهذا المعنى كانت الشرائع التي قبل شريعتنا هذه انما خص بها قوم دون قوم
 وكانت شريعتنا هذه عامة لجميع الناس
 واذا كان هذا كله كما وصفنا فقد تبين لك ان دلالة القرآن على نبوته صلى الله
 عليه وسلم ليست هي مثل دلالة انقلاب العصا حية ولا احياء الموتى وبراء
 الاكمة والابرس فان تلك وان كانت افعالا لا تظهر الاعلى ايدي الانبياء

وهي مقنعة عند الجمهور فليست تدل دلالة قطعية اذا اقررت اذ كانت ليست
 فعلا من افعال الصفة التي بها سمي النبي نبياً . واما القران فدلالته على هذه
 الصفة هي مثل دلالة الابراء على الطب ومثال ذلك لو ان شخصين ادعيا
 الطب فقال احدهما الدليل على اني طيب اني اسير على الماء وقال الآخر
 الدليل على اني طيب اني ابرى المرضى فمضى ذلك على الماء وابرأ هذا المرضى
 لكان تصديقنا بوجود الطب الذي ابرأ المرضى يبرهان وتصديقنا بوجود الطب
 الذي مشى على الماء مقنعا وكذلك وجه الارتباط الذي بين المعجز الذي ليس
 هو من افعال الصفة والصفة التي استحق بها النبي ان يكون نبيا التي هي الوحي
 اه كلام الامام ابن رشد ملخصا

وقال الامام تقي الدين ابن تيمية في الجواب الصحيح : ولما كان محمد صلى الله
 عليه وسلم رسولا الى جميع الثقلين جنهم وانسهم عربهم وعجمهم وهو خاتم
 الانبياء لانبي بعده كان من نعمة الله على عباده ومن تمام حجته على خلقه ان
 تكون آيات نبوته وبراهين رسالته معلومة لكل الخلق الذي بعث اليهم وقد
 يكون عند هؤلاء من الآيات والبراهين على نبوته ما ليس عند هؤلاء وكان
 يظهر لكل قوم من الآيات النفسية والافقية ما يبين به ان القران حق كما قال
 تعالى « قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق
 بعهد سنوهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف
 بربك انه على كل شئ شهيد » وشهادته وحده كافية بدون ما ينتظر من
 الآيات كما قال تعالى « قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب »

وشهادته للقرآن ولمحمد تكون باقواله التي انزلها قبل ذلك على انبيائه كما قال
 تعالى عن اهل الكتاب « ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله » وتكون
 باقواله التي انزلها على محمد صلى الله عليه وسلم فان القرآن نفسه آية بينة ومعجزة
 قاهرة . وتكون بافعاله وهو ما يحدثه من الآيات والبراهين الدالة على صدق
 رسله فانه صدقهم بها فيما اخبروا به عنه وشهد لهم بانهم صادقون . والقرآن
 نفسه هو قول الله وفيه شهادة الله بما اخبر به الرسول . وانزاله على محمد صلى الله
 عليه وسلم واتيان محمد به هو آية وبرهان وذلك من فعل الله اذ كان البشر
 لا يقدر على مثله كما قال تعالى « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان
 ياتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ومحمد صلى
 الله عليه وسلم اخبر بهذا في اول امره اذ كانت هذه الآية في سورة « سبحان » وهي
 مكية صدرها بذكر الاسراء الذي كان بمكة باتفاق الناس . وقد اخبر خيرا
 واكده بالقسم عن جميع الثقلين انهم وجنهم انهم اذا اجتمعوا على ان ياتوا
 بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله بل يعجزون عن ذلك . وهذا فيه آيات لنبوته .
 منها اقدامه على هذا الخبر العظيم عن جميع الانس والجن الى يوم القيامة بانهم
 لا يفعلون هنا بل يعجزون عنه . وهذا لا يقدم عليه من يطلب من الناس
 ان يصدقوه الا وهو واثق بان الامر كذلك اذ لو كان عنده شك في ذلك لجوز
 ان يظهر كذبه في هذا الخبر فيفسد عليه ما قصده وهذا لا يقدم
 عليه عاقل مع اتفاق الامم - المؤمن بمحمد والكافر به - على كمال عقله
 ومعرفته وخبرته اذ اساس العالم سياسة لم يسسهم احد بمثلها ثم جعله هذا في

القرآن المتلو المحفوظ الى يوم القيامة الذي يقرأ به في الصلوات ويسمعه العام
والخاص والولى والعدو دليل على كمال ثقته بصدق هذا الخبر . ولا يتصور
ان بشرا يجزم بهذا الخبر الا ان يعلم ان هذا مما يعجز عنه الخلق اذ علم العالم بعجز
جميع الانس والجن الى يوم القيامة هو من اعظم دلائل كونه معجزا وكونه آية
على نبوته فهذا من دلائل نبوته في اول الامر عند من سمع هذا الكلام وعلم
انه من القرآن الذى امر ببلاغه الى جميع الخلق وهو وحده كاف في العلم
بان القرآن معجز . دع مأسوى ذلك من الدلائل الكثيرة على انه معجز مثل
عجز جميع الامم عن معارضته مع كمال الرغبة والحرص على معارضته . وعدم
الفعل مع كمال الداعي يستلزم عدم القدرة فلما كان دواعي العرب وغيرهم على
المعارضة تامة وانتفت المعارضة علم عجز جميع الامم عن معارضته وهذا برهان
بين يعلم به صدق هذا الخبر ، وصدق هذا الخبر آية لنبوته غير العلم بان
القرآن معجز فذلك آية مستقلة لنبوته وهي آية ظاهرة باقية الى آخر الدهر
معلومة لكل احد وهي من اعظم الآيات فان كونه معجزا يعلم بادلة متعددة
والاعجاز فيه من وجوه متعددة فتنوعت دلائل اعجازه وتنوعت وجوه اعجازه
وكل وجه من الوجوه فهو دليل على اعجازه وهذه جمل لبسطها تفصيل طويل
ولهذا قال تعالى « وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه قل انما الايات عند الله
وانما انا نذير مبين . اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في
ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون » فهو كاف في الدعوة والبيان . وهو كاف
في الحجج والبرهان اه

وقال بعض الأئمة : الاسلام في الحقيقة دعوتان دعوة الى الانتقاد بوجود الله
 وتوحيدة ، ودعوة الى التصديق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم
 فاما الدعوة الاولى فلم يعول فيها الا على تنبيه العقل البشرى وتوجيهه الى
 النظر في الكون واستعمال القياس الصحيح والرجوع الى ما حواه الكون من
 النظام والترتيب وتعاقد الاسباب والمسببات ليصل بذلك الى ان للكون صانعا
 واجب الوجود عالما حكيمًا قادرًا وان ذلك الصانع واحد لوحدته النظام في الاكوان
 واما الدعوة الثانية فهي التي يحتج بها الاسلام بخارق العادة وما ادراكها هو
 الخارق للعادة الذي يعتمد عليه الاسلام . هذا الخارق للعادة هو الذي تواتر
 خبره . ولم ينقطع اثره . هذا هو الدليل وحده وما عداه مما ورد في الاخبار
 فهو فضل من التاكيد . ذلك الخارق المتواتر المعول عليه في الاستدلال
 لتحصيل اليقين هو القرآن وحده . والدليل على انه معجزة خارقة للعادة تدل
 على ان موحيه هو الله وحده وليس من اختراع البشر هو انه جاء على لسان
 امي لم يتعلم الكتاب ولم يمارس العلوم . وقد نزل على وتيرة واحدة هاديا
 للضال مقوما للمعوج . كافلا بنظام عام لحياة من يهتدى به من الامم . منقذا
 لهم من خسران كانوا فيه . وهلاك كانوا اترفوا عليه ، وهو مع ذلك من
 بلاغة الاسلوب على ما لم يرتق اليه كلام سواه حتى لقد دعى الفصحاء والبلغاء
 ان يعارضوه بشيء من مثله فمعجزوا ولجأوا الى المجالدة بالسيوف وسفك الدماء
 واضطهاد المؤمنين به الى ان الجأؤهم الى الدفاع عن حقهم . وكان من امرهم
 ما كان من انتصار الحق على الباطل وظهور شمس الاسلام تمد عالمها باضوائها .

وتنشر انوارها في أجوائها : اه

قال الامام المارودي : وقد اظهر الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم من
 اعلام نبوته بعد ثبوتها بمعجز القرآن . واستغناؤه عما سواه من البرهان . ما جعله
 زيادة استبصار يحج بها من قلت فطنته . وهدن لها من ضعف
 بصيرته . ليكون اعجاز القرآن مدركا بالخواطر الثاقبة تفكر او استدلالا .
 واعجاز العيان معلوما ببداية الحواس احتياطا واستظهارا . فيكون البليد مقهورا
 بوهمه وعيانه . واللييب مججوجا بفهمه وبيانه . لان لكل فريق من الناس
 طريقا هي عليهم اقرب . ولهم اجذب . فكان ما جمع انقياد الفرق اوضح
 سبيلا . واعم دليلا :

❖ برهان ضروري لنسبة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ❖
 قال الامام تقي الدين ابن تيمية : كل من دعا الخلق الى متابعتة وطاعتة على
 سبيل الحتم والايجاب بان يصدقوه فيما اخبر ويطيعوه فيما اوجبه وامر به باطنا
 وظاهرا ولا يسوغ مخالفته بوجه من الوجوه لافي الباطن ولا في الظاهر فاما
 ان يكون عالما بكل ما يخبر به من الغيوب جازما بصدق نفسه جزما لا يحتمل
 التقيض عالما بان ما يامر به هو عدل لا يجوز لمن امره ان يعصيه بوجه من
 الوجوه . واما ان لا يكون جازما بذلك . فان كان جازما بذلك كان هذا
 هو « النبي المعصوم » الذي لا يخبر الا بحق وصدق ولا يامر الا بعدل بخلاف
 القسم الذي يتحرى العدل والصدق باجتهاده ورأيه فان هذا قد يامر باشياء
 يجوز ان تكون المصلحة والعدل في خلافها ويخبر باشياء باجتهاده يجوز ان تكون

المصلحة والعدل في خلافها ويخبر باشياء باجتهاده يجوز ان يكون الامر فيها بخلاف ذلك ولا بد ان يغلط في بعض ما يخبر به من العمليات وما يامر به من العمليات فانه لا معصوم الا الانبياء ولهذا لم يجب الايمان بكل ما يقوله بشر الا ان يكون نبيا

واذا كان كذلك فمعلوم بالتواتر ان محمدا ذكرانه رسول كابراهيم وموسى وموسى وعيسى بل اخبر انه سيد ولد آدم وان آدم فمن دونه تحت لوائه يوم القيامة . وانه لما اسرى به وعرج الى ربه علا على الانبياء كلهم على ابراهيم وموسى وهرون وعيسى ويحيى وغيرهم . واخبرانه لانبي بعده . وان امته هم الآخرون في الخلق السابقون يوم القيامة . وان الكتاب الذي انزل اليه احسن الحديث وانه مهين على ما بين يديه من الكتب مع تصديقه لذلك وقد علم بالاضطرار من سيرته انه كان يتحرى الصدق والعدل وانه ماجرت عليه كذبة قط وعلم انه كان جازما بما يخبر به مع كثرة ما يخبر به من الغيوب الماضية والمستقبله وانه وحده قام يدعو الناس الى ما جاء به ومن عادة طالب الملك والرياسة ولو كان عادلا ان يستعين بمن يعينه كاقاربه واصدقائه ونحوهم وان يبذل للنفوس من العاجل ما يرغبها به كالمال والرياسة ويرهب من خالفه ومحمد صلى الله عليه وسلم دعا الناس وحده وهو بمكة فآمن به المهاجرون ثم آمن به الانصار بالمدينة ثم آمن به اهل البحرين ولم يعط احدا منهم درهما ولا كان معه ما يخيفهم به لاسيف ولا غيره بل اقام بمكة بضع عشرة سنة وهو والمؤمنون به مستضعفون لم يكن له مال يبذله لهم ولا سيف يخيفهم به

(ثم قال تقي الدين) والاعخبار الماثورة في اصناف آياته وبراهينه كثيرة جدا وهي مشتملة على جنسى العلم والقدرة وعلى انواع من الاعخبار بالغيوب المستقبلية مفصلة كأنما رآها بعينه لم يات منها خبر الا كما اخبر به وهذا امر لم يكن قط الا لنبي . اما الكاهن والمنجم ونحو هؤلاء فيكذبون كثيرا ويخبرون بجملة غير مفصلة . واما اهل الولاية والصلاح فاعظمهم كشفا يخبرون من ذلك بامور قليلة لا تبلغ عشر معشار ما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ولا يخبرون بها مفصلة بخبره

وفي القرآن من الاعخبار بالمستقبلات شيء كثير كقوله تعالى « ألم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين الله الامر من قبل ومن بعد » فغلبت الروم فارس في بضع سنين وكقوله « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا » وكان كما اخبر وقال تعالى « هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا » وكان كما اخبر ووعد وقال تعالى « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله » وكان كما اخبر وقال تعالى « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله » الى قوله « فان لم تفعلوا وان تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين » فاخبر انهم لن يفعلوا وكان كما اخبر . واخبر انه قال للمسيح « وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا »

يعني اليهود « الى يوم القيامة » وكان كما اخبر . وانزل في مكة « ام يقولون
نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر » فكان كما اخبر هزم الجمع وولوا
الدبر . وقال « ولوقاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا »
فكان كما اخبر . وقال « ومن الذين قالوا « الآيه فكان كما اخبر . وقال عن
اليهود « كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله » فكان كما اخبر وقال « لن
يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون » وكان كذلك
فلم يقاتلوه بعد نزول الآيه الا انتصر عليهم المسلمون وما زال الاسلام في عز
وظهور حتى ظهر على اهل المشرق والمغرب . وقال تعالى خطابا لليهود « قل
يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان
كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم والله اعلم بالظالمين » فاخبر
عن اليهود انهم لن يتمنوا الموت ابدا وكان كما اخبر وقال عن الوليد « ساصلي
سقر » وعن ابي لهب « سيصلي نارا ذات لهب » فكان كما اخبر مات الوليد
كافرا ومات ابو لهب كافرا وقال في سورة الفتح « وعدكم الله مغنايم كثيرة تاخذونها
فجعل لكم هذه وكف ابدى الناس عنكم واتكون آية للمؤمنين » وقال « لتدخلن
المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم
ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا » وقال « قل للمخلفين من
الاعراب سندعون الى قوم اولى باس شديد تقاتلونهم او يسلمون » وهذا
كله وقع كما اخبر فحصلت لهم الغنائم الكثيرة ودخلوا المسجد الحرام آمنين
ودعيت الاعراب الى قتال الروم والفرس يقاتلونهم او يسلمون وقال تعالى

« اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسيح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا » فدخل الناس في دين الله افواجا بعد الفتح فما مات النبي صلى الله وسلم وفي بلاد العرب موضع لم يدخله الاسلام انتهى وانظر بقية كلامه في اخباره صلى الله عليه وسلم عن الغيوب المروية في الاحاديث الصحيحة في الجواب الصحيح

﴿ برهان آخر ضرورى ايضا لنبوته صلوات الله عليه ﴾

قال الامام ابن حزم في الفصل: وبرهان ضرورى لمن تدبره حسي لا محيد عنه وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى الى قوم لقاح (١) لا يطيعون لاحد ولا ينقادون لرئيس نشأ على هذا ابواؤهم واجدادهم واسلافهم منذ الوف من الاعوام قد سرى الفخر والعز والنخوة والكبر والظلم والافتقار في طباعهم وهم اعداد عظيمة ملثوا جزيرة العرب وهي نحو شهرين في شهرين قد صارت طباعهم طباع السباع وهم الوف الالوف قبائل وعشائر يتعصب بعضهم لبعض ابدا فدعاهم بلا مال ولا اتباع - بل خذله قومه - الي ان ينحطوا من ذلك العزالي غرم الزكاة . ومن الحرية والظلم الى جرى الاحكام عليهم . ومن طول الايدي بقتل من احبوا واخذ مال من احبوا الى القصاص من النفس ومن قطع الاعضاء ومن اللطمة من اجل من فيهم لاقل عالج (٢) غريب دخل فيهم . والى اسقاط الانفة والفخر الى ضرب الظهور بالسياط او بالنعال ان شربوا خمر او قذفوا

(١) اللقاح كسحاب الحمي الذين لا يدينون للعجائز كما ذكره (٢) العاج هو الكافر من العجم

انسانا . والى الضرب بالسوط والرجم بالحجارة الى ان يموتوا ان زنوا فانقادا اكثرهم
لكل ذلك طوعا بلا طمع ولا غلبة ولا خوف مامنهم احدٌ اخذ بغلبة الا مكة
وخير فقط وما غزاقط غزوة يقاتل فيها الا تسع غزوات بعضها عليه
وبعضها له . فصح ضرورة انهم انما آمنوا به طوعا لا كرها . وتبدلت طبائعهم
بقدره الله تعالى من الظلم الى العدل . ومن الجهل الى العلم . ومن الفسق
والقسوة الى العدل العظيم الذي لم يبلغه اكابر النملاسفة . واسقطوا كلهم
اولهم عن آخرهم طلب الثار ، وصحب الرجل منهم قاتل ابنه وابيه واعدى
الناس له صحبة الاخوة المتحابين دون خوف يجمعهم ولا رياسة ينفردون بها
دون من اسلم من غيرهم ولا مال يتجملونه فقد علم الناس كيف كانت سيرة
ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وكيف كانت طاعة العرب لها بلا رزق ولا
عطاء ولا غلبة . فهل هذا الا بغلبة من الله تعالى على نفوسهم كما قال تعالى
« لو انفقنا ما في الارض جميعا ما لفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم »
ثم بقى عليه الصلاة والسلام كذلك بين اظهريهم بلا حارس ولا ديوان جند
ولا بيت مال محروسا معصوما . فهل يصح من اعلام الانبياء ما نقل عنه عليه
الصلاة والسلام . كلا . وهذا لا ينكره احد من الناس
وقال ابن حزم رحمه الله ايضا قبل ذلك : كانت العرب بلا خلاف قوما
لقاحا لا يملكهم احد كضر وربيعة واباد (١) وقضاة او ملوكا في بلادهم يتوارثون

الملك كابر عن كابر ملك اليمن وعمان (١) وشهر بن بارام ملك صفا (٢) والمنذر بن ساوى ملك البحرين . والنجاشي ملك الحبشة وجيفر وعياد ابني الجندى ملكي عمان (٣) فانقادوا كلهم لظهور الحق وبهوره وآمنوا به صلى الله عليه وسلم طوعا وهم آلف آلف وصاروا اخوة كني اب وام وانحل كل من امكنه الانحلال عن ملكه منهم الى رسله طوعا بلا خوف غزو ولا اعطاء مال ولا طمع في غز بل كلهم اقوى جيشا من جيشه واكثر مالا وسلاحا منه واوسع بلدا من بلده . كذى الكلاع (٤) وكان ملكا متوجا ابن ملوك متوجين تسجد له جميع رعيته يركب امامه الف عبد من عبيده سوى بنى عمه من حمير وذى ظليم (٥) وذى زود (٦) وذى مران (٧) وذى عمرو وغيرهم كلهم ملوك متوجون في بلادهم هذا كله امر لا يجمله احد من حملة الاخبار بل هو منقول كمنقول كون بلادهم في مواضعها (٨) وهكذا كان اسلام جميع

(١) كقرباب في القاموس: بلد في اليمن، وقال ابن الاثير: على البحر تحت البصرة، وقال غيره: عند البحرين (٢) الصفا حصن بالبحرين وهجر كما في المعجم (٣) جيفر كجعفر من اسماء الاسد الشديد والجلندى بضم الجيم وفتح اللام وسكون النون وفتح الدال آخره الف مقصورة قال في القاموس اسلم هو واخوه على يد عمرو بن العاص لما وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهما وهما على عمان (٤) بفتح الكاف (٥) كزبير موضع باليمن (٦) بضم الزاي (٧) بفتح الميم وتشديد الراء (٨) اشارة الى ان اقياد الملوك المذكورين له صلوات الله عليه وَايمانهم به منقول بالنقل الذي لا يشوبه شائبة تردد وهو خبر النواتر وهو مارواه جمع عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب وقد اتفق الاصوليون على افادته القطع ومنه المرويات المذكورة وقد روى اسلام النجاشي من طرق كثيرة وروايات متنوعة وكلها متجاوبة الاطراف في تحقيق اسلامه -

العرب اولهم كالاوس والخزرج ثم سائرهم قبيلة قبيلة لما ثبت عندهم من آياته
 وبهرهم من معجزاته وما اتبعه الاوس والخزرج الا وهو فريد نابذه قومه حسداً
 له اذ كان فقيراً يتيماً امها لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل والجاهلية يرعى
 غنم قومه يتقوت بها فعلمه الله تعالى الحكمة دون معلم وعصمه من كل من اراده بلا
 حرس ولا حاجب ولا بواب ولا قصر يمتنع فيه على كثرة من اراد قتله من
 شجعان العرب وقتاً بهم كعامر ابن الطفيل واربد بن جزء (١) وغورث بن الحارث
 (٢) وغيرهم مع اقرار اعدائه بنبوته كسهلعة (٣) وسجاح (٤) وطليحة (٥)

— ولو لم يكن منها الا ما صح عنه صلى الله عليه وسلم من صلواته عليه لما جاءه نبيه لكني
 وذلك متفق على ثبوته اتفاقاً يزبل كل زبية

(١) بفتح الجيم (٢) بفتح العين المعجمة وسكون الواو (٣) مسيلة رجل من بني
 حنيفة كان قدم مع جماعة من قومه على النبي صلى الله عليه وسلم وصار يقول ان جعل
 لي محمد الامر من بعده تبعته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وكان في يده قطعة
 جريد : لو سالتني هذه القطعة ما اعطيتكها ولن تعدو أمر الله فيك وان ادبرت
 ليعقرنك الله . ثم رجع بمن معه الي منازلهم وهي اليمامة بين نجد والبحرين وادعى انه
 اشترك مع النبي في النبوة وكتب كتاباً بالنبي صلى الله عليه وسلم : من مسيلة رسول الله
 الي محمد رسول الله سلام عليك فاني قد اشركت في الامر معك وان لنا نصف الارض
 الخ فكتب له صلوات الله عليه : من محمد رسول الله الي مسيلة الكذاب سلام على
 من اتبع الهدى اما بعد فان الارض لله بورشها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين :
 ثم قتل في عهد الصديق كما تراه مفصلاً في التاريخ

« ٤ » امرأة من بني تميم تنبأت وخطبها مسيلة الكذاب وتزوجته ولها حديث مشهور
 « ٥ » هو طليحة بن خويلد الاسدي كان كاهناً ادعى النبوة في حياة النبي صلى الله
 عليه وسلم فتبعه افاريق ونزل سميراً من بلاد بني اسد شرقي نجد ثم اسلم في عهد
 الصديق رضي الله عنه وله ذكر جميل في فتح العراق وقصته معروفة في التاريخ

والاسود (١) وهو مكذب لهم . فهل بعد هذا برهان او بعد هذه الكفاية من الله تعالى كفاية وهو لا ينبغي دنياً ولا ينبغي بها من اتبعه بل انذر الانصار بالاثرة عليهم بعده واتبعوه على الصبر على ذلك (٢)

قام له اصحابه على قدم فمنعهم وانكر ذلك عليهم واعلمهم ان القيام لله تعالى لا الخلقه . ورضوا بالسجود له فاستعظم ذلك وانكره الا الله وحده . ولا شك في ان هذه ليست صفة طالب دنيا قط اصلاً ولا صفة راغب في غلبة ولا بعد صوت بل هذه حقيقة النبوة الخالصة لمن كان له ادنى فهم

ثم قال الامام ابن حزم : وايضا فان سيرة محمد صلى الله عليه وسلم لمن تدبرها تقتضى تصديقه ضرورة وتشهد له بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا فلولم تكن له معجزة غير سيرته صلى الله عليه وسلم لكفى وذلك انه عليه الصلاة والسلام نشأ كما قلنا في بلاد الجهل لا يقرأ ولا يكتب ولا خرج عن تلك البلاد قط الا خرجت من احداهما الى الشام وهو صبي مع عمه الى اول ارض الشام (٣)

« ١ » الاسود رجل من عنس ادعى النبوة في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم لما راي الاسلام انتشر في اليمن واثار على دعوته رجالاته قتل وكانت مدته الى ان هلك قريبا من اربعة اشهر وجاءت البشارة بقتله الى المدينة وقد توفي النبي صلى الله عليه وسلم

« ٢ » قال ابن ابي الحديد في شرح النهج ان الدنيا خلصت صفوا عفوا بعد بني امية الذين كانوا من قبل اعدائه واخرجوه عن اوطانه وقتلوه كما قال ابوسفيان لما مر بقبر حمزة رضى الله عنه : يا باعارة ان الامر الذي اجتلدنا عليه بالسيف امسى في يد غلماننا اليوم يتلعبون به انتهى ويمر بقارى الصحاحين من الاخبار بالغيوب عن مثل هذا كثير من الاخبار فصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم « ٣ » يعنى بصري من بلاد حوران

ورجع . والاخرى ايضا الى اول الشام ولم يطل بها البقاء ولا فارق قومه قط
ثم اوطاه الله تعالى رقاب العرب كلها فلم تتغير نفسه ولا حالت سيرته الى ان
مات ودرعه مرهونة في شعير لقوت اهله اصواع ليست بالكثيرة . ولم يبت
قط في ملكه دينار ولا درهم . وكان يأكل على الارض ما وجد ويخصف نعله
بيده ويرقع ثوبه ويؤثر على نفسه وقتل رجل من افاضل اصحابه مثل فقدته
يهدي عسكرا قتل بين اظهر اعدائه من اليهود فلم يتسبب الى اذى اعدائه بذلك اذ لم
يوجب الله تعالى له ذلك ولا توصل بذلك الى ذمائمهم ولا الى دم واحد منهم
ولا الى اموالهم بل فداءه من عند نفسه بمائة ناقة وهو في تلك الحال محتاج الى
بعير واحد يتقوى به وهذا امر لا تسمح به نفس ملك من ملوك الارض واهل
الدنيا من اصحاب بيت الاموال بوجه من الوجوه ولا يقتضى هذا ايضا
ظاهر السيرة والسياسة فصيح يقينا بلا شك انه انما كان متبعا ما امر به ربه
عز وجل كان ذلك مضرا به في دنياه غاية الاضرارا وكان غير مضربه (١)

« ١ » يشير الامام ابن حزم الى قصة قتيل بني حارثة من الانصار في خيبر ، وذلك
انه خرج عبدالله بن سهل الانصارى وابن عمه محبصة بن مسعود ابن زيد في نفر
الى خيبر يمتارون تمرا فتنفروا فيها وهي يومئذ صلح ثم ان محبصة وجد عبدالله قتيلا
بتشحط في دمه في ناحية من نواحي خيبر فاتي محبصة الى اليهود فقال انتم والله
قتلتموه قالوا ماقتلنا ولا علمنا قاتلا ثم انطلق اخو القتيل وابناء عمه الى النبي صلى
الله عليه وسلم فذكروا شانه حيث قتل فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تاتون بالبينة
على من قتله قالوا بالنابينة قال فيخلفون خمسين يمينا على رجل منهم فيدفع برمته قالوا كيف
يخلف على ما لا تعلم قال فيخلفون لكم خمسين يمينا قالوا لانرضى بايمان اليهود فككره
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبطل دمه فوداه بمائة من الابل من عنده . هذا

وهذا عجيب لمن تدبره ثم حضرته صلى الله عليه وسلم المنية وايقن بالموت وله

— مارواه البخارى في صحيحه وكل من صنف في الصحاح . وهذا القضاء النبوي يمثل عدله صلى الله عليه وسلم وانصافه وكرم اخلاقه وسخاء وجوده وعدم محاباته في الحق ولياله اوصاحبا . ويمثل قيامه بحسب العهد ووفاء الذمة لليهود حالئذ لان هذه وقعت في خيبر بعد فتحها واقرار النبي صلى الله عليه وسلم اهلها فيها على ان يعملوا في المزارع بالشطر مما يخرج منها . وقول ابن حزم هنا في اعجابه بهذه المكارم النبوية ان امر القضاء فيها لا يقتضى ظاهر السيرة والسياسة : اى لان ظاهر سيرة القتل تقتضى الصاق اللوث والشبهة في جانب المدعى عليهم البتة لانه قتل في دارهم و بين أظهرهم وهم اعداؤه فكان ظاهر الحال يقتضى ان لا يبرؤا اصلا وان يحملوا الاقرار والاعتراف لقوة جانب المدعي باللوث الذي يقوى دعواه . وكذلك كان يقتضى ظاهر السياسة اعمال الصارم البتار في ناحية الشبهة جزاء وفاقا وتاديبا وزجرا وحفظا للامن وحسبا لاثارة الفتن — واخذ الدية من جهة اللوث ارضاء لذوى الحق وصونا من هدر الدم فلم يكن هذا ولا ذلك بل كان قضاء آخر وهو قضاء الحق العدل وحكم الحكيم الفصل . وذلك لان الاصل اليقينة وهي شهادة من شاهد القتل وكان عدلا بوثق به فان فقدت فحسبون يمينا بحلفها المدعون على رجل يسمونه وانما غلظت القضية بوفرة ايمانها المذكورة ليحسب المقتحم لليمين وليتبصر ان الامر ليس بالسهل لحرمة الدماء وكون الاصل فيها العصمة — فان ابوا الحلف ترد الايمان على المدعى عليهم فيستحلفون خمسين يمينا ماقتلناه ولا علمنا من قتله فان حلفوا برؤا اذ ليس غير هذا منهم لجعالة القاتل وسعة مكان اللوث وامكان ان ذلك من عمل بداجنية مجتازة . فاذا ائى اولياء القتل ذلك فما بقى الا الحكمة والدرء بالتى هي احسن وطفو غلبان الصدور وذلك بما رآه النبي صلى الله عليه وسلم من الصلح والاحسان والطول والامتنان فوداه من ماله رحمة بذوى ذمته وعهده واحسانا الى اصحابه وانصاره . فيا ايها الواقف على هذه المكارم والمراحم النبوية باهل الذمة والعهد من يهود خيبر اذا تأملت هذا وعرفته تعلم ان الحكم الذى قضى به سعد بن معاذ على مواليه من يهود بني قريظة من ابادة خضرتهم واقره النبي صلى الله عليه وسلم انما هو لجنابتهم —

عم اخوايه هو احب الناس اليه وابن عم هو من اخص الناس به وهو ايضا زوج ابنته وكلاهما عنده من الفضل والدين والسياسة في الدنيا والبأس والحلم وخلال الخير ما كان كل واحد منهما حقيقا بسياسة العالم كله فلم يجابهما وهما من اشد الناس محبة فيه وهو من احب الناس فيهما اذ كان غيرهما متقدما لهما في الفضل قاصداً اتباع ما امر به صلى الله عليه وسلم . ولم يورث ورثته ابنته ونسائه وعمه فلما فاقه وهم كلهم احب الناس اليه وطوعهم له ، وهذه امور لمن تأملها كافية مغنية في انه انما تصرف بأمر الله تعالى له لاسباسية ولا بهوى فوضح بما ذكرنا «ولله الحمد كثيرا» ان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حق وان شريعته التي اتى بها هي التي وضعت براهينها واضطرت دلائلها الى تصديقها والقطع على انها الحق الذي لاحق سواه . وانها دين الله تعالى الذي لا دين له في العالم غيره اه كلامه بحروفه رحمه الله تعالى

❖ استدلال هرقل عظيم الروم على نبوته ❖

❖ صلى الله عليه وسلم ❖

روى الامام البخارى في صحيحه عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ان اباسفيان ابن حرب اخبره ان هرقل ارسل اليه في ركب من قريش وكانوا

— على الدين واهله جنابة لانغفر بوجهه ما كما ستره موضعا في تعليقه آية ان شاء الله تعالى وكما ان لكل مقام مقالا فلعل قضية حكم . ومن نظر الى القضايا النبوية فلينظر بعين الانصاف ليرى كيف يظهر نور العدل وقصد الحق ويمثل نفسه مشاهدا لذلك الجهاد الاكبر جهاد كسح الفساد من طريق الحق فصلوات الله على الرحمة المهداة للعالمين ، في كل وقت وحين ،

تجارا بالشام (١) في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مآذ فيها
 ابوسفيان (٢) فاتوه بايليا (٣) فدعاهم في مجلسه وحوله عطاء الروم ودعا
 ترجمانه فقال ايكم اقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم انه نبي فقال ابوسفيان قلت
 انا اقربهم نسبا قال آذنوه مني وقربوا اصحابه فاجعلوهم عند ظهره ثم قال
 لترجمانه قل لهم اني سائل هذا عن هذا الرجل فان كذبتني فكذبوه قال (٤)
 فوالله لولا الحياء من ابن باثرؤا على (٥) كذبا لكذبت عليه ثم كان اول
 ما سألني عنه ان « قال » كيف نسبه فيكم « قلت » هو فينا ذؤانسب « قال »
 فهل قال هذا القول منكم احد قبله قط « قلت » لا « قال » فهل كان من
 آباءه ملك « قلت » لا « قال » فاشرف الناس يتبعونه ام ضعفاؤهم « قلت »
 بل ضعفاؤهم « قال » ايزيدون ام ينقصون « قلت » بل يزدون « قال »
 فهل يرتد احد منهم سخطة لدينه بعد ان يدخل فيه « قلت » لا « قال »
 فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال « قلت » لا « قال » فهل
 يغدر « قلت » لا « قال » فهل قاتلتموه « قلت » نعم « قال » كيف كان
 قتالكم اياه « قلت » الحرب بيننا وبينه سجال يئال منا وننال منه « قال »
 ماذا يامركم « قلت » يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا
 ما يقول اباءكم ويامرنا بالصلاة والصدق والصدقة والعفاف

(١) في رواية بغزة وكانت وجه متجرم (٢) يعني مدة الصلح الذي عقد بالحديبية
 سنة ست من الهجرة قبل اسلام ابي سفيان لان اسلامه عام فتح مكة سنة ثمان من
 الهجرة (٣) هي مدينة بيت المقدس (٤) اي ابوسفيان (٥) قال الدماميني علي
 فيه بمعنى عن ويحتمل التضمنين

والصلة (١) فقال للترجمان قل له « سالتك » عن نسبة فذكرت انه فيكم ذونسب
فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها « وسالتك » هل قال احد منكم هذا
القول قبله فذكرت ان لا فقلت لو كان احد قال هذا القول قبله لقلت رجلا يتأسي
بقول قيل قبله « وسالتك » هل كان من آباءه من ملك فذكرت ان لا قلت
فلو كان من ملك قلت رجل يطلب ملك ابيه « وسالتك » هل كنتم تتهمونه
بالكذب قبل ان يقول ما قال فذكرت ان لا فقد اعرف انه لم يكن ليذر
الكذب على الناس ويكذب على الله « وسالتك » اشرف الناس اتبعوه ام
ضعفوا هم فذكرت ان ضعفاءهم اتبعوه وهم اتباع الرسل « وسالتك » ايزيدون
ام ينقصون فذكرت انهم يزدون وكذلك امر الايمان حتى يتم « وسالتك »
ايرتد احد سخطة لدينه بعد ان يدخل فيه فذكرت ان لا وكذلك الايمان
حين تخالط بشاشته القلوب لا يسخطة احد « وسالتك » هل يغدر فذكرت
ان لا وكذلك الرسل لا تغدر « وسالتك » هل قاتلتموه وقاتلكم فزعمت ان قد

(١) وفي هذا المعنى يقول حكيم الشعراء ابو العلاء المعري في مدح النبي صلى الله
عليه وسلم

دعاكم الى خير الامور محمد *	وليس العوالي في القنا كالسوافل
حداكم على تعظيم من خلق الضحا *	وشعب الدجا من طالعات وآفل
والزمكم ما لبس يعجز حمله *	اخا الضعف من فرض له ونوافل
وحث على تطهير جسم وملبس *	وعاقب في قذف النساء الغوافل
وحرم خمرا خلت ارباب شربها *	من الطيش ارباب النعام الجوافل
يجزون ثوب الملك جرا وآس *	لدى البدو اذبال الغواني الروافل
فصلى عليه الله ما ذرت شارق *	وما فت مسكا ذكره في المحافل

فعل وان حربكم وحربه تكون دولا يدال عليكم المرة وتداولون عليه الاخرى
وكذلك الرسل نبلي وتكون لها العاقبة (١) « وسالتك » بم يأمركم فذكرت
انه يا امركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبينهاكم عن عبادة الاوثان
ويامركم بالصلاة والصدق والعتاف فان كان ماتقول حقا فسيملك موضع

(١) قال الامام ابن القيم في مفتاح دار السعادة في هذا المعنى فاذا تأملت سيرة النبي صلى الله
عليه وسلم مع قومه وصبره في الله واحتماله ما لم يحتمله نبي قبله وتلوت الاحوال عليه
من سلم وخوف وغنى وفقير وامن واقامة في وطنه وظمن عنه وتركه لله وقتل احبائه
واولياؤه بين يديه واذى الكفار له بسائر انواع الاذى من القول والنعل والكذب
والافتراء عليه والبهتان وهو مع ذلك كله صابر على امر الله بدعو الى الله فلم يؤذ نبي
ما اودى ولم يحتمل في الله ما احتمله ولم يعط نبي ما عطيه فرجع الله له ذكره وقرن اسمه
باسمه وجعله سيد الناس كلهم وجعله اقرب الخلق اليه وسيلة واعظمهم عنده جاها
واسمعهم عنده شفاعته وكانت تلك المن والابتلاء عين كرامته وهي مما زاده الله بها
شرفا وفضلا وساقه بها الى اعلا المقامات وهذا حال ورثته من بعده الامثل فالامثل
كل له نصيب من الخنة يسوقه الله به الى كماله بحسب متابعتة له ومن لا يدب له من
ذلك حقه من الدنيا حظ من خلق لها وخلقت له وجعل خلافة ونصيبه فيها فهو باكل
منها رغدا ويتمتع فيها حتى يناله نصيبه من الكتاب يتمتع اولياء الله وهو في دعة
وخفض عيش ويخافون وهو آمن ويحزنون وهو في اهله مسر راه شأن ولهم شأن
وهو في وادوم في وادهمه ما يقيم جاهه ويسلم به ماله وتسمع به كلمته وهمهم اقامة دين
الله واعلاء كلمته واعزاز اولياؤه وان تكون الدعوة له وحده فيكون هو وحده المعبود
لا غيره ورسوله المطاع لاسواه فله سبحانه من الحكم في ابتلائه انبيائه ورسله
وعباد المؤمنين ما تنقاصر عقول العالمين عن معرفته . وهل وصل من وصل الى
المقامات المحمودة والنهيات الفاضلة الا على جسر الخنة والابتلاء
كذا المعالي اذا مارمت تدركها * فاعبر اليها على جسر من التعب .

قدمي هاتين (١) وقد كنت أعلم انه خارج لم اكن اظنه منكم فلوانى اعلم
انى اخلص اليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه قال
ابوسفیان ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى « الحديث »
وفى رواية فى الصحيح فى كتاب الجهاد بعد ان سأل عن هذه الصفات العشر
قال هرقل : وهذه صفة النبي : اى المشار اليه والمرموز له فى كتب العهدين
قال الامام ابن تيمية رحمه الله : وما استدل به هرقل من العلم بصفاته هو
الاستدلال على عينه فان الناس فى النبوة على ثلاث درجات منهم من يحتاج

(١) وفى هذا المعنى كتب حكيم من المتأخرين مقالة جاء منها : ارسل طرفك الى نشأة
الأمة وتبين اسباب نهوضها الاول فترى ان ما جمع كلمتها وانفض حمم آحادها ولحم
بين افرادها وصعد بها الى مكانة تشرف منها على رؤس الامم ونسوسهم وحى فى
مقامها بدقيق حكمتها انما هو « دين » فويم الاصول محكم القواعد شامل لانواع الحكم
باعث على الالفة داع الى المحبة مذكر للنفوس مطهر للقلوب من ادراك الخسائس
منور للعقول باسراق الحق من مطالع قضاياها كافل لكل ما يحتاج اليه الانسان من
مباني الاجتماع البشرية وحافظ وجودها وبنادي بمتعديه الى جميع فروع المدنية
انظر الى تاريخ الامة قبل بعثة الدين وما كانت عليه من الحمجة والشتم ، وايقان
الدنابا والمنكرات ، حتى اذا جاءها الدين وحدها وقواها وهذبها ونور عقولها وقوم
اخلاقها وسدد احكامها فسادت على العالم وساست من تولته بالعدل والانصاف
وبعد ان كانت عقول ابائها فى غفلة عن لوازم المدنية ومقتضياتها نهبتها شر بعثها
وايات دينها الى طلب الفنون المتنوعة والتبحر فيها ونقلوا الى بلادها طب بقراط
وجالينوس وهندسة اقليدس وهيئة بطليموس وحكمة افلاطون وارسطو وما كانوا
قبل الدين فى شئ من هذا وكل امة سادت تحت هذا اللواء انما كانت قوتها ومدنيتهما
فى التمسك باصول دينها اه

الى ان يعلم جنس النبوة كالذين كذبوا الرسل وقالوا ما انزل الله على بشر من شيء . ومنهم من يقر بالرسول في الجملة لكن لا يقر بما يجب من حقيقة ارسالهم كاللحادثة اهل البدع الذين يعظمون الانبياء مع اعتقادهم في الباطن ما يناقض بعض ما جاؤا به لشبهات انعقدت في قلوبهم ظنوها مناقضة لما اخبرت به الرسل فيحتاجون ان يوفقوا بينها (الى ان قال) وهرقل لم يكن محتاجا الى الايمان بجنس النبوات فانه كان من اهل الكتاب واهل الكتاب يقرون بجنس النبوة فانهم يقرون بنبوة نوح والخليل وانبياء بني اسرائيل ، والذين يحتاجون الى معرفة النبي المعين نوعان : نوع عرفوا انه يبعث نبي وقد يعرفون بعض نعوته فيحتاجون ان يعرفوا عينه . وهرقل وامثاله من اهل الكتاب كانوا من هذا النوع فكانوا يعلمون ان نبيا سيبعث وانما كان حاجتهم الى ان يعرفوا هل هو هذا النبي المذكور ام غيره فيكون ما يحتاجون اليه من دلائل صدقه ايسر مما يحتاج اليه من لا يقر بالرسول اولا يعرف ان نبيا سيبعث (الى آخر ما ذكره في آخر الجواب الصحيح فانظره)

❖ بيان خصائصه صلى الله عليه وسلم وفضائله ، وشرف ❖

❖ اخلاقه وشماله ، المؤيدة لنبوته ، والمبرهنه على ❖

❖ عموم رسالته ❖

قال الامام المارودي رحمه الله تعالى : المهيا لاشرف الاخلاق واشرف الافعال . المؤمن هل لاعلى المنازل وافضل الاعمال . لانها اصول تقود الى ماناسبتها ووافقها . وتنفرد ما بينها وخالفها . ولا منزلة في العالم اعلى من النبوة

التي هي سفارة بين الله تعالى وعباده تبعث على مصالح الخلق وطاعة الخالق فكان افضل الخلق بها اخص . واكملهم بشروطها احق بها وامس . ولم يكن في عصر الرسول وما داني طرفيه من قاربه في فضله ولا دانه في كماله خلقا وخلقوا قولاً وفعلاً وبذلك وصّنه الله تعالى في كتابه بقوله « وانك لعلى خلق عظيم » والفضل وان لم يكن من معجزات النبوة فهو من اماراتها وتكامل الفضل معوز فصار كالمعجز . وكمال الفضل موجب للصدق والصدق موجب لقبول القول فجاز ان يكون من دلائل الرسل

فاذا وضع هذا فالكامل المعتبر في البشر يكون من اربعة اوجه كمال الخلق وكمال الخلق وفضائل الاقوال وفضائل الاعمال

فاما الوجه الاول في كمال خلقه بعد اعتدال صورته فيكون باربعة اوصاف احدها السكينة الباعثة على الهيبة والتعظيم، الداعية الى التقديم والتسليم . وكان اعظم مهيب في النفوس حتى ارناعت رسل كسرى من هيئته حين اتوه مع ارتباعهم بصولة الاكاسرة ومكاثرة الملوك الجبارة فكان (صلى الله عليه وسلم) في نفوسهم اهيب وفي اعينهم اعظم وان لم يتعاضم باهبة ولم يتناول بسطوة بل كان بالتواضع موصوفا وبالوظاة (١) معروفا

والثاني في الطلاقة الموجبة للاخلاص والمحبة الباعثة على المصافاة والمودة وقد كان « صلوات الله عليه » محبوبا استحكمت محبة طلاقته في النفوس حتى لم يقله مصاحب . ولم يتباعد منه مقارب . وكان احب الى اصحابه من

الآباء والابناء . وشرب البارد على الظما .
 والثالث حسن القبول الجالب لمائلة القلوب حتى تسرع الى طاعته . ونذعن
 بموافقته وقد كان قبول منظره صلى الله عليه وسلم مستوليا على القلوب ولذلك
 استحسنت مصاحبته في النفوس حتى لم ينفر منه معاند . ولا استوحش منه مباحد
 الا من ساقه الحسد الى شقوته . وقاده الحرمان الى مخالفته .
 والرابع ميل النفوس الى منابته . وانقيادها لموافقته . وثباته على شدائده
 ومصابرته . فما شذ عنه معها من اخلص . ولا نذ عنه فيها من تخصص .
 وهذه الاربعة من دواعي السعادة ، وقوانين الرسالة ، وقد تكاملت فيه فكل
 لما يوازها ، واستحق ما يقتضيها ،

واما الوجه الثاني في كمال اخلاقه فيكون بست خصال
 (احداهن) رجاحة عقله وصحة وهمه وصدق فراسته وقد دل على وفور ذلك
 فيه صحة رأيه وصواب تدييره وحسن تألفه وانه ما استغفل في مكيدة ولا
 استعجز في شديدة بل كان يلحظ الاعجاز في المبادئ فيكشف عيوبها ويحل
 خطوبها وهذا لا ينتظم الا باصدق وهم واوضح جزم
 (والحصلة الثانية) ثباته في الشدائد وهو مطلوب وصبره على الباساء والضراء وهو
 مكروب ومحروب « ١ » ونفسه في اختلاف الاحوال ساكنة لا يخور في شديدة
 ولا يستكين لعظيمة وقد لقي بمكة من قريش ما يشيب النواصي ، ويهد الصهاصي
 وهو مع الضعف يصابر صبر المستعلي ، ويثبت ثبات المستولي

« ١ » اي مطلوب بقال حربه حربا كطليه طلبا فهو محروب وحرب

(والخصلة الثالثة) زهده في الدنيا واعراضه عنها وقناعته بالبلاغ منها فلم يميل الى غضايتها ولم يله لحلاوتها وقد ملك من اقصى الحجاز الى عذار العراق ومن اقصى اليمن الى شحر عمان وهو ازهد الناس فيما يقبني وبدخر وأعرضهم عما يستفاد ويحتكر لم يخلف عينا ولا ديناً ولا حفر نهراً ولا شيد قصرًا ولم يورث ولده واهله متاعاً ولا مالا ليصرفهم عن الرغبة في الدنيا كما صرف نفسه عنها فيكونوا على مثل حاله في الزهد فيها، وحقيق بمن كان في الدنيا بهذه الزهادة حتى اجتذب اصحابه اليها ان لا يُتهم بطلبها ويكذب على الله تعالى في ادعاء الآخرة بها ويقنع في العاجل وقد سلب الاجل باليسور انزدر، ورضي بالعيش الكدر (والخصلة الرابعة) تواضعه للناس وهم اتباع، وخفض جناحه لهم وهو مطاع يمشي في الاسواق ويجلس على التراب ويمتزج باصحابه وجلسائه، فلا يتميز عنهم الا باطرافه وحيائه، فصار بالتواضع متميزاً، وبالتذلل متعززا، ولقد دخل عليه بعض الاعراب فارتاع من هيئته فقال خفض عليك فانما انا ابن امرأة كانت تاكل القديد بمكة وهذا من شرف اخلاقه وكرام شيمه فهي غريزة فطر عليها وجبلة طبع بها لم تندر فتعدت، ولم تحصر فتحدت،

(والخصلة الخامسة) حلمه ووقاره عن طيش يهزه، او خرق يستفزه، فقد كان احلم في التنافر من كل حلیم . واسلم في الخصام من كل سليم . وقدمني بجفوة الاعراب فلم يوجد منه نادره . ولم يحفظ عليه بادره . ولا حلیم غيره الا ذو عشرة . ولا وقير سواه الا ذو هفوة ، فان الله تعالى عصمه من نزغ الهوى وطيش القدرة بهفوة او عشرة ليكون بامته رؤفا . وعلى الخلق عطوفا

قد تناولته قريش بكل كبيره ، وقصدته بكل جريره ، وهو صبور عليهم ومعرض عنهم ، وما نفردت بذلك سفهاؤهم دون حلماؤهم ، ولا ارا ذلهم دون عظمائهم ، بل تمالأ عليه الجلة والدون ، فكلموا كانوا عليه من الامر الخ ، كان عنهم اعرض واصفح ، حتى قهر فعفا ، وقدر فغفر (وقال لهم) حين ظن بهم عام الفتح وقد اجتمعوا اليه ماظنكم بي قالوا ابن عم كريم فان تعف فذاك الظن بك وان تنتقم فقد اسأنا فقال بل اقول كما قال يوسف لاختوته « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين » (وقال) اللهم قد اذقت اول قريش نكالا فاذاق آخرهم نوالا (واثته) هند بنت عتبة وقد بقرت بطن عمه حمزة ولاكت كبده فصنخ عنها واعطاها يده لبيعتها (فان قبل) فقد ضرب رقاب بنى قريظة صبورا (١) في يوم واحد وهم نحو سبعمائة (٢) فابن موضع العفو والصنخ (قيل) انما فعل ذلك في حقوق الله تعالى وقد كانت بنو قريظة رضوا بتحكيم سعد بن معاذ عليهم حكم ان من جرت عليه الموسى قتل ومن لم تجر عليه استرق فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : هذا حكم الله من فوق سبعة ارقعة : فلم يجز ان يعفو عن حق وجب لله تعالى عليهم وانما يختص عفوه بحق نفسه (٣)

(١) كل من قتل في غير معركة ولا حرب ولا خطأ فانه مقتول صبورا اه ناج وكل من حبس لقتل او حلف فقد صبورا اه اساس (٢) في حديث جابر عند الترمذى وائسأنى وابن حبان باسناد صحيح انهم كانوا اربعمائة مقاتل اه فتح الباري (٣) ملخص جواب الماوردي رحمه الله هنا وتوضيحه ان عفوه عليه السلام المستفيضة اخباره والمتواتره انباؤه انما هو فيما كان خاصة نفسه اذ لم ينتصر لنفسه ولم يغضب لها في واقعة —

(والخصلة السادسة) حفظه للعهد ، ووفائه بالوعد ، فانه ما نقض لمحافظة عهدها

— قط واما ما كان حقا من حقوق الله وحده من حدوده التي شرعها وامر بها فلا
 عنو ولا هوادة ، وما كان من امر بني فريظة فهو من حقوق الله الواجب اقامتها
 لانهم كانوا من المحاربين لله ولرسوله ومن السعاة في الارض بالفساد ومعلوم ما نزل في
 مثلهم من قوله تعالى « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض
 فسادا ان يقتلوا او يصلبوا » الى آخر الآيات . وهو لاء يهود فريظة فعلوا من الغدر
 ونكث العهد ونقض الميثاق الذي واثقهم به عليه الصلاة والسلام وعاهدتهم عليه
 مالا يفعلوه الا عدو ماكر وخائن غادر فقد والوا اعدائه من كفار فريش وعطفان
 وعاقدهم على حربهم وعلى استباحة المدينة المنورة وعلى ابادة المسلمين والاسلام كما
 يعلم ذلك من وقف على تعاقدهم مع كفار فريش في مكة لذا اوحى اليه ان يطهر ارضه
 من قوم لم تعد تنفع معهم العهود ولا تربطهم المواثيق ولا يامن المسلمون جانبهم
 في شدة . ولما سار عليه الصلاة والسلام اليهم ونزل بساحتهم ابوا ان يسلموا انفسهم
 حتى يحكم فيهم من اصحابه صلوات الله عليه من كان اقرب اليهم مودة وارعى لهم
 جوارا وهو سعد بن معاذ رضى الله عنه فانهم كانوا حلفاءه في الجاهلية ومواليه فلما
 اتى به للحكم قال : ان لسعد ان لا تاخذ في الله لومة لائم : ثم حكم بقتل رجالهم فاذا
 كان هذا حكم من هو سيدهم ومولاهم وهو ابر الناس بهم افليس الا لان جريرتهم لا
 تغتفر وجريرتهم لا تحتل بلى ولاجل ذلك قال صلى الله عليه وسلم له : قضيت
 بحكم الله : فانه تعالى كان شرع جزاء المحاربين في الآيات السالفة . والآية تشملهم
 شمولا جليا . ويدخلون في حكمها دخولا اوليا . فقضاء سعد رضى الله عنه قضاء
 بالنص وصدع بالحق في امضاء الحد . على من خان وغدر وتعدى الحد . ومن
 المعلوم بالضرورة انه لم تخل شريعة موحاة ولا قانون عادل ولا نظام مدني بلغ من
 الرقي والتعديل اقضاه من سن القصاص والعقوبة بالتدمير لمثل من شتمتهم الابية
 الكريمة . وكل من فسدت ملكته . وخبثت طبيته . ومررت على الضرر والاضرار
 نفسه فما دواء العضو المجذم الا البتر . ولا الشجر الشائك الا النار . ولا العثره في —

ولا اخلف لمراقب وعدا . يرى القدر من كبائر الذنوب . والاخلاف من مساوئ الشيم . فيلتزم فيهما الاغلظ . ويرتكب فيهما الاصعب . حفظا لعهدده . ووفاء بوعدده . حتى يتدي معاهدوه بنقضه . فيجعل الله تعالى له مخرجا كفعل اليهود من بني قريظة وبني النضير وكفعل قريش بصلح الحديبية فجعل الله تعالى له في نكثهم الخيرة

فهذه ست خصال تكاملت في خلقه . فضله الله تعالى على جميع خلقه (واما الوجه الثالث في فضائل اقواله فمعتبر بثمان خصال)

(احداهن) ما لوقى من الحكمة البالغة . واعطى من العلوم الجملة الباهرة . وهو امي من امة امية لم يقرأ كتابا . ولا درس علما . ولا صحب عالما ولا معلما . فاقى بما بهر العقول . واذهل الفطن . من اتقان ما ابان . واحكام ما اظهر . فلم يعثر فيه بزل في قول او عمل . وقد شرع من تقدم من حكماء

— الطريق الا الازاحة باى وجه كان معروف ذلك في قوانين العدل وسنن المصالح العامة . وقد اجمع الاخلاقيون على وجوب ازالة الفساد من جادة الصلاح وكسح عقبات الضلال من وجه الهدى ليدبر الاصلاح سيره ويباغ ما قدر له . وما مثل بنى قريظة الا كمثل من قال

يقولون لى دار العدا نتج منهم * فقلت مداراة العدا ليس تنفع

ولوانني دار بيت دهرى حبة * اذا مكنت يوما من اللع تلسع

ومن درس السيرة النبوية حق دراستها وسير ماجر ياتعا مع خصومها فانه لا يجد فيها الا الحكم العدل . والتقضاء الفعل . ومن اخذته الخيرة في مسألة فليات البيوت من ابوابها وليسأل اهل الذكر . وليس توقف من توقف بحجة ولا سند كما ان عدم العلم ليس علما بالعدم « وفوق كل ذي علم عليم » والله العالم الحكيم

الفلاسفة سننا حملوا الناس على التدبّر بها حين علموا انه « لا اصلاح للعالم الا بدبّر ينقادون له ويعملون به » (١) فما راق لها اثر . ولا فاق لها خبر . وهم ينبوع الحكم . واعيان الامم . وما هذه الفطرة في الرسول الا من صفاء جوهره وخلوص مخبره .

(والحكمة الثانية) حفظه لما اطلعه الله تعالى عليه من قصص الانبياء مع الامم واخبار العالم في الزمن الاقدم . حتى لم يعزب عنه منها صغير ولا كبير . ولا شدعنه منها قليل ولا كثير . وهو لا يضبطها بكتاب بدرسه . ولا يحفظها بعين تحرسه . وما ذاك الا من ذهن صحيح . وصدر فسيح . وقلب شريح وهذه الثلاثة آله ما استودع من الرسالة وحمل من اعباء النبوة فجديران يكون

(١) نامل هذه الحكمة الجامعة لما ورد في لانس ما سلفناه في هذا المعنى ولقد تذكرت لبعض الائمة الحكماء جملة من مقالة له في ذلك قال رحمه الله : فعلاج الامة التي خملت بعد النباهة وضيمت بعد المنعة انما يكون يرجوعها الى قواعد دينها والاخذ باحكامه على ما كان في بدايته وارشاد العامة بمواعظه الوافية بتطهير القلوب وتهذيب الاخلاق وايقاد نيران الغيرة وجمع الكلمة وبيع الارواح لشرف الامة ولان جرثومة الدين متصلة في النفوس بالوراثة من احقاب طوبلة والقلوب مطمئنة اليه وفي زواياها نور خفي من محبته فلا يحتاج القائم باحياء الامة الا الى نفخة واحدة يسرى نفعها في جميع الارواح لا قرب وقت فاذا قاموا لشؤونهم ووضعوا اقدامهم على طريق نجاحهم وجعلوا اصول دينهم الحققة نصب اعينهم فلا يعجزهم بعد ان يبلغوا بسيرهم منتهى الكمال الانساني ومن طلب اصلاح امة بوسيلة سوى هذه فقد ركب بها شططا وجعل النهاية بداية وانعكست التربية وخالف فيها نظام الوجود فتنعكس عليه القصد ولا يزيد الامة الا بخسا ولا يكسبها الا تعسا . فالدين سبب يجمع الاسباب ووسيلة تحيط بالوسائل اه

بها مبعوثا . وعلى القيام بها محثوثا .

(والخصلة الثالثة) احكامه لما شرع باظهر دليل . وبيانه باوضح تعليل . حتى لم يخرج منه ما يوجب معقول . ولا يدخل فيه ما يدفعه العقول . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : اوتيت جوامع الكلم واختصرت الى الحكمة اختصارا . لانه نبه بالقليل على الكثير فكف عن الاطاله . وكشف عن الجهاله . وما يسر ذلك الا وهو عليه معان واليه مقاد .

(والخصلة الرابعة) ما امر به من محاسن الاخلاق . ودعا اليه من مستحسن الآداب . وحث عليه من صلة الارحام . وندب اليه من التعطف على الضعفاء والايتام . ثم ما نهى عنه من التباغض والتحاسد . وكف عنه من التقاطع والتباعد . لتكون الفضائل فيهم اكثر . ومحاسن الاخلاق بينهم انشر . ومستحسن الآداب عليهم اظهر . وتكون الى الخير اسرع . ومن الشر امنع . فيتحقق فيهم قول الله تعالى « كنتم خيرا ما اخرجت للناس نامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » فلزموا اوامره . واتقوا زواجره . فتكامل بهم صلاح دينهم ودنياهم حتى عزبهم الاسلام بعد ضعفه . وذل بهم الشرك بعد عزه . فصاروا ائمة ابرارا . وقادة اخيارا .

(والخصلة الخامسة) وضوح جوابه اذا سُئِلَ . وظهور حججه اذا جودل . لا يبحصره عى . ولا يقطعه عجز . ولا يعارضه خصم في جدال الا كان جوابه اوضح . وحججه ارجح .

(والخصلة السادسة) انه محفوظ اللسان من تحريف في قول واسترسال في

خبر يكون الى الكذب منسوبا . وللصدق مجانيا . فانه لم يزل مشهورا بالصدق في خبره فاشيا وكثيرا حتى صار بالصدق مرقوما . وبالأمانة مرسوما . وكانت قريش بأسرها تتيقن صدقه قبل الى الاسلام فجهروا بتكذيبه في استدعائهم اليه فمنهم من كذبه حسدا . ومنهم من كذبه عنادا . ومنهم من كذبه استبعادا ان يكون نبيا أو رسولا . ولو حفظوا عليه كذبة نادرة في غير الرسالة لجمالها دليلا على تكذيبه في الرسالة . (ومن لزم الصدق في صغره كان له في الكبر الزم ، ومن عصم منه في حق نفسه كان في حقوق الله تعالى اعصم) وحسبك بهذا دفعا لجاحد ، وردا للمعاند ،

(والخصلة السابعة) تحرير كلامه في التوخي به اِبان حاجته ، والاقتصار منه على قدر كفايته ، فلا يسترسل فيه هدرا ولا يحجم عنه حصرا ، وهو فيما عدا حالتى الحاجة والكفاية اجمل الناس صمتا ، واحسنهم سماتا . ولذلك حفظ كلامه حتى لم يختل . وظهر روثقه حتى لم يعتل . واستعذبه الافواه . حتى بقى محفوظا في القلوب مدونا في الكتب . فلن يسلم الاكثر من زلل . ولا الهذر من ملل .

(والخصلة الثامنة) انه افصح الناس لسانا . واوضحهم بيانا . واوجزهم كلاما . واجزلهم الفاظا . واصحهم معاني . لا يظهر فيه هجنة التكلف . ولا يتخلله فيهقة التعسف « ١ » وقد دون كثير من جوامع كلمه ومن كلامه الذى

« ١ » في القاموس : تفيق في كلامه تنطع ونوسع كأنه ملاً به فمه . والفريق الواسع من كل شئ وفيهق الاناء امتلاً

لا يشا كل في فصاحته وبلاغته . ومع ذلك فلا يأتي عليه احصاء . ولا يبلغه
استقصاء . ولومزج كلامه بغيره لتمييز بأسلوبه . ولظهر فيه آثار التنافر فلم
يلتبس حقه من باطله ولبان صدقه من كذبه . هذا ولم يكن متعاطبا للبلاغة .
ولا مخالطا لاهلها من خطباء او شعراء او فصحاء وانما هو من غزائر طبعه .
وبداية جبلته . وما ذلك الا لغاية تراد . وحادثة تشاد .

(واما الوجه الرابع في فضائل افعاله فمختبر بثمان خصال)

(احداهن) حسن سيرته . وصحة سياسته . في دين نقل به الامة عن مالوف
وصرفهم به عن معروف الى غير معروف . فاذعنت به النفوس طوعا .
وانقادت خوفا وطمعا . وشديد عادة منتزعة الامن كان مع التأييد الالهي معانا
بجزم صائب . وعزم ثاقب . ولئن كان مامورا بما شرع فهي الحججة القاهرة .
ولئن كان مجتهدا فيها فهي الآية الباهرة (١) وحسبك بما استقرت قواعده
على الابد . حتى انتقل عن سلف الى خلف يزداد فيهم حلاوته . ويشدد فيهم
جدنه . ويروونه نظاما لا عصار تنقلب صروفها . ويختلف مالوفها . ان يكون
لمن قام به برهانا . ولمن ارتاب به بيانا

(والخصلة الثانية) ان جمع بين رغبة من استمال . ورهبة من استطاع .
حتى اجتمع الفريقان على نصرته . وقاموا بحقوق دعوته . رغبا في عاجل
واجل . ورهبا من زائل ونازل . لاختلاف الشيم والطباع في الانقياد

(١) برحم الله الماوردي لقد ذكرنا بكلامه هذا في النبوة ما سبق لنا في الدليل ٢٥
من ادلة وجود الحق تعالى مما يحجج به الخصم في جانب التوحيد ايضا فجدد به عهدا

الذي لا ينتظم باحدهما ولا يستديم الا بهما فلذلك صار الدين بهما مستقرا .
والصلاح بهما مستمرا

(والخصلة الثالثة) انه عدل فيما شرعه من الدين عن الغلو والتقصير الى التوسط
وخير الامور واساطها . وليس لما جاوز العدل حظ من رشد . ولا نصيب من سداد
(والخصلة الرابعة) انه لم يميل باصحابه الى الدنيا ولا الى رفضها وامرهم فيها
بالاعتدال . وقال « خيركم من لم يترك دنياه لآخرته ، ولا آخرته لدنياه ولكن
خيركم من اخذ من هذه وهذه » وهذا صحيح لان الانقطاع الى احدهما اختلال
والجمع بينهما اعتدال . وقال صلى الله عليه وسلم « نعم المطية الدنيا فارتحلوها
تبلغكم الآخرة » وانما كان كذلك لان منها يتزود لآخرته . ويستكثر فيها
من طاعته . ولانه لا يخلو تاركها من ان يكون محرورا ماضعا . او مرحوما مراعى
وهو في الاول كل وفي الثاني مستدل

(والخصلة الخامسة) تصديه لمعالم الدين ونوازل الاحكام حتى اوضح للامة
ما كلفوه من العبادات . وبين لهم ما يحل ويحرم من مباحات ومحظورات .
وفصل لهم ما يجوز ويمتنع من عقود ومناكح ومعاملات . حتى احتاج اهل
الكتاب في كثير من معاملاتهم وموارثهم لشرعه . ولم يحتج شرعه الى
الى شرع غيره . ثم مهد لشرعه اصولا تدل على الحوادث المغفلة . ويستتبط
لها الاحكام المعللة . فاغنى عن نص بعد ارتفاعه . وعن التباس بعد اغفاله
ثم امر الشاهد ان يبلغ الغائب ليعلم بانذاره . ويحتج باظهاره . فقال صلى
الله عليه وسلم « بلغوا عنى ولا تكذبوا على قرب مبلغ اوعى من سامع ورب

حامل فقه الى من هو افقه منه « فاحكم ماشرع من نص وتنبيه . وعم بما امر
من حاضر وبعيد . حتي صار لما تحمله من الشرع موءديا . ولما نقلده من حقوق
الامة موفيا . لئلا يكون في حقوق الله زلل . وذلك في برهة من زمانه لم
يسنوف تطاول الاستيعاب حتي اوجز وانجز . وما ذاك الا بديع معجز .
(والخصلة السادسة) انتصابه لجهاد الاعداء (١) وقد احاطوا بجهاته واحدقوا

(١) قال الامام ابن القيم : لما بعث الله رسول الله صلى الله عليه وسلم استجاب
له وخلفائه بعده اكثر الاديان طوعا واختيارا ولم يكره احدا قط على الدين وانما كان
يقاتل من يحاربه واما من سالمه وهادنه فلم يقاتله ولم يكرهه على الدخول في دينه
امثالا لامر ربه سبحانه حيث يقول « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي »
وهذا نفي في معنى النهي اى لانكروها احدا على الدين (ثم قال) والصحيح ان الامة
على عمومها في حق كل كافر . وهذا ظاهر على قول من يجوز اخذ الجزية من جميع
الكفار فلا يكرهون على الدخول في الدين بل اما ان بدخلوا في الدين واما ان يعطوا
الجزية كما يقول اهل العراق واهل المدينة ومن تأمل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم
تبين له انه لم يكره احدا على دينه قط وانما قاتل من قاتله . واما من هادنه فلم يقاتله
مادام مقيا على هدنته لم ينقض عهده بل امره الله تعالى ان يني لهم بعهدهم ما استقاموا
له كما قال تعالى « فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم » ولما قدم المدينة صالح اليهود واقربهم
على دينهم فلما حاربوه ونقضوا عهده وبدؤوه بالقتال قاتلهم فمن على بعضهم واجلى
بعضهم وقتل بعضهم وكذلك لما هادن قريشا عشر سنين لم يبداهم بقتال حتى بدؤاهم
بقتاله ونقضوا عهده فعند ذلك غزاهم في ديارهم وكانوا هم يغزونه قبل ذلك كما قصدوه
يوم احد ويوم الخندق ويوم بدر ايضا هم جاؤا لقتاله ولو انصرفوا عنه لم يقاتلهم .
والمقصود انه صلى الله عليه وسلم لم يكره احدا على الدخول في دينه البتة وانما دخل
الناس اختيارا وطوعا فاكثر اهل الارض دخلوا في دعوته لما تبين لهم الهدى وانه
رسول الله حقا . والبحث هذا لنته في اوائل كتابه (هداية الحيارى) وكذا في كتابه

بجنياته . وهو في قطب مهيحور . وعدد محفور . فزاد به من قل . وعز به من
 ذل . وصار باثخانته في الاعداء مخذورا . وبالرعب منه منصورا فجمع بين
 التصدي لشرع الدين حتى ظهر وانتشر . دويين الانتصاب لجهاد العدو حتى
 قهر وانتصر . والجمع بينهما معوز الا لمن امدّه الله بمعونته . وايدّه بلطفه .
 والمعوز معجز .

(والخصلة السابعة) ما خص به من الشجاعة في جروبه . والنجدة في مصابرة
 عدوه . فانه لم يشهد حربا في فزاع . الا صابر حتى انجلت عن ظفرا ودفاع
 وهو في موقفه لم يزل عنه هربا . ولا حاز فيه رغبا . بل ثبت بقلب آمن .
 وجاش ساكن . قد ولي عنه اصحابه يوم حنين حتى بقي بازاء جمع كثير .
 وجم غفير . في تسعة من اهل بيته واصحابه . على بغلة مسبوقة ان طلبت .
 غير مستعدة للحرب ولا طلب . وهو ينادي اصحابه ويظهر نفسه ويقول الى
 عباد الله « انا النبي لا كذب . انا ابن عبدالمطلب » فعادوا اشذاذا وارسالا
 وهو اذن تراه وتحجم عنه . فما هاب حرب من كآثره . ولا انكفأ عن مصاولة
 من صابره . وقد عضده الله تعالى بانجاد وانجاد فانجازوا وصبر حتى امدّه الله
 بنصره . وما لهذه الشجاعة من عديل . ولقد طرق المدينة فزع فانطلق الناس
 نحو الصوت فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سبقهم اليه فتلقوه
 عائدا على فرس غرني لابي طلحة الانصاري وعليه السيف فجعل يقول :
 ايها الناس لم تراعوا لم تراعوا : ثم قال لا باطلحة : انا وجدناه بحرا : وكان

الفرس يبطن ما سبقه فرس بعد ذلك وما ذاك الا عن ثقة من ان الله تعالى
سبصره . وان ربه سيظهره . تحقيقا لقوله تعالى « ليظهره على الدين كله »
(١) ونصديقا لقول رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم زويت لي الارض فرايت
مشاركها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوى لي منها . وكفى بهذا قياما بحقه
وشاهدا على صدقه .

(والحصلة الثامنة) . ما منح من السخاء والجود . حتى جاد بكل موجود . واثر
بكل مطلوب ومحبوب . ومات ودرعه مرهونة عند يهودى على آصع من
شعير لطعام اهله . وقد ملك جزيرة العرب وكان فيها ملوك واقبال . لهم
خزائن واموال يقتنونها ذخرا ويتباهون بها فخرا . ويستمتعون بها اثرا وبطرا
وقد حاز ملك جميعهم فما اقتنى دينارا ولا درهما . لا ياكل الا الخشب (٢) ولا
يلبس الا الخشن . ويعطى الجزل الخطير . ويصل الجم الغفير . ويتجرع
مرارة الاقلال . ويصبر على سغب الاختلال وكان يقول « انا اولى بالمؤمنين
من انفسهم فمن ترك دنيا ارضيا (٣) فعلي ومن ترك مالا فلورثته » فهل
مثل هذا الكرم والجود . كرم وجود . ام هل لمثل هذا الاعراض والزهادة

(١) قال ابن تيمية : قد اضهره الله علما وتجة وبيانا على كل دين كما اضهره قوة
ونصرا وتأييدا . وقد امتلات الارض منه ومن امته في مشارق الارض ومغاربها
وسلطانهم دائم لا يقدر احد ان يزيله كما زال ملك اليهود وزال ملك من بعدهم عن
خيار الارض واوسطها ام

(٢) الخشب كالخشن لفظا ومعنى واخشوشب في عيشه صبر على الجهد (قاموس)

(٣) الضياع بالفتح العيال ارضيعهم

اعراض وزهد . هيات . هل يدرك شأو من هذه شذور من فضائله :
 ويسير من محاسنه التي لا يحصى لها عدد . ولا يدرك لها امد . لم تكمل في
 غيره فيساويه . ولا كذب بها ضد بناويه . ولقد جهد كل منافق ومعاند .
 وكل زنديق ومليح ان يزرى عليه في قول او فعل . او يظفر بهفوة في جد
 او هنزل . فلم يجد اليه سبيلا وقد جهد جهده . وجمع كيده . فاي فضل
 اعظم من فضل شاهده الحسدة والاعداء . فلم يجدوا فيه مغز الثالب او قاذح
 ولا مطعنا لجارح او فاضح . فهو كما قال الشاعر

شهد الانام بفضله حتى العدا ❖ والفضل ماشهدت به الاعداء

وحقيق لمن بلغ من الفضائل غايتها . واستكمل لغايات الامور آلتها . ان يكون لزعامته
 العالم مؤهلا . وللقيام بمصالح الخلق موكلا . ولا غاية بعد النبوة ان يعم به
 صلاح او ينعم به فساد . فاقضى ان يكون لها أهلا . وللقيام بها مؤهلا . ولذلك
 استقرت به حين بعث رسولا . ونهض بحقوقها حين قام به كفيلا . فناسبها
 وناسبته . ولم يذهل لها حين اتته . وكل متناسبين متشاكلان . وكل
 متشاكلين مؤتلفان . وكل مؤتلفين متفقان . والاتفاق وفاق هو اصل كل
 انتظام . وقاعدة كل الثام فكان ذلك من اوضح الشواهد على صحة نبوته .
 واطهر الامارات في صدق رسالته . فما ينكرها بعد الوضوح . الامفصوح (١)
 وبالجملة فآية اخلاقه صلوات الله عليه آية كبرى . وعلم من اعلام نبوته العظمى
 وقد اجملها الجاحظ بقوله : وآية اخرى لا يعرفها الا الخاصة . ومنى ذكرت

(١) الى هنا تم كلام الماوردي رحمه الله بتلخيص من كتابه اعلام النبوة

الخاصة فالعامة في ذلك مثل الخاصة . وهي الاخلاق والافعال التي لم تجتمع
لبشر قط قبله . ولا تجتمع لبشر بعده . وذلك اننا لم نر ولم نسمع لاحد
قط كصبره . ولا حكمه . ولا كوفائه . ولا كرهده . ولا كجوده . ولا كنجده
ولا كصدق لهجته . وكرم عشرته . ولا كنوانضه . ولا كحفظه
ولا كصمته اذا صمت . ولا كقوله اذا قال . ولا كعجب منشئه . ولا كعفوه
ولا كدوام طريقته . وقلة امتنانه . ولم نجد شجاعا قط الا وقد جال جولة
وفرّ فره . وانحاز مره . ولا يستطيع منافق ولا زنديق ولا دهرى ان يحدث
انه صلي الله عليه وسلم جال جولة قط . ولا فررة قط . ولا حام عن غزوة
ولا هاب حربا من مكاثرة اه وذلك من اعجب ما آتاه الله نبيا قط مع سائر ماجاء
به من الآيات . ومن ضروب البرهانات . اذ اعداؤه جمعهم غفير . وجمعهم
كثير فخصمهم حين جادلوه . وصارهم حين عاندوه . وكابد من الشدائد ما لم
يثبت عليها الا كل معصوم . ولم يسلم منها الا منصور . الى ان علت كلمته
وظهرت دعوته . وكل هذه آيات نذير بالحق . وتلائم الصدق . لان الله
لا يهدي كيد الخائنين . ولا يصلح عمل المفسدين .

❖ آية كمال الدين ❖

قال الامام ابن القيم واذا تأملت الحكمة الباهرة في هذا الدين القويم
والملة الخنيفة والشريعة المحمدية التي لاتنال العارة كمالها ولا يدرك الوصف
حسنها ولا تقترح عقول العقلاء ولو اجتمعت وكانت على اكمل عقل رجل
منهم فوقها . وحسب العقول الكاملة الفاضلة ان ادركت حسنها وشهدت

بفضلها وانه ما طرق العالم شريعة اكمل ولا اجل ولا اعظم منها فهي نفسها
 الشاهد والمشهود له والحجة والمحتج له والدعوى والبرهان ولو لم يات الرسول
 يبرهان عليها لكفى بها برهانا وآية وشاهدا على انها من عند الله وكلاهما شاهدة
 له بكمال العلم وكمال الحكمة وسعة الرحمة والبر والاحسان والاحاطة بالغيب
 والشهادة والعلم بالمبادئ والعواقب وانها من اعظم نعم الله التي انعم بها على عباده
 فما انعم عليهم بنعمة اجل من ان هداهم لها وجعلهم من اهلها ومن ارتضاهم لها
 وارتضاها لهم فلماذا امتن على عباده بان هداهم لها قال تعالى « لقد من
 الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم
 ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » وقال معرفا
 لعباده ومذكرا لهم عظيم نعمته عليهم مستدعيا منهم شكره على ان جعلهم من
 اهلها « اليوم اكملت لكم دينكم » الآية . وتامل كيف وصف الدين الذي
 اختاره لهم بالكمال . والنعمة التي اسبغها عليهم بالتمام ايدانا في الدين بانه
 لا تنقص فيه ولا عيب ولا خلل ولا شئ خارجا عن الحكمة بوجه بل هو الكامل
 في حسنه وجلالاته ووصف النعمة بالتمام ايدانا بدوامها واتصالها وانه لا يسلبهم
 اياها بعد اذ اعطاها موها بل يتمها لهم بالدوام في هذه الدار وفي دار القرار .
 وتامل حسن اقتران التمام بالنعمة وحسن اقتران الكمال بالدين واطافة الدين
 اليهم اذ هم القائمون به المقيمون له . واطاف النعمة اليه سبحانه اذ هو وليها
 ومسدئها والمنعم بها عليهم فهي نعمته وهم قابلوها . واتى في الكمال باللام
 المؤنثة بالاختصاص وانه شئ خصوا به دون الامم - وفي اتمام النعمة بعلى

المؤذنة بالاستعلاء والاشتمال والاحاطة فجاء « اتممت » في مقابلة « اكلت »
 و « عليكم » في مقابلة « لكم » و « نعمتى » في مقابلة « دينكم » واكد ذلك
 وزاده تقريرا وكالا واتماما للنعمة بقوله « ورضيت لكم الاسلام دينا وكان
 بعض السلف الصالح يقول : باله من دين لو ان له رجالا : اه كلام ابن القيم
 عليه الرحمة في مفتاح دار السعادة

خاتمة في فائدتين

الاولى في ان الحق كما جحد أو عورض أقام تعالى من الآيات ما يوهده

قال الامام نقي الدين رحمه الله : ان الحق اذا جحد وعورض بالشبهات اقام
 الله تعالى مما يحق به الحق ويبطل به الباطل من الآيات البينات بما يظهره
 من ادلة الحق وبراهينه الواضحة وفساد ما عرضه من الحجج الداحضة
 فالقرآن لما كذب به المشركون واجتهدوا على ابطاله بكل طريق مع انه تحدام
 بالآيات بعشر سور ثم بالآيات بسورة واحدة كان ذلك مما دل ذوى الاسباب
 على عجزهم عن المعارضة مع شدة الاجتهاد وقوة الاسباب ولو اتبعوه من غير
 معارضة واصرار على التبطل لم يظهر عجزهم عن معارضته التي بها يتم الدليل
 وكذلك السحرة لما عارضوا موسى عليه السلام وابطل الله ما جاؤوا به كان
 ذلك مما بين الله تبارك وتعالى به صدق ما جاء به موسى عليه السلام وهذا
 من الفروق بين آيات الانبياء وبراهينهم التي تسمى بالمعجزات وبين ما قد
 يشبه بها من خوارق السحرة وما للشياطين من التصرفات فان بين هذين

فروقا متعددة منها ما ذكره الله تعالى في قوله « هل انبئكم على من تنزل الشياطين
تنزل على كل افك اثم » ومنها ما بينه في آيات التحدى من ان آيات الانبياء
عليهم السلام لا يمكن ان تعارض بالمثل فضلا عن الاقوى ولا يمكن احدا
ابطالها بخلاف خوارق السحرة والشياطين فانه يمكن معارضتها بمثلمها واقوى
منها ويمكن ابطالها . وكذلك سائر اعداء الانبياء من المجرمين شياطين الانس
والجن الذين يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا اذا اظهروا من
حججهم ما يحتجون به على دينهم المخالف لدين الرسول ويموهون في ذلك بما
يلفقونه كان ذلك من اسباب ظهور الايمان الذى وعد الله تعالى بظهوره على
الدين كله بالبيان والحجة والبرهان . . . قال الله تعالى «تقدارسلنا رسلا بالبينات
وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس
شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسوله بالغيب ان الله قوى عزيز »
وذلك بما يقيمه الله تبارك وتعالى من الآيات والدلائل التى يظهر بها الحق
من الباطل . والحالى من العاطل . والهدى من الضلال . والصدق من
الحال . والغي من الرشاد . والصالح من الفساد . والخطأ من السداد . وهذا
كالخنة للرجال التى تميز بين الخبيث والطيب قال الله تعالى « ما كان الله ليجذر
المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وقال تعالى « الم احسب
الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم
فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » والفتنة هى الامتحان والاختبار
كما قال موسى عليه السلام « ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من

تشاء» اى امتحانك واختبارك تفضل بها من خالف الرسل وتهدى بهامن
اتبعم والفتنة للانسان كفتنة الذهب اذا ادخل كير الامتحان فانها تميز جيده
من رديئه فالحق كالذهب الخالص كلما امتحن ازداد جودة والباطل كالمغشوش
المغشى اذا امتحن ظهر فساده ، فالدين الحق كلما نظر فيه الناظر ، وناظر عنه
الناظر ، ظهرت له البراهين ، وقوى به اليقين ، وازداد به ايمان المؤمنين ،
واشرق نوره في صدر العالمين ، والدين الباطل اذا جادل عنه المجادل ، ورام ان
يقيم عوده المائل ، اقام الله تبارك وتعالى من يقذف بالحق على الباطل فيدمغه
فاذا هو زاهق ، ويبين ان صاحبه الاحمق كاذب مسائق ، وظهر فيه من
الفساد والتناقص والاحاد ، والضلال والجهل والمحال ، ما يظهر به لمرمى الرجال ،
ان اهله من اضل الضلال ، حتى يظهر فيه من الفساد ، ما لم يكن يعرفه
اكثر العباد ، ويتنبه بذلك من كان غافلا من سنة الرقاد من كان لا يميز
الغنى من الرشاد ، ويحصى بالعلم والايمان من كان ميت القلب لا يعرف معروف
«الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين» ولا ينكر منكر
المفضوب عليهم والضالين

(وقال رحمه الله ايضا) ومما ينبغي ان يعلم ان الله اذا ارسل نبيًا واتى بآية
دالة على صدقه قامت بها الحججة وظهرت بها الحجج ، فمن طالبهم بآية ثانية لم
تجب اجابتهم الى ذلك بل وقد لا ينبغي ذلك لانه اذا جاء بآية ثانية طوب
بثالثة واذا جاء بثالثة طوب برابعة «فان طلب المتعنتين لا امد له» ومعلوم انه
من قامت عليه حجة بينة في مسألة علم وحق من حقوق العباد التي يتخاصمون

فيها لو قال انا لا اقبل حتي تقوم عليه حجة ثانية وثالثة كان ظلما متعديا ولم
يجب اجابته الى ذلك ولا يمكن الحكمُ الخصومَ من ذلك بل اذا قامت
البينة بحق المدعي حكم له بذلك ولو قال المطلوب اريد بينة ثانية وثالثة
ورابعة لم يجب الى ذلك . فحق الله الذي اوجبه على عباده من توحيدهِ والايان
به ورسله اولى اذا قامت بينة اوجبت على الخلق الايمان برسله ان لا يجب
اجابة الطالب الى ثانية وثالثة

ثم قد يكون في تتابع الآيات حكمة فيتابع تعالى بين الآيات كما ارسل محمداً
صلى الله عليه وسلم بآيات متعددة لعموم دعوته وشمولها فان الادلة كلما كثرت
وتواردت على مدلول واحد كان اوكد واظهر وايسر لمعرفة الحق فقد يعرف
دلالة احد الادلة من لم يعرف دلالة الآخر وقد يبلغ هذا ما لم يبلغ هذا .
وقد يرسل الانبياء بآيات متتابعة وبقسي قلوب الكفار عن الايمان لتتابع الآيات
آية بعد آية لينتشر ذلك ويظهر ويبلغ ذلك قوماً آخرين فيكون ذلك سبباً
لايمانهم اهـ

﴿ الفائدة الثانية ﴾

(في تاثير لسان البرهان في تبيان الحق وطرد وساوس الشيطان)

قال بعض الحكماء : من الناس من يحسب ان الكلام مع المبطلين ضرب من
العيب وانما هو فضيحة لمذهبيهم وشهير لرأيهم على غير جدوى اذ اصبحوا يبحث
لاينفع فيهم القول

وهذا رأي من لا خبرة له بالشرع ولا دراية عنده بتاثير القول فاما الفضيحة فلو كان

في اتقانها خير باطلاق تعطل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . و اى شرع
 ام اى عقل يامر باتقاء النضيحة في دره المفسد ومع ذلك فاي عورة
 مستورة منهم حتى نتقى الفضيحة من كشفها

واما عدم نفع القول فمن المكاره في الواقع . وهل كان كون افساد في بدارة او حضارة
 الا بفعل القول من تاليف وتنفير وتحذير وتطمين ووعد ووعيد وثبيط وتهيب
 وتسكين وتحريك الى غير ذلك من اقاين اللسان وضروب البيان . وهل
 الانبياء صلوات الله عليهم دعوا الخلق الى الاديان باكثر من قوة اللسان .
 وهل الكتب السماوية تنزلات الا بالبيان . وهل ثارت احقاد او سكنت .
 والتحمت ملاحم وانفصلت . و اريقت دماء . او حققت بمثل القول وشبهه
 اللفظ . ولم اقيمت المنابر وخطب الخطباء ووعظ الوعاظ وسعى المبشرون
 والدعاة وشرع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اليس الاسر اللسان .
 وحكمة البيان . وفضل الكلام . وبالجملة فهل في الدنيا شئ من عظام
 الامور الا وهو غرس اللفظ وحصيد النطق . وعلى كل حال فالامر في ذلك
 اوضح من ان يحتاج الى اطناب . وانما ليس لثمرة القول ابان محدود فقد
 تسرع وقد نبطى . ورب رجل يتكلم بكلمة لا يوبه بها في جيله فتثمر في
 جيل آخر ثمرة يتمتع بها اهل الارض جميعا فادعاء ان المبطلين لا ينفع فيهم
 الكلام حماقة وجهالة

كذلك من الناس يزعم ان داء المفسدين قد ازمى وتواصل بعد ان استعمل
 وفشا في عروقهم وانبسط وسرى في دمه وامند وتشعب في اعصابهم وصار

لا يرجى بروءه بل لا يوء مل تلطيفه حتى يداوى كما قطع بذلك بعض القانطين
 واذا فالانتداب لمقاومته لا يورثهم الا التنغص ومن الرحمة ترك نغص من
 لا يستطيع التدارك

قنوطهم هذا منشوءه عدم صحة النية وصدق العزيمة خاب ظنهم وكذب
 حدسهم وما الداعي (حاسبهم الله) لهذا اليأس وباب الخير مفتوح وداعى
 الرشاد ملح وخاطر العزم معترض . فما عليهم لو بذلوا جهدهم في ذلك السبيل
 عوض افراغ وسعهم في القال والقيل . فان نجحوا كانوا مشكورين وان لم
 ينجحوا كانوا مشكورين معذورين

هذا وحيث ان لكل معلول علة ولا يمكن استئصال المعلولات الا باستئصال
 عللها فعلى من يريد ان يضع نفسه موضع الطيب ان يبحث عن علة المبطل
 واصل خلة ثم يحاول استئصال الاصل بما يراه ناجحا من عقاير الارشاد
 والاستدلال فانه ان فعل يوشك ان ينجح ان شاء الله

ومهما يكن للمبطل من قدرة على مقاومة الحقائق بالسفسطة فان من اساليب
 البرهان ما لا ينفع معه سفسطة ولا ياتي عليه سحر ولا تدفعه حيلة فالحق
 اكبر من ان يكافح ولئن ثبت الباطل امامة مرة فقلما يثبت اخرى وما آله الى
 الفرار على كل حال اه

وما الطف قول الاصفهاني عليه الرحمة : الحق يتضح بالادله . والشهور
 تشتهر بالا الهه . وشفاه الصدور بالبله . والدين لولا شطب البيان اعزل .
 والقلم لولا اسنان البرهان مغزل . لا يفك شبكة الشك . الاظبة تدور في

قُرَابُ الْفَكِّ . وَطَالِبُ الْحَقِّ ضَيْفُ اللَّهِ . وَالذَّلِيلُ الْقَاطِعُ سَيْفُ اللَّهِ ، بِهِ يَفْكَ الْعِلْمَ وَيُنْشُرُ . وَبِهِ يَقْرَأُ الْحَقُّ وَيَقْشُرُ . وَمِثْلُ الْعُلُومِ وَالْبُرْهَانِ . كَمِثْلِ الْمَصْبَاحِ وَالْإِدْهَانِ . وَالْحُجَّةِ لِلْإِحْكَامِ . كَالْعِمَادِ لِلْغِيَامِ . وَالْعِهَادِ لِلْهِيَامِ . وَمِثْلُ الْمُقْلَدِ بَيْنَ يَدَيْ الْمُحَقِّقِ . مِثْلُ الضَّرِيرِ بَيْنَ يَدَيْ الْبَصِيرِ الْمُحَدِّقِ ، وَمِثْلُ الْحَكِيمِ وَالْحَشْوِيِّ . كَالْمَيْتَةِ وَالْمَشْوِيِّ (١) مَا الْمُقْلَدُ الْإِجْمَلُ مَخْشَوْشٌ . لَهُ عَمَلٌ مَغْشَوْشٌ . قَصَارَاهُ لَوْحٌ مَنَقُوشٌ . يَقْنَعُ بِظَوَاهِرِ الْكَلِمَاتِ . وَلَا يَعْرِفُ النُّورَ مِنَ الظُّلُمَاتِ . شَغْلُهُ نَقْلُ النُّقْلِ عَنْ نَجْبَةِ الْعَقْلِ . فَمَا أَسْعَدَ مِنْ هُدًى إِلَى الْعِلْمِ وَنَزَلَ رَبَاعَهُ . وَارَى الْحَقَّ وَرَزَقَ اتِّبَاعَهُ . أَلْزَمَ الْيَقِينَ . تَكُنْ مِنَ الْمُتَّقِينَ وَاعْلَمْ وَاعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ . وَاعْمَلْ فَتَعْمَلْ أَجْرَ الْعَامِلِينَ .

❖ قال المؤلف ❖

وَهَمْنَا وَقَفْنَا بِنَا الْقَلَمِ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَلْهَمَنَا ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى مَا نَعَمْنَا ، وَقَدْ بَلَّغْنَا مَدَّةَ تَسْوِيدِهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ أَوَّلَهَا الْعَشْرُ الْآخِرُ مِنْ رَمَضَانَ عَامِ (١٣٢٥) وَلَمَّا أَعَدَّتْ النَّظْرُ فِي تَقْيِيحِهِ طَرَأَ مَا أَوْقَفَ النَّظْرَ فِيهِ شَهْرِي صَفَرٍ وَرَبِيعٍ أَوَّخِرٍ (أَجَلَ الْمَصَادِرَةَ وَالْإِضْطِهَادَ ، وَبَلَغَ الرُّوحَ الْخَلْقُومَ مِنَ الْإِسْتِبْدَادِ) ثُمَّ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى يَبْرُؤُغَ مَا احْتَجَبَ مِنْهُ فِي رَبِيعِ الثَّانِي فَرَجَعَتْ إِلَى إِتْمَامِ تَبْيِيضِهِ حَتَّى كَمَلَتْ

(١) نُشِرَ فِي التَّمَثِيلِ عَلَى غَيْرِ تَرْتِيبِ الْهَاءِ فَانِ الْمَيْتَةُ مِثَالُ الْحَشْوِيِّ . وَالْمَشْوِيُّ مِثَالُ الْحَكِيمِ وَالْحَشْوِيُّ وَاحِدُ الْحَشْوِيَّةِ بِسُكُونِ الشَّيْنِ . وَفَتْحُهَا غَلَطٌ . نِسْبَةُ لِلْحَشْوِيِّ بِمَعْنَى الْعَامَّةِ وَالتَّبَاعِ وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ . وَنَا فِي التَّعْرِيفِ بِهِمْ فِي مَرْحِ « لِقَطْعَةِ الْجِلَانِ » فِي آخِرِ فِصْلِ مِنْهَا كَلَامٌ جَدِيدٌ بِالْمُرَاجَعَةِ .

في اواخر جمادى الثانية سنة (١٣٢٦) في الاسبوع الذي منحت فيه الامة العثمانية
 العمل بالدستور المبني على قواعد العدل واحترام راي الشورى ونشر العلوم
 وتحرير الانفس من قيود الاستعباد . فلهذا ذلك الاسبوع الذي قلب نظام
 الملك وغير هيئة البلاد وبذل الارض غير الارض اذ انسلخت عنها حياتها
 الاولى حياة الخمول والذل ، والاسر والضعف والجهل ، واستبدلت بحياة العز
 والنشاط ، والقوة والعلم والارتباط ، فلك الحمد ربنا على سحاب مكرهه وجليتها ،
 وغوامر كربات كشفتها ، وسما نعمة أمطرتها ، وجداول كرامة اجريتها ،
 وناشئة رحمة نشرتها ، وجنة عافية البسناها ، (اللهم) ولك الحمد على ما ابتدئا
 بقوتك ، وشددت ازرننا بنصرك . واخزيت من اتضى سيف عداوته .
 وشحذ طبة مديته . فاعليت كعبنا عليه . ووجهت ما سدد من مكابده
 اليه . (اللهم) فاجعلنا ممن يديم ذكرك . ولا ينقض عهدك . ولا يفصل
 عن شكرك . ولا يستخف بامرك . (اللهم) واحشرنا مع العلماء الخاشعين
 من الله وحسابه . الماشين على سبيل النبي صلى الله عليه وسلم وصحابه .
 الذين في افواههم بيض بوانر على رقاب المبطلين . وفي ايديهم سمر عواتر في ثمر
 المعطلين . (اللهم) وتفضل على العلماء بالارشاد للسداد . وعلى المتعلمين
 بالرغبة والاجتهاد . وعلى المستمعين باتباع الامر . وعلى المؤمنين بالتواصي
 بالحق والتواصي بالصبر . (اللهم) وفقنا اذا اشكت الامور لاهدائها .
 واذا تشابهت الاعمال لازكاها . ونوجنا بالكفاية . وسمننا حسن الولاية .
 وصل على سيدنا محمد وآله اجمعين . واجعلنا لانعمك من الشاكرين . ولا لآلائك

من الذاكرين . آمين . والحمد لله رب العالمين



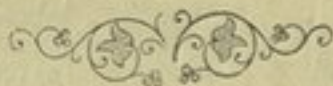
يحمده تعالى وعونه تم هذا الكتاب في منتصف شعبان عام (١٣٢٦)

بمطبعة الفيحاء بدمشق الشام خاصة السيد مصطفى افندي شوري

مصححا بنظر النقيب قاسم خير الدين

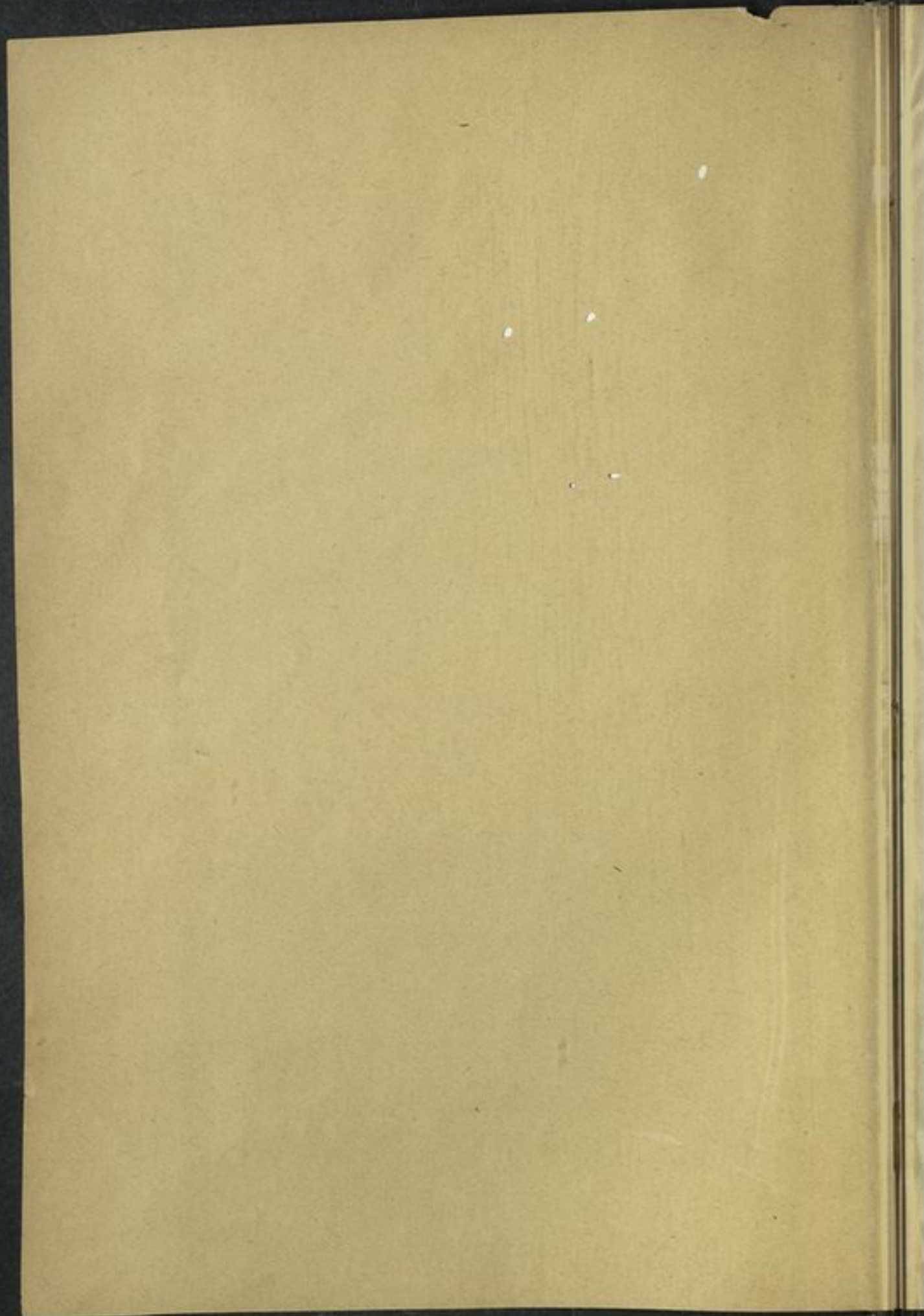
القاسمي شقيق للمؤلف غفر الله لهما

آمين



جدول الخطأ والصواب من كتاب « ولأهل التوحيد »

صواب	خطأ	سطر	صفحة
الرهان	البرهان	١٠	٤
على ان الانسان	على الانسان	٠٥	٨
ولا من نزل عن رتبة	ولا من عن رتبة	١٥	٠
في عالم	في علم	١٦	٣٢
تختلف	تختلف	٢٢	٥٩
استنقس	استنطقس	١٤	٨٩
استجيز	استجيز	١٣	٩٢
غيبية	غيبته	١٥	٩٧
بالازلية الا الله وحده	بالازلية وحده	١٧	١٠٣
لتيقن	ليثقن	١٩	١٠٨
ليكونا	ليكون	١٩	١١٥
ينج	ينجح	٠٩	١٢١
واحصاها	وحصاها	١٤	١٥١
الماوردي	الماوردي	٠٢	١٦٥
رية	زبية	٠٩	١٧٢
يحملوا على الاقرار	يحملوا الاقرار	٠٩	١٧٥
الماوردي	الماوردي	١٧	١٨١
عرى	غرى	١٧	١٩٤
لابى طلحة	لابا طلحة	١٨	٠٠٠
يقولوا	يقالوا	١٧	٢٠٠



297.3:K191dA:c.1

القاسمى، جمال الدين محمد بن محمد
دلائل التوحيد

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01000540

American University of Beirut



297.3

K191dA

General Library

297.3
APRIL
C.1